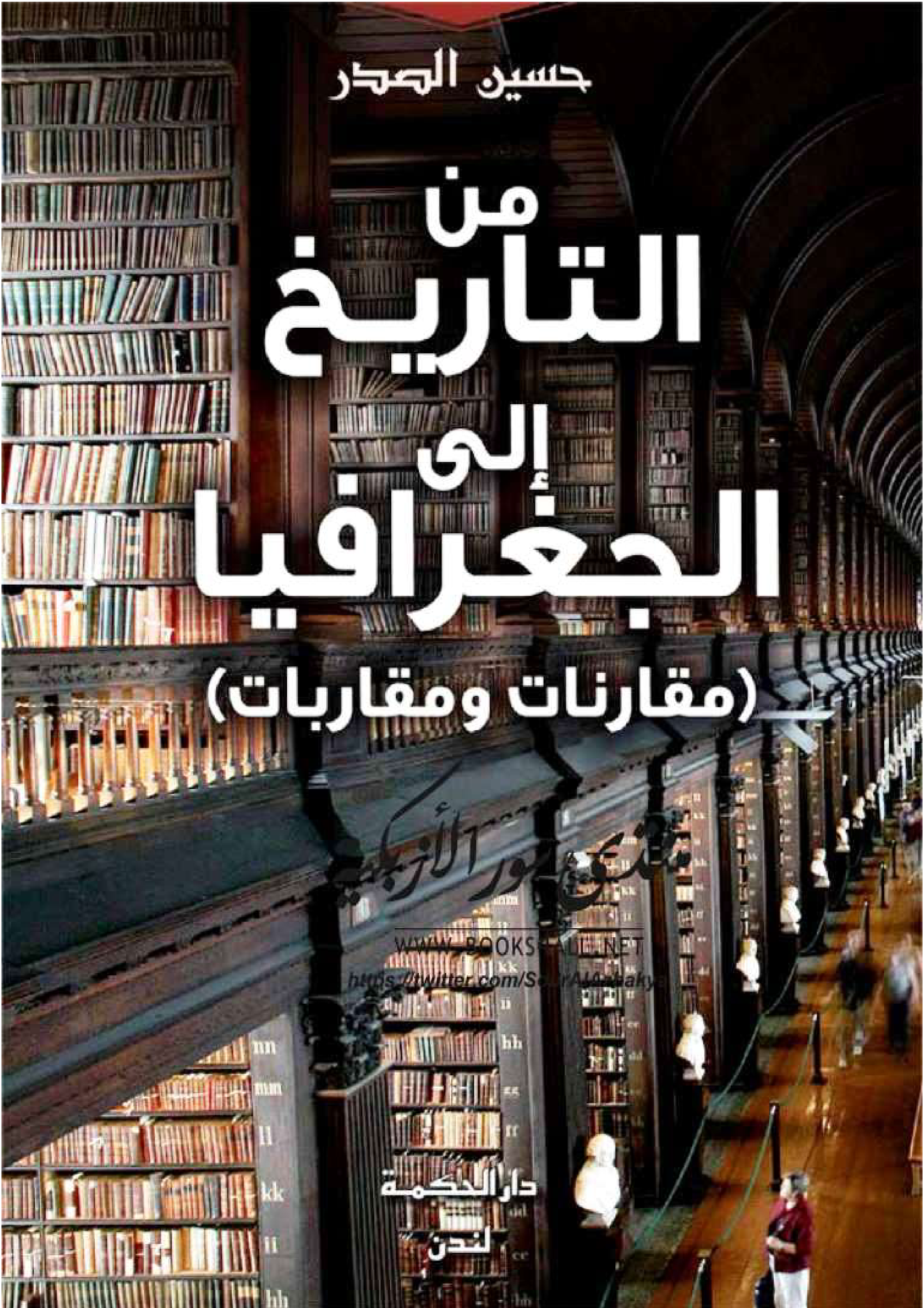

حسين الصدر
من التاريخ إلى الجغرافيا
(مقارنات ومقاربات)
دار الحكمة
لندن

من التاريخ إلى الجغرافيا

مقارنات ومقاربات

* من التاريخ إلى الجغرافيا مقارنات ومقاربات
* تأليف :حسين السيد محمد هادي الصدر
* الطبعة : الأولى ٢٠١٢
* الناشر : دار الحكمة
* الإخراج الفني :المتحدة للطباعة والنشر وتكنولوچيا المعلومات

ISBN: 978-190891801-7

DAR ALHIKMA
Publishing and Distribution



دار الحكمة
للنشر و التوزيع

88 Chalton Street, London NW1 1HJ
Tel.: +44 (0) 20 7383 4037 Fax: +44 (0) 20 7383 0116
E-Mail: hikma_uk@yahoo.co.uk Website: www.hikma.co.uk

حسين الصدر

من التاريخ إلى الجغرافيا

مقارنات ومقاربات

الطبعة الأولى ٢٠١٢م-١٤٣٣هـ

المحتويات

مقدمة

فى عام ١٩٩٥ أصدر المعهد الإسلامى بلندن جريدة اسمها (المنبر) وكنت بحكم كونى عميداً للمعهد المشرف العام على تلك الجريدة (وقد استمرت بالصدور سبع سنوات تقريباً)

وكنت أكتب عموداً فيه بعنوان (من التاريخ إلى الجغرافية) أسلط فيه على قضايا مهمة من زوايا المقارنة بين الأمس واليوم

وكنت أختار لقطات سياسية واجتماعية تمكننى من تعرية النظام الدكتاتورى الغاشم الذى بكابوسه على رقاب شعبنا المظلوم أكثر من ثلاثة عقود من الزمن.

وقد عنّت لى اليوم نفس الفكرة السابقة فواصلت الكتابة تحت نفس العنوان.

وبكلمة أن هذا العمود نقداً للأوضاع الراهنة لكنْ لا من باب المعارضة للنظام الجديد بل من باب السعى إلى التصحيح وإزالة بؤر التوتر والاحتقان

حسين السيد محمد هادى الصدر

* قطعوا السلام فضلاً عن الطعام

* الفقراء بين الأمس واليوم

* بغداد في ثوبها الداكن

تم نشرها في جريدة العالم البغدادية

بتاريخ الأثنين ١٣ كانون الأول ٢١٠٢ وبعددها المرقم ٢٥٢

- ١ -

قطعوا السلام فضلاً عن الطعام

أنشد الخفاجي:

وفي بغداد سادات كرامٌ	ولكن بالسلام بلا طعامِ
فما زادوا الصديق على سلامِ	لذلك سميّت دار السلامِ

(تاج العروس / الجزء السابع / ٤٢٢)

اذا كان بعض الكبار في بغداد قديماً يجود بالسلام ويبخل بالطعام، فإنّ فيها اليوم -ممن أتيح له في غفلةٍ من الزمن، ان يصطاد من المكاسب والامتيازات والمناصب ما لا يصلح له، وقد ساعده على الاصطياد والوصول معادلات ما انزل الله بها من سلطان، وهي معادلات المحاصصة الحزبية أو الطائفية أو القومية- من لا يجود بواحدٍ منهما على الاطلاق..!!

فلا سلام ولا طعام بل تنكّرٌ تام، لكل ما حفلتْ به خوالي الأيام من صِلاتٍ وصداقةٍ ووئام!

إنّ مَنْ تغيّره المناصب لا يجد له موضعاً في وجدان الأحرار، ولن يحصد الاّ الخسران والاندحار.

-٢-

الفقراء بين الأمس واليوم

قال الشاعر:

بـغـدادُ دار لأهـل المـال طـيّـبَـةٌ   وللمفاليسِ دارُ الضَنْكِ والضيقِ
أصبحتُ فيها مُضاعاً بين أظهرهمْ   كـأنـني مصحفٌ في بيت زنـديـقِ

المُفلس كان يضيق ذرعاً بالحياة في بغداد، حيث يجتمع عليه عاملان ينغصان عليه عيشه ويبعدانه عن مرافئ السعادة.

العامل الأول: قلة ما في اليد وما يتبع ذلك من تداعيات نفسية حرجة وأوضاع مالية صعبة.

والثاني ، العزلة الاجتماعية وقلة العناية والاهتمام به كإنسان، حتى لكأنه زنديق متمرد على الدين والقيَم والمقدسات...

والمفلس اليوم يعاني ما كان يعانيه المفلسون بالأمس، مضافا إلى آفة جديدة اسمها (الضحك على الذقون)، حيث يمطره المحترفون السياسيون بوابلٍ من الوعود في موسم الانتخابات، حتى اذا ما وقع في الفخ وصدّقهم، قلبوا له ظهر المجَن وتبخرت كل الوعود ووضعت بينه وبينهم الحدود والسدود.. فليشبع من الشعارات والممجوج من التسويف والماطلات.....

-٣-
بغداد في ثوبها الداكن

في منتصف الستينات من القرن الماضي، وقف الشاعر العراقي حافظ جميل، مخاطبا الأدباء العرب، وهم ضيوف العراق في مؤتمر الأدباء الذي انعقد آنذاك قائلا:

أضيافَ بغداد هذا وجهُ بغدادِ　　　صحائفٌ من بطولاتٍ وأمجادِ

الحقيقة أن بغداد هي الوجه الناصع لعراق الحضارات والأديان والعلوم والفكر والفن والأدب والإبداع، يتغنّى بمجدها العرب بل الإنسانية جمعاء.

أما بغداد اليوم فهي مدينة تنوء بأعباءٍ أثقلت كاهلها بالمفرقعات والمفخخات، وعصابات النهب والسلب والسطو، والخطف والتزوير والإحتيال، وسائر ما في القواميس الشيطانية من قضايا يشيب لهولها الاطفال.....

والسؤال الآن:

أما آن أن تعود بغداد إلى سابق عهدها لتصبح من جديد مركز الإشعاع للعالمين العربي والإسلامي، وأن تصبح واحة الأمن والإستقرار، وملتقى النوابغ والأفذاذ، وأن يسدل الستار على اوضاعها الداكنة الحالية، وتختفي معالم الإضطراب وعمليات القرصنة والارهاب.

* الفتاة الذكية

* المنسوب الأدبي بين الأمس واليوم

نشر في جريدة العالم البغدادية

بتاريخ ١٥/١٢/٢٠١٠ وبالعدد المرقم (٢٥٤).

الفتاة الذكية والنقد الذاتي

قرأت في بعض كتب الأدب، حواراً لطيفاً جرى بين رجل جاء خاطباً إحدى الفتيات، وبين الفتاة نفسها:

قال لها: «لا عيب فيّ سوى أني سيء الخُلُق».

وهذا النقد الذاتي الرائع، يكشف عن نبرة صادقة وحرص على بيان الحقيقة، بعيداً عن كل الإدعاءات الزائفة، والبراقع المصطنعة التي يلجأ إليها أمثال ذلك الخاطب.

وما أحوجنا اليوم إلى مثل هذه النزعة الواقعية التي تكاد تغيب بالكامل عن الساحة السياسية، فلم نسمع مثلاً طيلة سنوات مسؤولاً كبيراً أو صغيراً يعترف (والإعتراف سيّدُ الأدلة) بمسؤوليته عن الخلل والتقصير في وزارته، أو يقدم اعتذاره للشعب العراقي عن المعاناة الرهيبة جراء تلك التقصيرات المتراكمة، فضلاً عن نسيان الإستقالة من المنصب..!

لقد أغرقوا الساحة بإلقاء اللوم والمسؤولية على النظام البائد، ودفعوا الإتهام عنهم باتهام جهات أخرى..، فيما ظل المواطنون في الحصيلة النهائية يدفعون ثمن التراكم الفظيع في تدني الخدمات في مختلف المجالات...

ولْنَعُدْ الآن إلى الفتاة التي صارحها الخاطب بما يراه في نفسه وَلْنَرَ ماذا كان ردُّها؟

إنها وجدت فيه ضالتها المنشودة، من خلال حديثه عن نفسه، واكتشفت فيه مشروعاً واعداً ينبض بأحاسيس متميزة اعتبرته معها «عملة نادرة» فبادرته بالقول:

«أسوأُ خُلُقاً منكَ مَنْ يُحوجِك إلى سوء الخُلق».

وهذه المبادرة الذكية تضعنا أمام حقيقة لا ينبغي أن تُنسى على الإطلاق: تلك هي العوامل والضغوط والظروف التي تدفع بالإنسان إلى اجتراح ما لا يليق، وارتكاب ما يرتكب من حماقات...

إن المفارقات الأخلاقية لا تولد عشوائياً ودون أسباب تدفع أصحابها إلى التحدي والخروج عن سياق اللياقات المقبولة.

إن المواطن اليوم وهو يرفع عقيرته بالشكوى مما يلاقيه من عَنَتٍ وإجحاف بحقه في هذه الدائرة الحكومية أو تلك، لم يكن ليتحدث بهذه اللهجة الغاضبة الناقمة على أجهزة الدولة، لو كانت تعامله بما يستحق من عناية ورعاية ولقد صدق الشاعر حينما قال:

يعيب الناسُ كلُّهم الزمانا

وما لزماننا عيبٌ سوانا

المنسوب الأدبي بين الأمس واليوم

كانت مجالس العلماء، ومحافل الأدباء، والمنابر الحسينيّة مدارس تضّخ الثقافة والمعرفة، وتشيع في الاجواء أشذاء الأدب...

ومن هنا شهدنا من نهل من تلك الينابيع وأصبح يستشهد بالرقيق من الأشعار، دون أن يكون له حظ حقيقي من الدراسة المنهجية بمراحلها المعلومة.

في حين إننا اليوم، ورغم كثرة المتعلمين والجامعيين لا نجد لتلك النكهة في الغالب أثراً واضحاً ملموساً.

إنّ هذا يدل دلالة واضحة على انخفاض المنسوب الأدبي، ونشوء أزمة يمكن أن نسميها بأزمة «تدني الحس الأدبي».

تلك هي القاعدة العامة في جيلنا المعاصر، أما الاستثناء فهو بروز واحد هنا أو واحدة هناك، لأسباب ترتبط بإرث عائلي معين أو هواية شخصية، أو أي سبب آخر...

ومن الطريف أن أنقل في هذا السياق قصةً مؤثرة تصلح أن تلقي الضوء على ما أشرنا إليه:

في مطلع الثمانينيات، كنت مقيماً في الشام، ناهضاً بتدبير شؤون الجالية العراقية فيها، وهي تشتمل على شريحتين أساسيتين:

شريحة الفارين بدينهم وأنفسهم من قبضة الدكتاتورية الغاشمة الحاكمة في العراق آنذاك، وشريحة المهجرين المبعدين عنه، الذين صادر الطاغوت أموالهم ودفع بهم خارج الحدود، وهم عراقيون متعلقون بالوطن ولدوا وآباؤهم وأجدادهم فيه، ولكن الحقود المسعور الذي لا يقف عند حدّ أوقع بهم ما أوقع.....

ومن أولئك المهجرين رجل نجفيّ، كان يمتهن بيع العباءات الرجالية بكل أنواعها في النجف، ويجني منها أرباحاً ليست بالقليلة -على ما يزعم-.

وقد جاءني هذا المظلوم ليشكو لي أحواله.

وفي ضمن شكواه استشهد ببيتين من الشعر، كان استشهاده بهما بليغاً للغاية. قال:

ولــــو كُـــــنْــــتَ كـــما كـــنــت	مــــدحــــنــــاك بــــأبــــيــــاتْ
ولــكــنَّــك أفــلــســـــــــــــتْ	ومَــــــنْ افــلــس قــــد مـــاتْ

وهكذا نجح في التعبير عن أوضاعه، ببراعة أدبية فائقة.

إننا اليوم قلّ أن نجد في المتأدبين المعاصرين مَنْ يحسن أن يستشهد بمثل هذين البيتين، بل قلّ أن نجد من يجهد نفسه بحفظ الشواهد الشعرية، كل ذلك في مؤشر واضح صريح على انخفاض المنسوب الأدبي العام.

وأما المنسوب اللغوي فهو أضعف من سابقه...

إن حروف الجر، لا تعمل عند عامة المتصدرين للمواقع الحساسة في العراق الجديد.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

من الهزل إلى الترهل

نشر في جريدة (العالم) البغدادية

في ١٩/ ١٢/ ٢٠١٠ وبالعدد المرقم (٢٥٥)

من الهزال إلى الترهل

شاعت على الألسن أبيات الشاعر أحمد بن عليّ بن الحسين المؤذن، والتي يقول فيها:

تصدّر للتدريس كل مهوّسٍ بليدٍ يُسمّى بالفقيهِ المدّرسِ

يحق لأهل العلم أنْ يتمثلوا ببيتٍ قديمٍ شاع في كل مجلسِ

لقد هزلت حتى بدا مِنْ هزالها كُلاها وحتى رامها كُلُّ مفلسِ

وكثر الاستشهاد بها حتى بلغ حدّ التخمة.

ومما يهّون الخَطَب أنَّ قضية (الهزال) كانت محصورة بحفنة قليلة من أدعياء العلم، الذين قفزوا على المعايير الموضوعية، وأعلنوا أنفسهم - دون حياء وبلا وجل - رموزاً علمية صالحة للعطاء، ومؤهلة لأن تتصدر المحافل العلمية، دون أن تتوفر على الكفاءة الحقيقية....

أمطر أولئك الأدعياء بوابل من النقد اللاذع، وواجهوا عواصف من النقد والتجريح، دفع بهم إلى مهاوي «التحجيم».

وقانا الله وإياكم شرّ كل شيطان رجيم...

ونجح العلماء المخلصون في ردّ الأدعياء على الأعقاب مهزومين خائبين مدحورين.

أما الادعاءات العريضة في أيامنا، فقد كسرت كل الحواجز والقيود، ولم تعد محصورة بالمزاعم العلمية، والدرجات الرفيعة العليا في مضمار الفقه وحده، وإنما امتدت إلى العديد من الحقول العلمية والأدبية وإلى ميادين السياسة والإدارة والنزاهة والفنون. حتى ليخيل إليك وأنت تستمع إلى بعضهم أنك أمام كفاءة نادرة، وقدرات باهرة، وصفحات نقية طاهرة، في حين أنك لا تستطيع أن تلغي معرفتك الحقيقية، بما انطوت عليها تلك الإدعاءات من مفارقات وأكاذيب، واصطناع للدجل والتدليس ومسخ الحقائق.

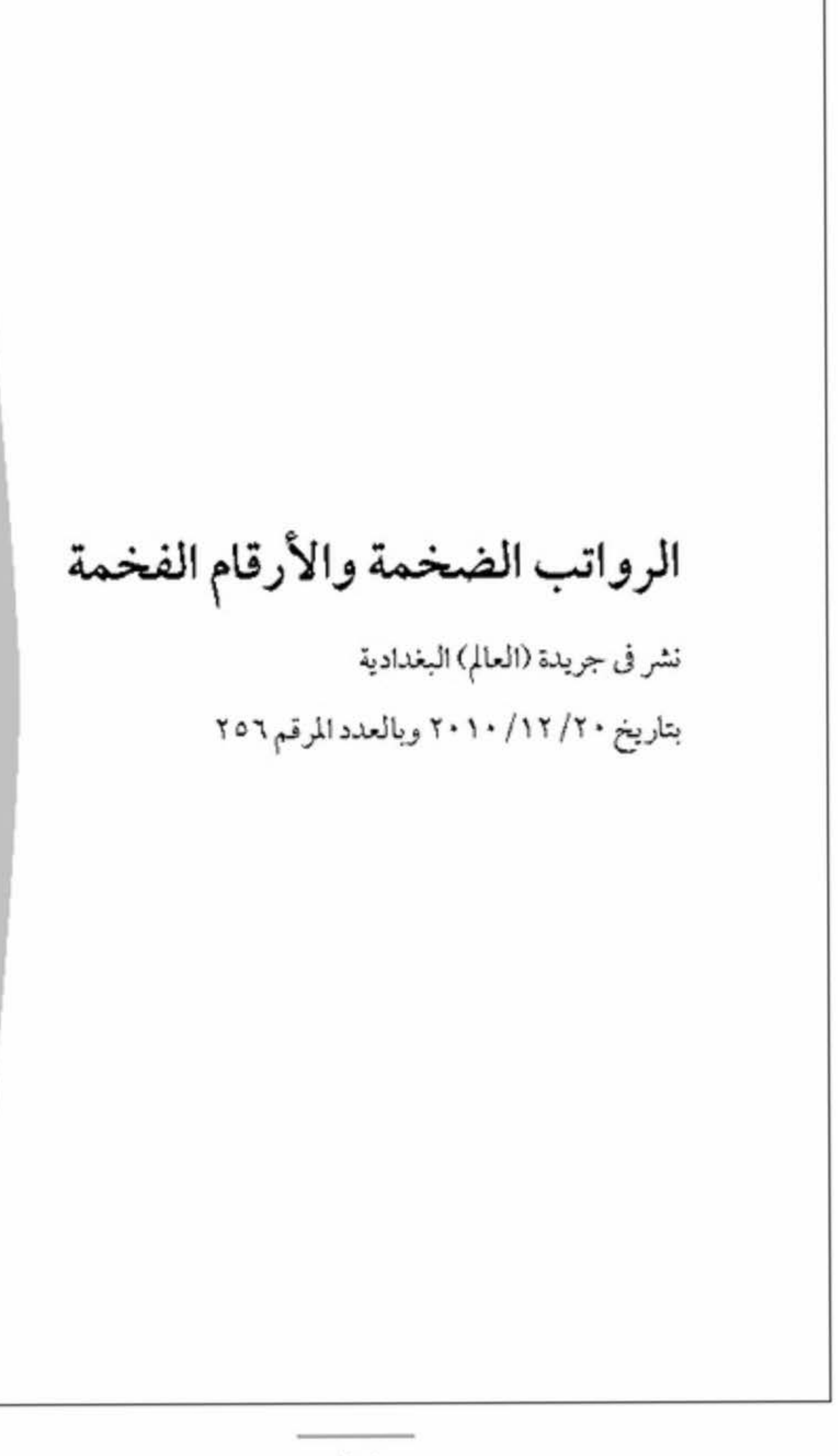
وتبرز هنا ظاهرة «التزوير» التي أغرقت الساحة العراقية (بأطنان) من الشهادات المزورة، والأختام المصطنعة، وغصت أجهزة الدولة ومؤسساتها (بالنطيحة) و(المتردية) وعانى الوطن والمواطن أبشع صور الانحدار والابتزاز..

ولا ينقضي العجب من المحاولات الراهنة، لمنح (صكوك الغفران) لكل تلك الشرائح الخارجة على القانون، والتي أقدمت - مع سبق الإصرار - على نهب المال العام، بعيداً عن كل المواضعات الشرعية والأخلاقية والقانونية.

ولسنا مع منطق «التبريرات» لما أقدم عليه المزورون، لأن تلك التبريرات، ليست إلا فقاعات منكرة، تطفو على سطح المتواطئين معهم للقواسم المشتركة الكثيرة التي تجمع الطرفين.. والحر تكفيه الإشارة.

وينقلنا الحديث عن «الهزال» والتزوير الممجوجين، إلى الحديث عن الترهل الفظيع، الذي لاحت في الأفق تباشيره (..).

إن الإنشطارات «الأميبية» المغموسة بدوافع (الترضية) و(المجاملة) والمؤطرة بإطار الحرص على توسيع قاعدة المشاركة في الحكومة، سترهق الدولة والمواطنين، بالكثير من الأعباء والإلتزامات، الأمر الذي سيعود على العراق بمردود سلبي فظيع، ويقود إلى نتائج وخيمة على أكثر من صعيد.



الرواتب الضخمة والأرقام الفخمة

نشر في جريدة (العالم) البغدادية

بتاريخ ٢٠/١٢/٢٠١٠ وبالعدد المرقم ٢٥٦

الرواتب الضخمة والأرقام الفخمة

كان راتب الوزير، في أول وزارة عراقية شكلت بعد الاحتلال البريطاني للعراق، يبلغ (٣٠٠٠) روبية، عدّاً ونقداً، وهو رقم فخم في حسابات تلك المرحلة، لاسيما أنّ أيام العثمانيين، لم تشهد مثيلاً له يتقاضاه المسؤولون فيها، فكانوا يلجأون إلى ابتلاع الرشاوى والتلاعب بالمال العام.....

ويحدثنا خيري العمري في كتابه «حكايات سيّاسية» عن قصة طريفة في هذا الباب مفادها:

أن وزير العدلية يومذاك (مصطفى الآلوسي)، ذهب إلى المصرف العثماني ليقبض أول راتب له، وحين وقع بصرُه على الرزمة الكبيرة التي كان قد أعدّها له المحاسب، سأله قائلاً:

(أهذه الرزمة كلُّها لي)؟

فأجابه المحاسب: نعم، هي لك

فما كان منه إلاّ أن رفع يده إلى السماء قائلاً:

«اللهم انصر الدين والدولة».

ويبدو من سياق القصة أن الآلوسي استكثر على نفسه الحصول على مثل ذلك الراتب الضخم، فلم يقف ساكتاً، أمام هذه النعمة، وإنما توجه إلى مُفيض النعم، جلت آلاؤه - بالدعاء للدين والدولة، التي كانت السبب في حصوله على هذه النعمة.

ومسألة الرواتب الضخمة، تبرز اليوم من جديد، خصوصاً بعد أن تجاوزت رواتب النواب وكبار المسؤولين، ومخصصاتهم، وامتيازاتهم السقوف المعروفة، وامتدت لتشمل ذراري النواب وزوجاتهم بالجوازات الدبلوماسية.....

لقد قبض أغلب النواب رواتبهم ومخصصاتهم كاملة غير منقوصة رغم أنهم لم يحضروا إلاّ جلسة واحدة، لم تستغرق إلاّ بضع دقائق طيلة شهور عديدة..!!

نوابنا أضحوا نوائب ... وبهم تتابعت المصائب

شُغِفوا بحبّ ذواتهم ... واستصغروا أعلى الرواتبْ

واستعذبوا طعم الغياب فغائبٌ في إثر غائبْ
وتواصلتْ أسفارُهم وتذمرّت حتى الحقائبْ

ومما يثير الاستغراب أنّ هناك كمّاً هائلاً من القوانين المهمة كانت قد تكدست في مجلس النواب ولم تناقش أصلاً، لعدم اكتمال النصاب، في حين أن جلسة المبادرة إلى زيادة الرواتب والمخصصات والامتيازات، سرعان ما اكتمل نصابها، واتفق أربابها على المضي قُدُماً في طريق تسجيل الإنجازات التاريخية لذواتهم (...)، كل ذلك، بعيداً عن الاهتمام بالانجازات المطلوبة لصالح الشعب والأمة.

إن مصطفى الآلوسي - وزير العدلية في وزارة الكيلاني - كان قد غمره الإحساس بفضل الدولة عليه، فانبرى يدعو لها من صميم قلبه أما الكثرة الكاثرة من أصحاب الرواتب الضخمة اليوم، فقد اتخمت حساباتهم، ولكنهم ليسوا بشاكرين أو ممتنين...!!

وتلك مفارقة لا ينقضي منها العجب!!

إن القاعدة العامة في استحقاق الرواتب والأجور تستند إلى ما يقدّمه العاملون من خدمات، وما ينجزونه من أعمال، وبالتالي فهي مرتبطة بحجم الإنجازات، وحين يكون منسوب الإنجازات المقدمة مُتدنياً إلى حدّ بعيد، تكون كل تلك الرواتب الضخمة، قد انتزعت من خزانة الدولة وأموال الشعب، خلافاً لما تقتضيه قواعد العدل والإنصاف، بل هي عينُ الابتزاز والإجحاف.

إنّ من حق المسؤولين على الدولة أن تضمن لهم العيش الكريم والدخل المجزي، ولكن ليس من حقهم المبالغة في الترف، ونسيان الملايين من أبناء الشعب الغارقين إلى الأذقان، بألوان الفاقة والبؤس والحرمان.

إنّ من حق المواطنين على الدولة ايضاً أن توفر لهم فرص الحياة الكريمة، وعليها أن تنتشلهم من مهاوي الفقر المدقع والحاجات الآنية، ومتطلبات الحياة الضرورية.

السلوك الملعون في اختراق القانون

نشر في جريدة (العالم) البغدادية

بتاريخ ٢١/ ١٢/ ٢٠١٠ وبالعدد المرقم (٢٥٧)

السلوك الملعون في اختراق القانون

لا أحد يستطيع أنْ يُنكر قوة العاطفة، وعنفوان غريزة الآباء في حُبّ أبنائهم، والتعلق بهم.....

ولقد صدق الشاعر العربيّ حينما قال:

وإنمـــــا أولادُنـــا بيْنَنا أكبـادُنـا تمـشي عـلى الأرضِ
لـو هَـبَّـتْ الـريـحُ عـلى بعضهم لامـتـنـعـتْ عيني عـنْ الغمضِ

انهم اذن فلذات الأكباد، وتمتنع العيون عن الغمض إذا هبّت عليهم الريح، أو نزلت بهم نازلة، أو تعرضوا لأي مكروه...

ولا غبار على هذه العاطفة الإنسانية إذا بقيت في حدود الحس الإنساني والوجدان، دون أن تنقلب إلى حالة من التبرير المطلق، لكل ما يمارسه أولئك الأبناء من مظالم اجتماعية، وانحرافات سلوكية وأمراض أخلاقية، تخدش الحياء والنظام العام، وتسيء إلى القيّم والضوابط والموازين الشرعية والقانونية والسياسية والاجتماعية...

يستوي في ذلك الآباء جميعاً، سواء كانوا في مواقع المسؤولية والسلطة، أو كانوا محرومين من الجاه والمال والسلطان...

فلا ينبغي أن يعلو على القانون أحد، لا الحكّام، ولا أبناؤهم، ولا أي إنسان آخر.

ومن أبشع الأمثلة التي يذكرها التاريخ - في هذا المضمار، مضمار حب الآباء لأبنائهم- مقولة معاوية الشهيرة، في ابنه الخليع الماجن «يزيد» حيث قال:

«لولا هواي في يزيد لأبصرتُ رشدي».

إنه الاعتراف، والاعتراف سيّدُ الأدلة كما يقول علماء القانون، لم ينصب معاوية ولده يزيد، صاحب الفهود والقرود، خليفةً على المسلمين بالقّوة، إلا بدواعي الهوى والعاطفة المتأججة، والرغبة في توريثه السلطان، لكأن الخلافة ملك عضوض يتصل بالوراثة خلافاً لما نطق به الكتاب والسُنّة.

والكارثة الكبرى أن يُطرح «يزيد» خليفة للمسلمين، ويجبر ريحانة رسول الله (ﷺ) وسيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين (عليه السلام) على مبايعته، وحين يرفض الحسين البيعة، تكشف (أُميّة)

عن كل احقادها المسعورة، على أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، وتنازلهم الحرب، وتجهز حتى على الطفل الرضيع، وتسوق كرائم الوحي والرسالة سبايا، يُسار بهن من بلد إلى بلد، ويرين بأعينهن الرؤوس الطواهر على الرماح، في أكبر مجزرة في تاريخ البشرية كلها.

إن الانسياق المحموم وراء رغبات الأبناء، وتسليطهم على الرقاب، وإلقاء الحبل على الغارب معهم، دون مساءلة أو حساب، مسلكٌ لا ترضاه الشرائع والأديان، وتأنف منه المعطيات الحضارية بأسرها.

وهكذا شهد تاريخ الإسلام السياسي، معادلات الحكم الوراثي وألواناً من الشبق السياسي، والسلوك اللاأخلاقي، والمجازر والفتن الاجتماعية، وسيلاً عارماً من الانحرافات، على أكثر من صعيد وفي شتى مراحل المسيرة. ولكننا لا نعدم أن نشهد بعض الومضات، هنا وهناك، تخرم تلك القاعدة، وتشكل الاستثناء منها.

من ذلك ما روته بعض كتب التاريخ، عن قصة أحمد بن طولون حاكم مصر المعروف، مع ولده العباس، الشاب العابث المولع باللهو والفساد.

استدعى العباس إحدى المغنيات، فلبت نداءه واسرعت متجهة إليه، ومعها غلام لها يحمل لها العود - الآلة الموسيقية المعروفة - فالتقاها في الطريق رجل صالح من المصريين، عرفها ورأى العود مع غلامها، فما كان منه إلا أن أخذ العود وكسره. وحين وصلت المغنية دار العباس، أخبرته بما وقع لها على يد ذلك المصري، واندفع العباس نحو أبيه يشكو له الحال، ويدعو بالويل والثبور، وعظائم الأمور.

استدعى ابن طولون، رغم جبروته، كاسر العود وقال له:

أنت الذي كسرت العود؟

قال: نعم

قال: أفعلمت لمن هو؟

قال: نعم، هو لابنك العباس

قال: أفما أكرمْتَه لي؟

كأنه يريد أن يقول: (لأجل عين ألف عين تكرم) وكان عليك أن تكرم العباس من أجلي، وأنا الحاكم الآمر الناهي. فجاء الجواب قوياً مدوياً:

- أكرمه بمعصية الله عز وجل؟ والله تعالى يقول: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم». التوبة / ٧١

ورسول الله (ص) يقول: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»؟

فأطرق احمد بن طولون عند ذلك، ثم قال: «كل منكر رأيته فغيّره، وأنا من ورائك».

وهكذا انصاع الحاكم للحق، وأسدل الستار على القضية، ولم تذكر القضية بعد ذلك، ماذا صنع الأب مع ابنه، إلا أن من الواضح نجاة الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر من أية عقوبة أو ملاحقة.

والسؤال الآن: منْ من القابضين على زمام الأمور اليوم، يتصدى لاستقبال المعترضين على سلوك أبنائه المنحرفين؟ ويستمع إلى الشاكين منهم، وهم يدلون بحججهم وبراهينهم، ثم ينصاع للحق؟

إن عامة المواطنين لا يستطيعون الاعتراض على مرافقي أولئك المدللين وحماياتهم، لا عليهم أنفسهم! وتلك هي إحدى الظواهر المؤسفة التي جعلت الكثير من المراهقين يتمادون في خروجهم على الضوابط والحدود، دون عقوبة وبلا رادع.

إن التمسك بأهداف العدالة والفضيلة واجب لا محيص عنه، ولأبناء المسؤولين المنضبطين الكرامة والتقدير، كما لسواهم من المواطنين الآخرين، وللعابثين منهم الهوان والتحقير وسوء المصير.

المنطق الغريب والإختيار العجيب

نشر في جريدة (العالم) البغدادية

بتاريخ ٢٣/ ١٢/ ٢٠١٠ وبالعدد المرقم (٢٩٥)

المنطق الغريب والإختيار العجيب

تولى نقيب اشراف بغداد عبد الرحمن الكيلاني، رئاسة أول وزارة عراقية في ٢٥ تشرينالأول ١٩٢٠، كما هو معلوم، وكان يرغب أن يحشر فيها العديد من أبناء الأسر العريقة، ولو من دون حقائب وزارية، وقد رشح (فخري الجميل) ليكون واحدا من هؤلاء.

ولكن (كوكس) - المندوب السامي البريطاني - لم يتلق ذلك الترشيح بالقبول الفوري، فقال له النقيب الكيلاني (برواية خيري العمري في حكايات سياسية) بالحرف الواحد:

«مولاي (...) إنه ابن فلان، وجده فلان، فبأي وجهٍ أقابل اجداده في العالم الآخر إذالم أدخله الوزراة»؟!

وبمقتضى هذا المنطق لا بُدَّ أن تشكّل اعداد الوزراء أرقاما فلكية، لأنّ أبناء الأسر العراقية، والوجوه اللامعة، كثيرون، فهل نشركهم جميعا تحاشيا لغضب أسلافهم؟!

إنّ النقيب لم يقل لـ(كوكس) عن مرشحه المشار اليه، انه رجل متمرس قادر على خدمةالبلد وابنائه مثلا، وانما اكتفى بذكر الأباء والأجداد.

اننا لا نحتاج إلى (القسام الشرعي) في مثل هذه المواطن، بمقدار ما نحتاج اليالكفاءة، والمهارة، والقدرة على النهوض بالمسؤولية، والاداء الفاعل المتميز، المقترن بالنزاهة الكاملة، والمصحوب بإيثار الصالح العام، ومراعاته في كل ما يتخذمن قرارات...

إن (العباس) عم الرسول (ﷺ) كان في عداد الأسرى يوم بدر..!!

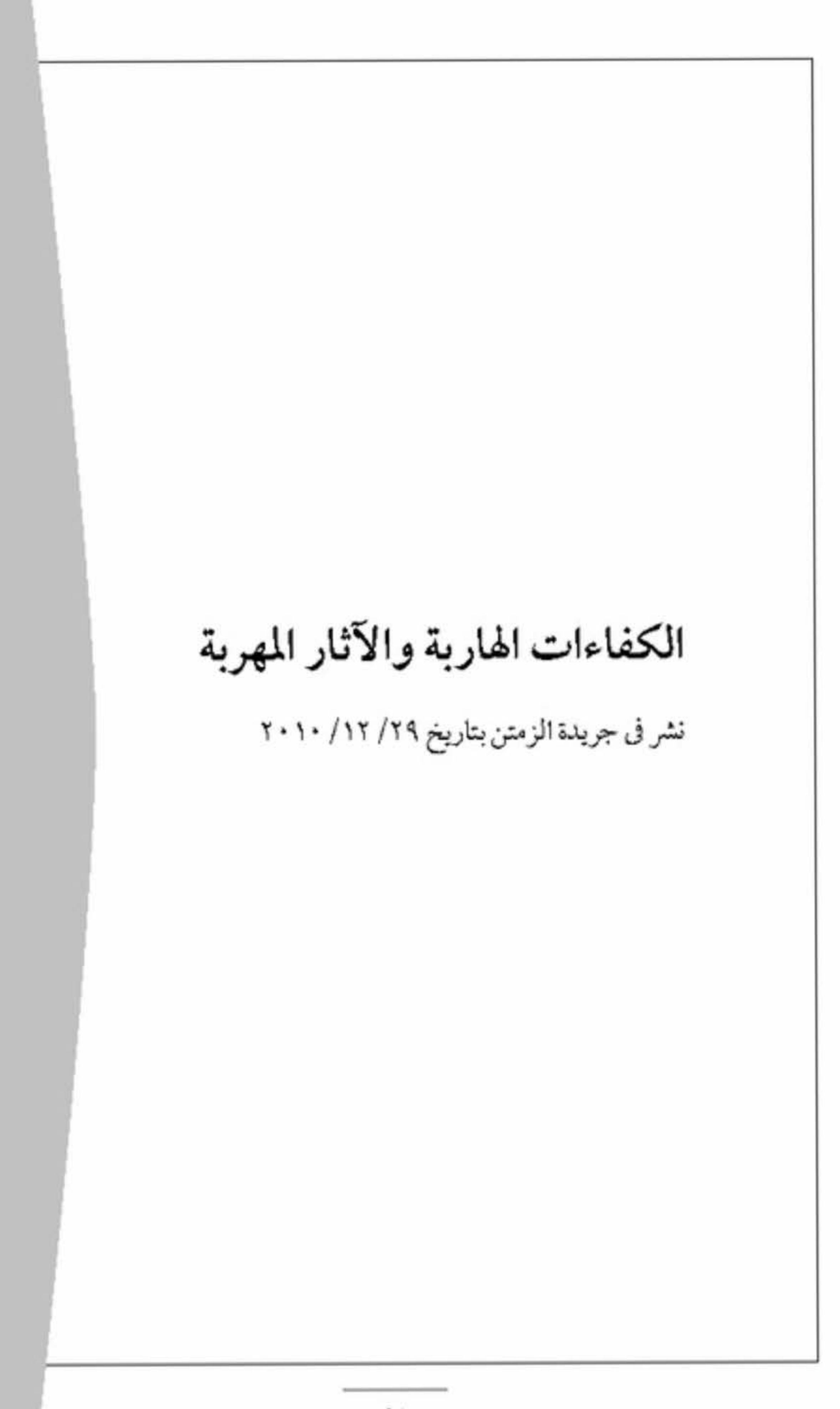
وان عمه الآخر (أبالهب) نزل القرآن بلعنه، في سورة كاملة تُتلى آناء الليل واطراف النهار.

فهل أغنتهماحسابهم شيئا في المعيار الرسالّي؟!

وما أحلى اجتماع العراقه والأصالة مع المؤهلات الحقيقية المطلوبة، وستكون الحصيلة حينئذ، عظيمة الآثار، كبيرة المنافع والثمار، إلا ان الواقع الحياتي، لايعرف الكثير من الشواهد في هذا الباب، فكما كرهت قريش ان تجتمع (النبوة) و(الخلافة) في بيت واحد، كره الطامعون في السلطة، أن يفسح المجال للصفوة الطيبة من الأفذاذ، ليأخذوا مواقعهم فيها، وتلك قضية مؤسفة تثير الشجون...

واليوم، وبعد مرور (٩٠) عاما على تلك الحادثة، لا نعدم أن نسمع نغمة مشابهة لتلك النغمة في المضمون، وان كانت مغايرة لها في الشكل، حيث تتم الاختيارات وفق معادلات الولاءات العميقة، والعلاقات الوثيقة، والحسابات غير الدقيقة، عليالمعايير الموضوعية، ويغلف كل ذلك بأغلفةٍ سياسية ووطنية.

وعلى العراق، وشعبه المبتلى، ومصالحه العليا ألف تحية وسلام



الكفاءات الهاربة والآثار المهربة

نشر في جريدة الزمتن بتاريخ ٢٩/ ١٢/ ٢٠١٠

الكفاءات الهاربة والآثار المهربة

يعد العراق من أغنى الدول في العالم طبقاً لما أكدته أدق الاحصاءات المعتمدة والمعروفة وغناه الحقيقي لا ينحصر بثرواته المعدنية من نفط وغاز . وانما هو بالقوافل الضخمة من العلماء والافذاذ في شتى مجالات الفكر والعلوم والثقافة والفنون والاداب.

فالانسان العراقي متلألى في سجل الابداع والتفوق الحضاري ولان قاعدة الولاء للحاكم كانت هي القاعدة المعتمدة في توزيع المناصب الحكومية.

-ابان العهد الدكتاتوري البائد- فقد انحسرت عن المواقع الحساسة في الدولة وأجهزتها تلك الوجوه الوضاءة ولم يفسح لها المجال لممارسة ادوارها الخطيرة وأصبحت مهمشة معطلة ناهيك عن حملات الإبادة والتصفية والملاحقة التي شنت عليهم بلا هوادة وملئت بهم المقابر والسجون.

كل ذلك كان سبباً من أسباب الهروب والهجرة من الوطن إلى بلاد الله العريضة بحثاً عن الملاذ الآمن وسعياً للحياة الحرة الكريمة.

وقد لاقى العراقيون في طريقهم للوصول اليالمحطات الامنة ألوانا من الاهوال والاتعاب والمشاق ما يملأ القلوب ألما وتفجعاً وعلى كل حال فقد حرم العراق من الإفادة من كل أولئك المغادرين من أصحاب الكفاءات العالية والمواهب النادرة وهي خسارة كبيرة للخبرات والطاقات والعناصر القادرة على الإسهام الفاعل في عملية التنمية والبناء واحداث النقلة النوعية في الواقع العراقي بكل مناحيه وتضاريسه ومجلاته.

ومما يحز في النفس ان العراق الجديد لم يعتمد حتى الان منهجاً واضحاً ولم يضع خطط مدروسة لعملية العودة المطلوبة إلى رحاب الوطن بحيث تستوعب تلك الشريحة المهمة بالنحو الذي يحفزهم على ترك ديار الإغتراب والرجوع إلى الوطن والأهل والأحباب

ان انشغال الكتل السياسية بنصيبها من الكعكة السلطوية يحول يقيناً دون أن يحتل هذا الموضوع المهم مكاناً في جدول أعمالها وبرامجها واذا ما ذكر فهو إلى تلميع الصورة أقرب منه إلى معالجة المشكلة.

ولا ينبغي ان نهمل في هذا السياق المعاناة الرهيبة التي لقيها بعض من حاول العودة إلى العراق من أولئك الأكفاء وممن لايملك شفيعاً نافذ الأمر في الحكومة - حيث بقي يتسكع على أبواب هذا المسؤول أو ذاك دون الوصول إلى نتيجة ايجابية مرضيه فقفل راجعاً مشحوناً بالغضب والتأثر من جرح كرامته الشخصية وقلة مبالاة اصحاب الادعاءات العريضة (...) بطلبه المشروع - وسعيه المخلص لخدمة وطنه وشعبه

انه كغيره من المواطنين لن يلقى في أغلب الدوائر الرسمية ما يجب ان يلقاه من عناية واهتمام ولن يحظى بشيء من العناية الا بأحد طريقين:

اما الدفع الفوري لكومة من الاوراق الخضر (...) وبالرقم المحدد المطلوب دون تلكؤ أو تأخير.

واما ان تتبنى احدى الشخصيات البارزة الرسمية الإيعاز إلى الدائرة المختصة بإنجاز معاملته

وعلى قوانين الانضباط الوظيفي والنزاهة ألف تحية وسلام وعلى رؤوس البائسين والمعدمين غبار الخيبة والحرمان

اننا نقترح على الحكومة العراقية ان تعنى بمسألة عودة الكفاءات المهاجرة عناية فائقة وان تدفع بمشروع قانون إلى مجلس النواب ينظم ضوابط هذه العودة وآلية استيعابهم في دوائر الدولة المتخمة بأصحاب الشهادات المزورة مع توفير مستلزمات الحياة الكريمة والعمل المنسجم مع الاختصاص

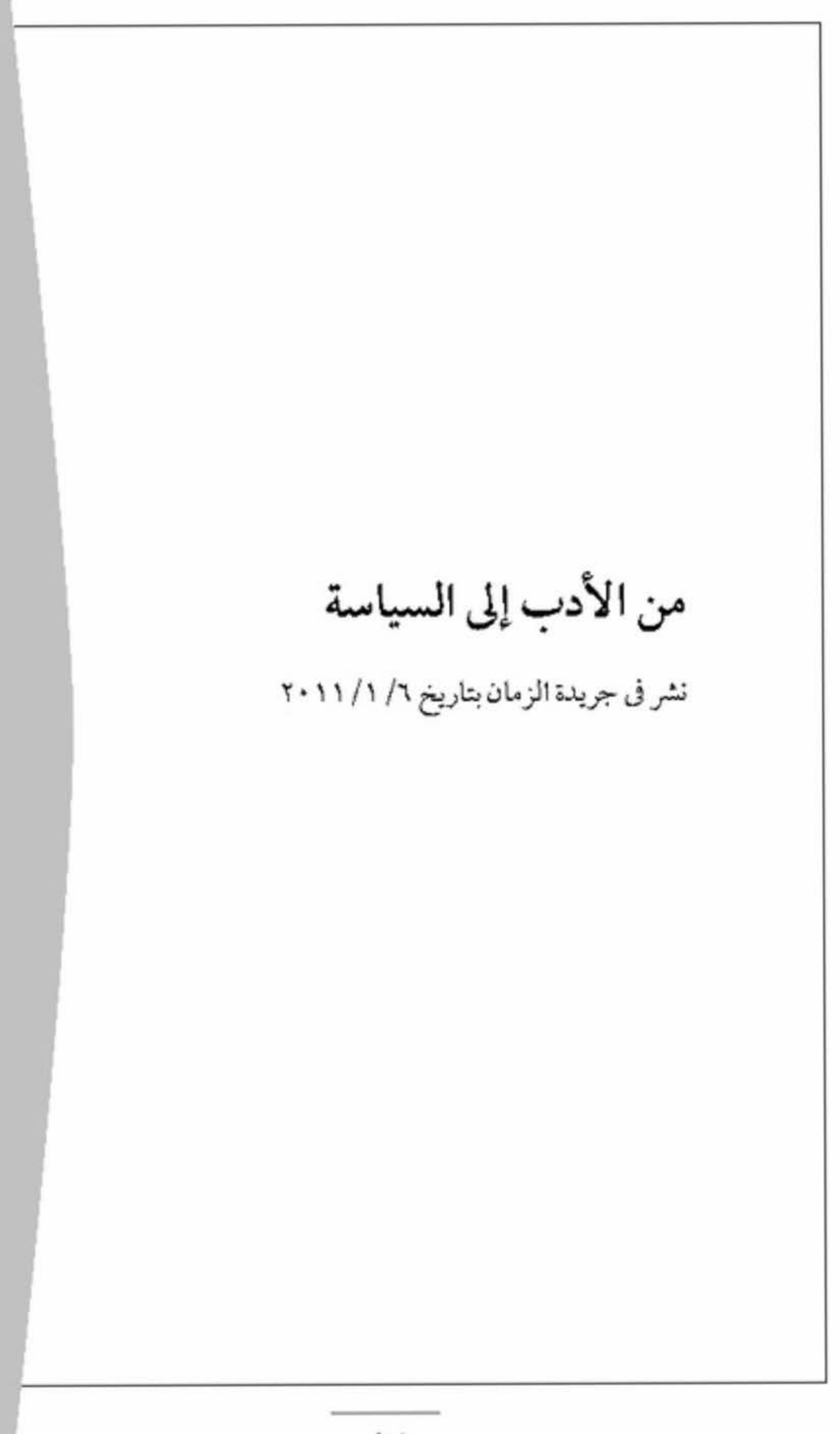
والى جانب قضية الكفاءات الهاربة تبرز قضية الأثار المهربة وهي بمجملها عنوان التاريخ الحضاري للعراق وسجل فتوحاته في مختلف المجالات ناهيك عن أنها النفائس الثمينة ألتي لا يسوغ بحال التهاون بأمرها ومصيرها

ان عمليات السطو على هذه الآثار وتهريبها إلى الخارج لتباع بأبخس الاثمان بدأت ابان الحكم البائد ومن قبل بعض جلاوزة النظام والمحسوبين عليه ثم امتدت أيدي العابثين إلى تلك الكنوز بعد سقوط الصنم فكانت الحصيلة كارثة مروعة بحجمها وفظائعها فيما بقيت حتى الآن حماية هذه الاثار ضعيفة متخلفة مما يعني امكانية الاجهاز على البقية الباقية من تلك الآثار

ان جهداً رسمياً كبيراً لابد ان يبذل لأستعادة هذه الثروة النادرة والآثار الفاخرة من كل المواقع والمواطن والبلدان التي تسربت إليها ولا بد من حماية وصيانة هذه الآثار بشكل جدي

يضع حداً حاسماً لكل عمليات السلب والنهب والتهريب وكيف يسوغ ان يتنازل البلد عن هويته الحقيقية وتاريخه الموشى بروائع الآثار؟

والغريب ان الآثار العراقية التي ارجعتها سفارة العراق من واشنطن إلى بغداد بقيت في صناديقها ..!!! وفي مخزن من مخازن مطبخ رئاسة الوزراء لمدة طويلة (....) ولم يلتفتإليها الا بعد ان اثيرت الضجة الاعلامية الشهيرة حولها في مؤشر واضح الدلالة على انخفاض منسوب الاهتمام الحكومي بالآثار العراقية العظيمة وما ينطوي عليه هذا الأهمال من مردودات سلبية تدخل ضمن قائمة الفساد الاداري والتقصيرات المتراكمة في مجال النهوض بالواجبات والمسؤوليات.



من الأدب إلى السياسة

نشر في جريدة الزمان بتاريخ ٦/ ١/ ٢٠١١

من الأدب إلى السياسة

للأديب قدراته المتميزة في التعبير والتصوير وفقاً لإنفعالاته النفسية وان لم تكن بالضرورة صائبة صحيحة

وهكذا يبرز العامل الذاتي في صياغة الموقف المغموس بهوى النفس والمصلحة الشخصية أو الفكرية

خذ هذا الشاعر مثالاً على ما نقول:

انه طلب من صديقه ان يقدم له شيئاً معيناً كان يرغب به فمنعه ولم يسعف طلبه فما كان منه إلا أن بادر صديقه بذم مر قائلاً:

ان كنتَ تسأل عن حقيقة مادر ... في البخل فاعلم انَّ هذا مادر
قد جُمِّعَتْ فيه القبائح كلهاً ... ياليت شعري مايقول الشاعر

و(مادر): يضرب فيه المثل في البخل

وبعد ان اطلع صديقه على البيتين واحس بلذعهما قرر ان يبادر وبدون ابطاء إلى تقديم ما أراده الشاعر وهنا سارع صاحبنا إلى مدحه فقال:

ان كنت تسأل عن حقيقة حاتم ... في الجود فأعلم أنّ هذا حاتم
قد جُمِّعَت فيه المحاسن لها ... ياليت شعري ما يقول الناظم

وهكذا انقلب(المذموم) إلى (ممدوح)

انقلب الرجل من (مادر) وهو ابشع الأمثلة في البخل إلى (حاتم) وهو انصع الأمثلة في الكرم

ان سرعة تحول الشاعر من الذم الفظيع إلى المدح السريع كانت بسبب تلبية طلبه الشخصي واشباع حاجته ورغبته والا فإن صديقه - المذموم الممدوح - لم يتغير فهو باقٍ بشحمه ولحمه

هذا التحول السريع في الموقف يذكرنا بموقف العديد من الكتل السياسية العراقية التي كانت تعزف سمفونية الرفض المطلق للمشاركة في الحكومة الجديدة مشيرة إلى قائمة طويلة عريضة

من الاعتراضات والانتقادات التي تصل إلى حد الإتهام بتنفيذ اجندات خارجية وإذكاء النزعات الطائفية والتنكر للمشاريع الوطنية إلى آخر ما أفرزته قواميس المحترفين السياسيين

وقد لاحظ المراقبون لعملية المفاوضات بين الكتل السياسية انها حفلت بالمحاولات المستميته للحصول على أكبر جزء من الكعكة بعيداً عن المعايير الموضوعية الواجب مراعاتها في اختيار الوزراء والتي تقف الكفاءة والمهنية والنزاهة والقدرة على النهوض بالمسؤولية في طليعتها ناهيك عن الماضي المجيد والتاريخ الحميد

لقد غاب المشروع الوطني البعيد عن الطائفية والقومية والحزبية والمناطقية عن تلك المفاوضات...

كما أستبعدت المرأة العراقية عن المشاركة في تلك المفاوضات فضلاً عن استبعادها عن الحقائب الوزارية الأمر الذي أثار ضجة كبرى لم تهدأ حتى الآن

ولو أردنا ان نرسم خطاً بيانياً لتصوير مواقف الكتل السياسية العراقية

-في هذا الجانب - المناصب والحقائب- لوجدناه شديد التذبذب والاضطراب وهذا لا يثير الاستغراب فحسب بل يثير الشكوك في الدوافع الكامنة وراء طرح كل تلك الشعارات الزائفة البراقة والمسرحيات التي سرعان ما انكشفت حقائقها للناس والمفجع ان عمليات المحاصصة الطائفية والقومية والحزبية ثبت للجميع انها انهكتْ البلد وكبدته افدح الخسائر على كل الصعد والمستويات وكانت مقبرة لكفاءات ومواهب أبنائه واختزلت العراق بحفنة من المتمرسين على فنون المناورة والدجل والاستهانه بكرامات المواطنين وحقوقهم المشروعة في حياة حرة كريمة آمنة توفر لهم الخدمات في مجالات الصحة والتعليم والنقل والكهرباء والماء وسائر الشؤون الحياتية

ان الصراع على الكراسي أصبح (قصة لا تنتهي) ولقد خابت الآمال بتصحيح اخطاء المرحلة السابقة ولقد زاد الطين بلة الارقام الكبيرة في عدد الحقائب وغياب الكفاءات الحقيقية عن تلك المناصب

وتلك هي اكبر الكوارث والمصائب.

النفاق السياسى

نشر فى جريدة الزمان بتاريخ ٩/ ١/ ٢٠١١

النفاق السياسي

إن بذور النرجسية، والمبالغة في ما تمتلكه(الذات) ، من ملكات وقدرات، موجودة، بشكل خفي عند الكثرة الكاثرة من الناس، وقد تظهر بشكل جلي متى ما أتيحت لها الفرص، فتبدأ عمليات التفرعن، والانفراد والاستئثار، والاستبداد، وسائر سمات التسلط المقيت، فالإنسان لا يولد جباراً، ولكنه يكون كذلك، حين تواتيه الفرصة، خصوصاً مع تخاذل المتخاذلين ونكوص القادرين على المواجه الساخنة الرادعة

كما إن جرائيم الخداع، والتضليل، والزيف، والدجل، موجودة في كل عصر ومصر .

إن اليقظة الذاتية هي إحدى كوابح النزعة التسلطية الذميمة، كما إن الصدق في التعامل مع الحكام فضلاً عمن سواهم من الغارقين إلى الأذقان في حب ذواتهم ومصالحهم، هو العامل الأخر المؤثر في تفتيت تلك الموجات الكريهة

والصدق هنا يستبطن الجرأة، والصراحة والمبادرة، لوضع النقاط على الحروف في ما يقدم عليه الحكام من ممارسات وقرارات، وحينها يضطر الجبار إلى اتخاذ أحد سبيلين:

أما التصدي لتصفية الصادقين المخلصين، ممن لم يحجبوا عنه الحقائق، وعندها تنكشف هويته الحقيقية، وتسقط عن وجهه كل الأقنعة وتبدأ عملية النضال المرير للخلاص من كابوسه، ولن تنتهي حتى يتدحرج إلى المصير الأسود المعلوم ..

واما الرضوخ والإذعان للضغوط المحيطة به، وتلطيف الأجواء، والميل

إلى شيء من الاعتدال والتوازن والعقلانية، وبهذا يتم تحجيم تلك المسارات المحمومة

إن الدكتاتورية البائدة لم تصل إلى ما وصلت إليه، من انتهاك للقيم الإنسانية، والفظاعات والجرائم الكبرى، إلا بعد أن خلع عليها المنافقون السياسيون، كل سمات العظمة، والعبقرية، ووصلوا بها إلى أعلى القمم..

أما سمعت بما قاله فيه ((شفيق الكمالي)) حيث خاطبه قائلاً:

لولاك ما خُلِقَ البشرْ ... لولاك ما طَلَعَ القمرْ

وهو نفاق سياسي صريح، لان (شفيقاً) لم يكن جاهلاً بحقيقة الطاغوت

بل لم يكن من محبيه .. ثم كانت نهاية المطاف ان ذاق على يديه كؤوس الموت الزؤام ..

إن الكثير من الجامعيين كانوا يعدون رسائلهم الجامعية لنيل درجة «الماجستير» أو «الدكتوراه» عن فكر القائد الضرورة (...)

وهي عملية لا تقل حقارة، ودناءة، وإساءة للعلم والمعرفة عن المعادلة

المغموسة بحبر النفاق السياسي

ودع عنك (معلقات) الشعراء الهابطين إلى الحضيض، في تمجيدهم (لأم المهالك) ولقائدها الأسطورة ...

وللزيف المقفى وللبارد من الاماديح

إن تجار الحروف، وباعة الضمائر والأقلام، والبارعين في فنون الدجل قد اثروا على حساب البائسين العراقيين الذين اضطروا إلى بيع بعض أعضاء أجسادهم لمواجهة الأزمة المعاشية الخانقة ..

واليوم تعاد الكرة، وينفتح الباب على مصراعيه، في تمجيد هذا القطب أو ذاك، جرياً على تلك القاعدة القبيحة والقرائح القريحة

أننا لا نبخس أحداً حقه، كما امرنا ربُ العزة - جلت آلاؤه - بقوله [ولا تبخسوا الناس أشياءهم]، ولكننا بالمقابل نرفض أن يختزل العراق -بكل ما يملك من حضارة، وإشراق، ورموز وعظماء -بشخص واحد، مهما أوتى هذا القطب، من براعة فائقة ومقدرة متميزة

إن علينا أن نذكر له -وببالغ التقدير- انجازاتة فنشكرها كما إن علينا أن نذكره بالاخفاقات والسلبيات، خصوصاً ما تحجبه عنه بطانات السوء، التي تتهدل منها الكروش، وتتزايد أرقام حساباتها السرية في المصارف وتتسع وتمتد سندات ملكيتها للعقارات إلى مختلف بقاع العالم....

إن علينا أن نستوعب الدرس وبحذر شديد، خشيه بروز حلقه جديدة من مسلسل الحكم القائم على الصنميّه، واحتكار السلطات بمختلف الذرائع والاساليب والمبررات

ان العراق الجديد يكفل لابنائه حرية التعبير، عما يجيش في صدورهم من إحاسيس ومشاعر، دون خوف أو وجل، وهنا لابد ان تتظافر جهود المخلصين الناصحين، لتكسر شوكة المنافقين الطامعين.



من قعر المعاناة إلى مقاصير الطغاة

نشر في جريدة الزمان بتاريخ ١١/ ١/ ٢٠١١

من قعر المعاناة إلى مقاصير الطغاة

التاريخ غني بأخبار الأمم والشعوب، وتقلبات الأوضاع السياسية والاجتماعية التي تحفل بها مسارات البشرية، عبر أقطارها، وأزمانها المختلفة ..

وكثير ما يسلط الأضواء على رجال لعبو أدواراً تاريخية في غاية الأهمية والخطورة، لاسيما إذا كانوا رموزاً، ينسب إليهم إسدال الستار على تاريخ دولة معينة، أقاموا على أنقاضها دولة أخرى

ونذكر هنا -وباختصار شديد- «عبد الرحمن بن مسلم الخراساني» المكنى بأبي مسلم الخراساني -الذي اعتبر القائم بالدعوة العباسية -واحد رجالها البارزين، بحيث أنه، كان يترنم كثيراً -بعد إسقاطه لدولة بني مروان بقوله

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت	عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا
مازلت أسعى بجهدي في ديارهم	والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا	من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنما في أرض مسبعة	ونام عنها تولى رعيها الأسد

وهي أبيات تقطر بالتغني بالذات، وأمجادها، وإنجازاتها، كما إنها تشير إلى قوته في المنازلة، وأهميته في مجالات الصراع السياسي مع الخصوم مَثلهُ في ذلك، مثلُ (الأسد) الذي لا يقهر !!

وبالفعل، فقد حظى «أبو مسلم الخراساني» بموقع متميز من قلب أبى العباس السفاح، أول خلفاء بني العباس، الذي شكر له أياديه ومواقفه، ومساعيه الكبيرة في قيام دولتهم

والسؤال الان:

بم كان يتشدق «أبو مسلم الخراساني» وهو يدعو الناس، في ظل دولة بني مروان للثورة عليهم والإطاحة بحكمهم

إنه لا شك، كان يطرح مسألة الظلم والطغيان في ممارسات بني مروان، معتبراً ذلك، أكبر المبررات للنهوض بوجههم، والإخلاص منهم

وحين أفل نجم دولة بني مروان، وثنيت الوسادة لبني العباس، واحتل (أبو مسلم) مكانته البارزة في دولتهم، هل فكر عمليا في تجسيد ما كان يدعو إليه من شعارات؟

هل عمل حقيقة، على تحقيق الآمال في العدل والإنصاف، ومحق الظلم والاعتساف؟ أم انه استنسخ كل الصور البشعة من مظالم الأمويين وزاد عليها؟

وحين يدوس الرجل بقدميه كل شعاراته، في تعامله مع ناسه ومواطنيه، ويتحول إلى طاغية مستبد مسعور، تعود المشكله الكبرى، مشكلة الأمة مع حكامها الظالمين، ورجالها المستبدين، لتبرز من جديد، وفي فصول داكنة سوداء مرة أخرى

إن التحولات الفظيعة تنقل أولئك الجائرين، من موقع اللامعين إلى موقع المتدحرجين إلى الهاوية

وهكذا تجني على نفسها براقش !!

لقد جاء في ترجمة الخراساني:

انه خطب يوماً، فقام اليه رجل فقال:

ما هذا السواد الذي أراه عليك؟

فقال أبو مسلم:

حدثني أبو الزبير، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ان النبي (ص)

دخل مكة يوم الفتح، وعلى راسه عمامّة سوداء، وهذه ثياب الهيبة وثياب الدولة

ياغلام اضرب عنقه «

إن إنزال عقبة الموت بالسائل، تعتبر أبشع صيغ الطغيان والظلم، حيث لم تصدر منه جناية تبرر العقوبة

ان هذه النزعة الدموية، لابد ان تدفع بصاحبها إلى المصير الاسود، وفي هذه الدار، قبل الدار الاخره، وهكذا كان، فلقد قتله المنصور العباسي، شر قتله سنة ١٣٧ هجرية

واحصى من قتله أبو مسلم صبراً، وفي حروبة، فكانوا ستمائة الف

ومن المفيد هنا انْ ننقل جواب عبد الله بن المبارك حين سئل:

أبو مسلم خيرٌ ام الحجاج؟ فقال:

لااقول إن أبا مسلم كان خيراً من أحد، ولكنْ كان الحجاج شراً منه

واليوم، وقد اعتلى العديد من المعارضين العراقيين للدكتاتوريه البائدة، كراسي الحكم، واحتلوا المواقع الرسميه في الدوله، يبرز السؤال التالي:

هل تمت المسارعة إلى ترجمة المعلن من الاهداف والشعارات، ابان أيام المعارضة، الى واقع حياتي، ينعم المواطنون العراقيون ببركاته وخيراته أم أن النسيان - وهو طبيعة ثانية للانسان كما يقول الفلاسفه - لفَّ تلك الشعارات، وطواها ودفع بها إلى الزوايا المظلمه؟

لقد هالني ما قرأت قبل ايام، من أن مسؤولَيْن معروفَيْن عرضا للبيع، قطعتي أرض، منحتها اليهما، بقرار عشوائي، قيمة كل واحدة (٣) مليارات دينار عراقي، هذا في الوقت الذي تئن فيه الملايين من العوائل العراقية بسبب أزمة السكن الخانقة

إن هؤلاء الفقراء يكتفون ببضع (أمتار) من الأرض، لتكون لهم المأوى، والملجأ ..!!!

وحين يصر المسؤولون على توسيع ممتلكاتهم على حساب الفقراء، الذين انتخبوهم واوصلوهم إلى السلطة، وبهذه الوقاحة، لابدَّ أن نقرع أجراس الانذار، ونشجب -وبلا هواده - هذه الممارسات الظالمة، ونحذر السادرين في غيهم، من اجتراح مثل هذه «القبائح» المنكرة، التي تنخر كيان الدولة والمجتمع، وتشيع روح الكراهية في أوساط المواطنين لكل من استحوذ على موقع مرموق في بلدنا المبتلى المظلوم.



من رياض الأمانة
إلى مستنقعات الخيانة

نشر فى جريدة الصباح بتاريخ ١٢/ ١/ ٢٠١١

من رياض الأمانة إلى مستنقعات الخيانة

في الستينات من القرن الماضي، زرت المرحوم الدكتور حسين علي محفوظ

وكان هاتف منزله عاطلاً عن العمل، فلم يترك هذا الامر يمر، دون انْ ينظم أبياتاً رقيقه، منها قوله: .

(التلفونُ) عِنْدنا حديدةُ معطلة
اخرسٌ بَلْ اصمُ لا يَسمع ما يُقال لَه

والمهم أنَ الشعر، لم يكن يغيب حتى عن مثل هذا الحدث العابر،

وأعني به عطل التلفون -، الامر الذي يشي بازدهار الحركة الأدبية وانتعاش الشعر العربي، هذا من جانب، كما أن هدوء البال، والبعد عن التشنج النفسي والاحتقان، من جانب اخر، والاجواء الآمنة، البعيدة عن الارهاب، والاضطراب، وتوتر الأعصاب، كانت من العوامل المساعدة على بروز تلك الومضات، واللقطات الممتعة، وحين انتهت الزيارة، خرجنا معاً فالتقينا (بموظف) كان قد أُرسل لإصلاح الخلل في هاتف منزل الدكتور، فبادر (محفوظ) لاكرامه وقدم له مبلغاً من المال واذا بالرجل ينتفض، رافضاً بشدة، أخذ الهدية ومستنكراً غاية الاستنكار تقديم (المكافأة) له، لانه لم يقم الا بواجبه

ان هذا الموظف الصغير، كان لا شك، بحاجة إلى المكافأة، فراتبه البسيط لا يفي بتغطية نفقاته المعاشيه، ولكنه كان مخلصاً نزيهاً، حيث أبى أن يمد يده لاستلام الهدية، وقد جاءته عفواً، ودون مطالبةٍ أو اشتراطٍ ان هذه الحادثه على بساطتها تذكرنا بأمرين مهمين لم نعد نشهدهما للأسف في أيامنا هذه وهما:

١ -المبادرة السريعة من قبل دائرة الهاتف، لارسال عامل، يُصلح الخلل في الهاتف المعطل، ويعيد (الحرارة) اليه، في حين أن عامةً المشتركين اليوم تصلهم قوائم الهاتف الأرضي وهي تضج بأرقام ضخمة دون أن يكونوا قد استفادوا منها شيئا وهكذا يتراكم الإهمال والتقصير من جانب ويطفو الإبتزاز المشؤوم من جانب اخر إن العفه عفة اليد، والتورع عن الكسب غير المشروع كانتا صفتين شائعتين، في أوساط العاملين في مختلف أجهزة الدولة، ومؤسساتها

وهما صفتان بالغتا الأهمية عمليا، حيث لا يرهق كاهل الفقراء بالناشز من الأعباء، ولا تجتمع عليهم، مصيبتان في وقتٍ واحد:.

مصيبة الإهمال

ومصيبة تقديم الأموال للموظفين المختصين

والغريب أن الهيئات الرقابية المختصة اليوم تُمسك في الغالب ((الأسماك الصغيرة)) وتترك ((الحيتان الكبيرة)) ليبقى الجشعون من مصاصي الأموال بعيدين عن المساءلة والملاحقة ...

ولقد تضخم ملف الفساد المالي والإداري عندنا، حتى أصبحنا من أكبر الدول فساداً، وأكثرها تمرداً وعناداً إن ظاهرة الإبتزاز وفرض (الإتاوات) على المواطنين من مراجعي دوائر الدولة تشكل مثلثاً رهيب الأضلاع:

ضلعه الأول: الخيانة لمتطلبات أداء الواجب، وضرب القوانين وقواعد الإنضباط، عرض الجدار

والضلع الثاني: .إيقاع الطلاق، لكل قواعد الأخلاق، حيث لا رحمة بالضعيف ولا مراعاة لأصول التعامل الإنساني الشريف

أما الضلع الثالث: . فهو غياب التحرج والورع، مع سبق الإصرار على إلتهام المال الحرام ودون رعاية للمقدس من الأحكام ..

إن هناك ما يشبه (البورصة) الفريدة، تزدحم على لوحاتها الأسعار، وتلتمع الأوراق الخضراء، إزاء انجاز المعاملات وهي تتفاوت كثيراً حسب طبيعة المعاملة المطلوبة

ولا يلوح في الأفق ان ثمة مشروعاً جاداً لانقاذ البلد من براثن هذه الآفة الخطيرة

إن آفة الفساد المالي والإداري لا تقل خطراً عن آفة الإرهاب، وإنهما وجهان لحقيقة واحدة، ولن يستعيد العراق عافيته ما لم يتخلص من هاتين العلتين الفتاكتين

ومن الطريف في ختام هذه المقالة أن نَذّكر بالمبادرة الأدبية الإعلامية النوعية التي قام بها الأديب الكبير الراحل الأستاذ جعفر الخليلي في اربعينيات القرن المنصرم، وعلى صفحات جريدته ((الهاتف)) حيث دعا أربعة من الشعراء وهم كل من (السيد محمد جمال الهاشمي

والأستاذ إبراهيم الوائلي والأستاذ مرتضى فرج الله والأستاذ نوري شمس الدين)) رحمهم الله جميعاً للدخول في مباراة شعرية، ينظم كل منهم قصيدة لاتزيد عن ٤٥ بيتاً

عن الرشوة على أن يعتبر المتخلف عن الموعد، داخلا في المباراة وفاشلاً فيها

واتفق المتبارون أنفسهم على ذلك أيضاً، وقد اختارت إدارة الجريدة لجنة تحكيم مكونه من: .

الشيخ محمد رضا المظفر، والشيخ محمد طاهر الشيخ راضي، والشيخ محمد الخليلي - تغمدهم الله بواسع رحمته ورضوانه واستجاب الشعراء.

ونظموا قصائدهم: .

ونالت قصيدة المرحوم السيد الهاشمي الجائزة الأولى وهي: .

المجموعة الكاملة لمؤلفات الخليلي صاحب جريدة الهاتف، ومطبوعات مطبعة الراعي النجفيه، وأعداد جريدة الهاتف لسنواتها التسع، مع هدية نقدية مقدارها خمسة دنانير، من أحد وجهاء البصرة

ومما قاله المرحوم السيد محمد جمال الهاشمي عن (الرشوة) في قصيدته

هي داءٌ لمْ يُرجَ منه شفاء ... حار فيه الآسي وخاب الدواء

كلُ ضُرٍ له انجلاءٌ وللرشوة ... ضرُ لايعتريه انجلاءُ

أيها المرتشي أهلْ بينَ جبينْكَ ... فؤادُ أم صخرةُ صماءُ

فيما احتلت قصيدة المرحوم الأديب الأستاذ إبراهيم الوائلي المرتبة الثانية

وجاء فيها: .

عظةُ الدهر ورمزُ الحِكم ... قصةُ مُوغلةٌ في القدم

واذا الرشوةُ سيلُ جارفُ ... يُنذرُ الناس كسيل العرمَ

محت الرشوة منها كلما ... شيّدته من بناءٍ مُحكم


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET



الخبر الفظيع والفشل الذريع

نشر في جريدة الزمان بتاريخ ١٣/ ١/ ٢٠١١

الخبر الفظيع والفشل الذريع

كان الإنسان العراقي، أرخص السلع، في سوق الإرهاب في ظل الدكتاتورية البائدة، ولم يكن النظام الدموي المقبور، يتورع عن إيقاع عقوبة الموت، بأي مواطن، لأتفه الأسباب

ومن هنا كانت كل الأطراف، من مؤسسات رسمية، ومقاولين وشركات من القطاع الخاص، وموظفين وعمال حكوميين، يخشون بطش السلطة وعقوباتها الموجعة، على التلاعب والتقصير، فضلاً عن الإختلاس والسرقة للمال العام

ولم تنخرم هذه القاعدة، إلا أبان سنوات الحصار الظالم، الذي فرض على العراق بعد حرب الخليج الثانية، وما سببَه من معاناة واختناقات حادة، رزحت تحت وطأتها معظم العوائل العراقية، فبدأت بالظهور، وعلى حذر شديد، مسألة (المساومات) على انجاز (المعاملات) في أجهزة الدولة ومؤسساتها، ولكنها رغم ذلك كله، لم تصل إلى مرحلة بلوغ الفساد المالي والإداري، درجته الكارثية

أما أوضاع العراق الجديد، بعد ٩ / ٤ / ٢٠٠٣ فقد فتحت المجال واسعاً، أمام عمليات النهب، والإختلاس، والإبتزاز، فخلال عام واحد، من العمل على راس سلطة الإحتلال، اخفى (بريمر) أثار (٩)مليارات دولار ..!! ولا يدرى أين ذهبت .!!

وانفجرت براكين الإستغلال، بعد ذلك، في معظم المراكز والمواقع الرسمية، حتى احتّل العراق - وهو بلد الحضارة والاشعاع الفكري والروحي -المراتب العالية في الفساد المالي والإداري، وأصبح يقرن (بالصومال) .!!

ولم ينقطع الإحتجاج على هذا المنحى الخطير، من قبل علماء العراق ومفكريه ومثقفيه، ورجال الإصلاح فيه، والتحذير من مغبة هذه الأفة الخطيرة، آفة الفساد المالي والاداري، التي هي توأم الارهاب، في نخر كيان الدولة والمجتمع وعلت أصوات المطالبة بوجوب محاسبة السّراق والمختلسين، الفاسدين المفسدين، دون أن تؤدي إلى فارق ملحوظ في نسب الفساد المتفشي، لاسيما بعد صدور (العفو) عن بعض الضالعين بارتكاب تلك الجرائم، وبعد ماعانته الهيئات الرقابية، من صعوبات بالغة، وهي تحاول النهوض بأعباء مسؤلياتها

وأخيراً وقبل أيام تحديداً، رفع شعار (من أين لك هذا؟) رسمياً .!!

والسؤال الأن:

ماهي أسباب التأخر في هذا الإعلان؟

ولصالح مَنْ التراخي والفتور، في ملاحقة مصاصي الدماء، والناهبين لقوت الشعب وثروات الوطن؟

أما الخبر الفظيع، فهو ما كشفته مؤخراً هيئة النزاهة العامة، مِنْ أنّ اعداد المحالين، من موظفي المؤسسات الحكومية إلى المحاكم بتهم الفساد في العام المنصرم، بلغت ثلاثة أضعاف الأعداد المسجلة في العام الذي سبقه .!!

إذن فالأرقام المرعبه في تصاعد، وحالات الفساد المهلكة في تزايد، وهذا هو الفشل الذريع بعينه، في علاج هذا الداء الفتاك

وبصراحة:

إن إجراءات الحكومة، في مضمار وضع حد حاسم، ونهاية حقيقية، لجرائم الفساد المالي والاداري خجوله وضعيفة، وهذا ما يثير العديد من علامات الإستفهام؟

كما أن دفاع بعض الكتل السياسية عن الفاسدين من رجالها، هو الاخر، موضع استغراب وتساؤل؟ !

ومن أولويات القضايا التي يجب على مجلس النواب « الحالي التحرك عليها، هي هذه المسألة بالذات، لمسؤوليته الوطنية والتاريخية والسياسية في الحفاظ على ثروات الوطن وأبنائه وامتلاكه القدره على كشف المخبأ من أسرار (المافيات)، للشعب العراقي المنهوب، ولاشك أن هذا الانجاز سيلقى من الشعب أروع التقدير وسيرفع من منسوب الثقة به، والتطلع اليه، في حل المشكلات، وتحقيق الأماني والطموحات ...

إن حديث العراقيين، في لقاءاتهم ومجالسهم، في داخل الوطن وخارجه، لايتعدى أخبار الفاسدين والمفسدين، في أجهزة الدولة ومؤسساتها، ويكاد لا ينتهي من استعراض الفضائح التي تزكم رائحتها الأنوف ..!!

وكل ذلك يضعف هيبة الدولة، ويعرّض الثقة برجالها إلى اهتزازات بالغة الخطورة.

ان شرائع السماء والأرض كلها والمعايير الإنسانية، والقانونية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والاخلاقية، كلها، تدعونا إلى أن نعلن براءتنا من كل الفاسدين المفسدين والمتسترين عليهم

وهي لعنه مستمده من لعنة الله ورسوله، وأنبيائه، وملائكته وعباده الصالحين، أجمعين، على عصابات الفاسدين المفسدين، ومن يتستر عليهم أو يدافع عنهم.



من الفقر المدقع إلى البطر المفزع

نشر في جريدة الزمان بتاريخ ١٥/ ١/ ٢٠١١

من الفقر المُدقع إلى البطر المُفزع

النفس البشرية عالم فريد مليء بالأسرار تتلاطم فيه أمواج الرغبات والأمنيات والأفكار والتصورات والمخاوف والمطامع، وهو كثير التضاريس والمنعرجات، وشديد الانفعالات متعدد الغرائز وعميق الأغوار ..

ومن السذاجة والتسطيح إن ينظر إلى الكيان الإنساني وكأنه (لغزٌ) قد تمَ التوصلُ إلى حَلِهِ وفهم ما انطوى عليه من معادلات خفية وقضايا مطوية

إن لحالات الإنسان المختلفة وأطواره، غنىً وفقراً، ورضاً وسخطاً، وصحة ومرضاً وتطرفاً واعتدالاً، وبشاشةً وعبوساً، وأملاً وقنوطاً، انعكاساتها الرهيبة، ليس على سلوكه الإجتماعي، وطريقة تعامله مع الأشخاص والأشياء والأحداث فحسب، بل حتى على عقائده الدينية، ومتبابنة الفكرية ....

فليس ثمة ما يضمن، إن يبقى الوادع اللطيف، وديعاً لطيفا إذا ثنيت له الوسادة، وأمسك بزمام السلطة، أو بشيء منها، وأصبح قادراً على أن يذيق الناس، كؤوس العذابات المرة.!!

كما أنه ليس ثمة من ضمان على أن يبقى، سوياً منضبطا، إذا انفتحت عليه أبواب الثراء وانهمرت ينابيع الرخاء، وتكدست بين يديه رزم ضخمه من الأرقام والحسابات

وهكذا ..

إن الامتحان الصعب، الذي يخوض غمار معاناته الناس جميعاً، فمنهم من ينجح، ويفوز في العاجل والأجل، ومنهم من يفشل، ويتدحرج إلى قاعٍ سحيق، فيصطلي بلهيب النيران، ويدفع ثمن الطيش والمغامرات والنكران ..

هذه هي طبيعة الحياة في شوطها الأول بكل ما ينطوي عليه، من إشكال وأوضاع ....

ومن هنا تبرز الحاجة إلى عامل ((التوازن)) الذي يعتبر صمّام الأمان في المعادلات الصعبة كلها، وبمفرداتها الروحية والدنيوية، ولابد من تغليب (العقل) على (العاطفة) في كل الأحوال: .

ولقد صوّرتُ ذلك في بيتين، فقلت:

مـــا بـــين قـــلبـــي وعـــقـــلي تـــــدور كـــــبرى المـــعـــــارك
ولــــو تـغـلّـب قلبـــــي لـكـنـتُ أهْـــوَنَ هـــــالَك

ويعتبر استذكار الرقابة الالهيّه، أهم العوامل الرادعة، عن كل عمليات الإنحراف، والسقوط الأخلاقي، والسياسي والاجتماعي

ومن الأمثله البارزة على امكانية تحول الإنسان من خندق الإنسانية إلى خندق (البهيمية)، ومن حالة (الاعتدال) إلى حالة (الإختلال) قصة (ثعلبة بن حاطب) والتي كانت سبباً لنزول عدة آيات بينات من كتاب الله العزيز

والقصة تقول: -

إن ثعلبة بن حاطب، كان رجلاً فقيراً مملقاً، ولم يكن ينقطع عن المسجد، وكان يصر على النبي (ﷺ) أنْ يدعو له بالمال الوفير، فالعُقدة في حياته، هي الفاقة والعوز وانعدام السيوله

والرسول (ﷺ) قمة الكرم والعطاء، فكيف يبخل على سائل بدعاء؟ إلا أنه استشف بثاقب بصره، أن المال الوفير، قد يلعب دوراً عكسياً في حياة (ثعلبه)، فقال له:

«قليل تؤدي شُـــكره خيرٌ مِنْ كثيرٍ لاتُطيقُه»

إلا أن (ثعلبه) واصل ضغوطه على الرسول (ﷺ) ليدعو له بما أراد، حتى قال للرسول (ﷺ):

والذي بعثك بالحق نبياً لئن رزقني الله لأعطين كل ذي حق حقه ...

وهنا لم يشاء الرسول (ﷺ) وبعد ذلك القَسَم، أنْ يحجب عنه الدعاء، فدعا له بان يرزقه الله مالاً وفيراً.

ولم تمضِ فترة، حتى توفي ابنُ عمٍ له -على رواية - وكان غنياً جداً، فانهمرت عليه ثروة عظيمة بالميراث

وفي رواية أخرى، أنه اشترى غنماً فتوالدت، وكثرتْ، بحيث لم يعُدْ قادراً على الإمساك بها وهو في المدينة، فاضطر إلى الخروج منها إلى أطرافها، وهكذا كان خروجه سبباً في ابتعاده عن المسجد، وعن (الجماعة)، وأخيراً عن (الجمعة).

ثم إن الرسول (ﷺ) بعث إليه جابي الصدقات ليأخذ منه الزكاة، فتباطيء ثم امتنع وحنث باليمين، والعهد بل لم يكتفِ بذلك، حتى اعترض على تشريع الزكاة، وعّدها أخت الجزية !!

وهكذا مسخ المال شخصيته، ودفعه حب الدنيا إلى إنكار التشريع الإلهي، والانسلاخ من ربقة الإسلام .

وحين بلغ النبي (ﷺ) ما قاله (ثعلبه) قال:

ياويح ثعلبه

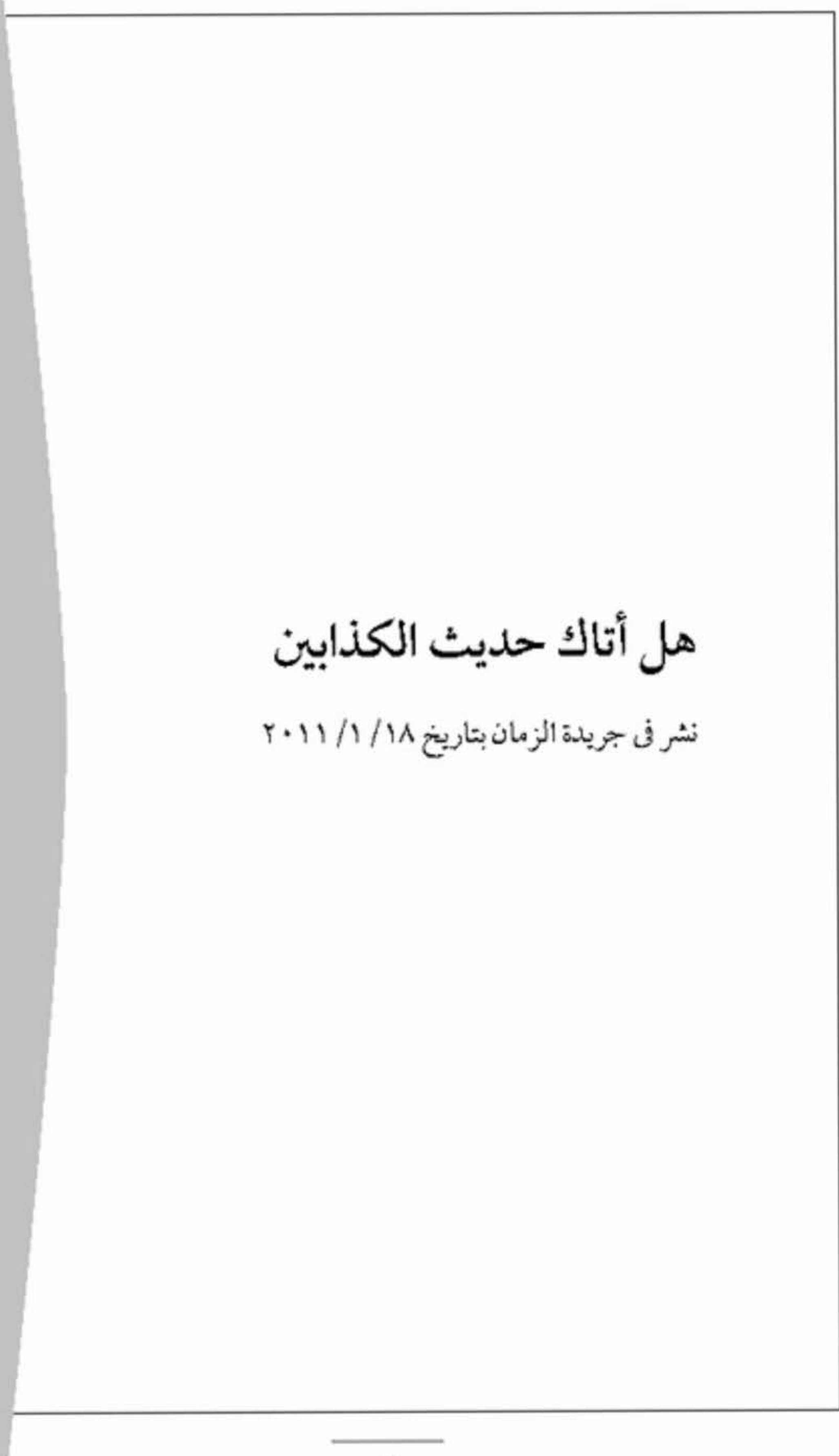
ياويح ثعلبه

فنزل قوله تعالى

(ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدّقن ولنكونن من الصالحين. فلما أتاهم من فضله بخلوا به وتولوا عنه وهم معرضون فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه، بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) التوبة ٧٥- ٧٧

وكما مسخ المال شخصية (ثعلبه) مسخت (الكراسي) الوثيرة، شخصيات كثيرة، في العراق الجديد، كنّا نرمقها بعين التقدير والإحترام، فإذا هي اليوم في تَرَفٍ عجيب، وبَطَرٍ رهيب، بعد أن توفرت لها عوامل الانعتاق من ربقة الضوابط والأخلاق، فأصبحت هي في واد، وملايين العراقيين المحرومين، من أبسط الخدمات، في واد أخر .

إنه السقوط المدوي الفظيع، والإنطفاء السريع، وأبشع صور الضياع والتضييع.



هل أتاك حديث الكذابين

نشر في جريدة الزمان بتاريخ ١٨/ ١/ ٢٠١١

هل أتاك حديث الكذابين؟

من القصص التاريخية الحافلة بالعديد من العبر والدروس قصة ذلك الواعظ الكذوب الذي قام في مسجد الرصافة بعد أن أدى الصلاة فيه كل من (أحمد بن حنبل) و(يحيى بن معين) فقال:

حدّثنا أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين قالا:

حدثنا عبد الرزاق، قال:

حدّثنا معمر عن قتادة عن أنس قال:

«قال رسول الله (ﷺ):

منْ قال (لا اله الا الله)، يخلق من كل كلمة منها، طائر، منقاره من ذهب، وريشه مرجان... واستمر في كلام بارد، يسوّد وجه عشرين ورقة، لو أُريد له أنْ يكتب..!!

فجعل (أحمد) ينظر إلى (يحيى)، و(يحيى) ينظر إلى (أحمد) فقال:

أنتَ حدّثته بهذا؟، فقال:

ما سمعتُ بهذا إلاّ الساعة

فسكتا جميعاً، حتى فرغ، فأومأ (يحيى) بيده للواعظ أنْ تعال، فجاء متوهماً لنوال يُجيزه به، فقال له يحيى:

مَنْ حدّثك بهذا؟

فقال له:

أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين

-قال ذلك وهو لا يعرفهما معرفة شخصية، ولذلك لم يشعر بوجودهما في المسجد -، فقال يحيى:

انا أبن معين، وهذا أحمد بن حنبل، ما سمعنا بهذا قطّ في حديث رسول الله (ﷺ)، فإنْ كان ولا بُدّ لك من الكذب فعلى غيرنا (....)، فقال له:

أنت يحيى بن معين

قال: نعم

قال: لم أزل اسمعُ أنّ يحيى بن معين أحمق، وما علمتهُ إلا هذه الساعة"

قال له يحيى: وكيف علمتَ أني أحمق؟ قال:

كأنه ليس في الدنيا يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل غيركما، كتبتُ عن سبعة عشر أحمد بن حنبل، غير هذا،

قال: فوضع أحمد كُمَّه على وجهه وقال:

دَعْهُ يقوم، فقام كالمستهزئ بهما".

الذين يعتاشون على الأكاذيب، والحيل والأحابيل، والشعوذه والدجل، والخرافات، موجودون في كل عصر ومصر، فهم يصطادون السذج من الناس، وينفثون سمومهم في أوساط الطبقات الشعبية، المحرومة من نور العلم، والتي لم تنل نصيبها من الثقافة والمعرفة، ولا دراية لها بشؤون التشريع والحديث ..

إلاّ أن أخطر تلك الأكاذيب، الأحاديث التي تتأطر بإطار ديني مقدس، وتنطلق بجرأة، وكأنها الحق الصراح الذي لا ارتياب فيه ..!!

ولا احد يستطيع إنكار تسرب العديد من الإسرائيليات، والخرافات، والأساطير التي ما أنزل الله بها من سلطان، إلى الكثير من الكتب والمصادر، وقد ألقيتْ بعضُها مِنْ على المنابر، في تناسب طردي مع ضحالة، مؤلفي تلك الكتب وأصحاب تلك الخُطَب ...

إنها إحدى الدواهي العظمى التي مُنيتْ بها سوح الفكر والتبليغ، على مدار التاريخ، على يد حفنة من الأفاكين الشذاذ، الذين اختاروا هذه الوسائل الدنيئة، للفتك بعقول الناس وجيوبهم ..!!

وبطل هذه القصة، واحدٌ من طبقة معروفة، كانت تسمى ب (القصاصين)، تتخذ من المساجد، والمحافل الدينية والشعبية، منطلقاتٍ، لتمارس دورها الوضيع، في إشاعة الخرافة، وترويق الأباطيل، واختلاق الاحاديث، دون وازع من تقوى الله أو نصيب من العقل والتمحيص السندي والدلالي ..

وحين قيل لبعض رموزهذه المدرسة الذميمة: كيف تستسيغون الوضع في الحديث، والكذب على الله؟

قالوا: نحن نكذب له، ولا نكذب عليه

وكأنهم يرون أن الغاية تبرر الوسيلة .!!

وما داموا يدّعون أنهم يريدون خدمة الدين، فلا جناح عليهم، إذا ما لجأوا إلى اصطناع الأكاذيب، لحمل الناس على الطاعة..!!

وفاتهم أن الدين ليس بحاجة إلى أكاذيبهم الباردة، وبضاعتهم الفاسدة، فالدين، من القوة والنصوع، بدرجة تجعله، في غنى مطلق، عن اساطير الدجالين، وأحاديث الكذابين، وهو يرفض جملة وتفصيلاً كل تلك المناحي الهابطة، والأغراض الساقطة ...

ويلاحظ في هذه القصة:

أن وقاحة الكذاب، المتلبس بلبوس الدين، بلغت درجة التطاول على منكري أقواله من العلماء، واجتراح كذبة جديدة تضاف إلى اختلاق الحديث، حيث ادعى أنّ هناك، سبعة عشر أحمد بن حنبل، غير أحمد بن حنبل المعروف.!!

وانصرف مستهزئاً، ناجياً من أي سوء !!

هذه الخاتمة المحزنة، تذكرنا اليوم، بما يلقاه الصادقون المخلصون، من أصحاب الضمائر النقية، والنزعة الوطنية، من مصائر محزنة، حين يكشفون عن أسرار تلاعب الفاسدين المفسدين، بقوت الشعب عبر تسريب المواد غير الصالحة للإستهلاك البشري، في ضمن ما تشتمل عليه البطاقة التموينية من مواد، أو أية صفقه مشبوهة، يقدم عليها هذا الخائن أو ذاك، فتدور الدوائر على المخلص الطاهر وينجو منها المفسد الفاجر .!!

وهكذا تتراكم المظالم وتستمر فصول الوضع القاتم

إنّ ما حدث في (تونس) يكفي لأن يملأ قلوب الفاسدين المفسدين خوفا منْ غضب العراقيين، وهم يكرعون كؤوس عذاباتهم الطويلة . من الإنقطاع الطويل للكهرباء في غمرة برد الشتاء، وتردي الخدمات الأمنية والصحية والتعليمية ...ناهيك عن البطالة، ومشكلات السكن والإعاله .. إلىآخر ما في قاموس المعاناة الرهيبة القاسية، للملايين من الفقراء والبائسين

ونرجو ألا يمر هذا الدرس البليغ، دون تفهم عميق، أملين تفعيل المشاريع والبرامج الكفيلة بإخراج الشعب من البؤس والضيق .



الولاء للوطن والجنود المجهولون

نشر في جريدة الزمان بتاريخ ٢٩/ ١/ ٢٠١١

الولاء للوطن والجنود المجهولون

قال الشاعر:

إنما هذه المواطن أمٌ مستحقٌ لها علينا الولاءُ
إنْ خدمنا فلا نريد جزاءاً ومِن الأمّ هلْ يُرادُ جَزاءُ

إنشداد الابن إلى أمّه، فطريٌ عزيزي، تعززه عند الانسان معرفته التفصيلية، بعواطفها الثرّة، ومواقفها الفريدة، في الحنو عليه، ورعايته، والسهر على راحته، والتفاني من أجل إسعاده ....

ومن هنا يجري حبها مع الدم في عروقه ...

ورحلة الأم المُضنية، في هذا المضمار، تبدأ قبل أن يفتح الابن عينيه، ويطل على هذا العالم

إنها تبدأ منذ الحمل، وشهوره الأولى، وتستمر دون توقف، في دورة متميزة الفصول، كريمة الأصول، حافلة بكل ما في قاموس الأخلاق من نكران للذات، وتضحية ومُفاداة، وإيثار ونبل، وشغف يفوق حد الخيال ...

فليس غريباً إذن، أن نشهد الروائع، والملاحم الإنسانية، في علاقات الأبناء والأمهات

وإذا كانت (الأوطان) تحتضن الأبناء كالامهات، فمن حقها عليهم، أن يكون ولاؤهم لها، حاراً عميقاً صادقاً

وهذه المسألة بالذات، مسألة الولاء للوطن، تعتبر الكاشف الحقيقي، عن حجم الإعتزاز بتراب الوطن، وصدق الحب له، والإنتماء اليه، وبذل الغالي والنفيس من أجله، وفي سبيل رفعته وازدهاره وعلو مكانته، والدفاع عنه بكل ذرة من ذرات الوجود

إن هذا الوِلاء العميق هو مقتضى القاعدة « في علاقة الابن بأُمّه، وكذلك يجب أن يكون، في علاقة (المُواطِن) الصالح بوطنه، حيث أن الوطن بمثابة الام - كما قال الشاعر - وهي تستقطب ولاء أبنائها، وتفجر فيهم ينابيع الإخلاص، وانهار المحبة بيانها العذب الذي يُحيل المساحات العطشى إلى واحات غنّاء، ويروى كل الظِماء .

غير أنّ هذا الولاء المفترض، قد اعتراه من الفتور، ما تغيّرت معه المعادلات التقليدية كلها ..!!

إنّ الولاء للوطن، تحّول عند المحترفين السياسيين، إلى ولاء للذات، وللجهة، وللطائفة، وللقومية، وللمنطقة، وأحيانا - وهذه هي الكارثة العظمى - إلى الأجندات الخارجية الموحى بها، والتي لا تريد للوطن، إلا التأخر والاضطراب، وإلاّ الشقاق والاحتراب، وإلاّ تعميق الخلافات بين الكتل والأحزاب، إلى آخر ما في هذا الباب، من مفردات وأتعاب ..

هذه هي الحقيقة المرّة التي يقفز عليها الكثيرون، ولكنها لاتغيب عن الراصد المراقب للساحة السياسية العراقية ..

وتبرز هنا ظاهرة «الحنث باليمين»، والتي لا يسلم منها إلا النادر من عبيد المناصب

إن من المعروف للجميع، أن أحداً لايتوّء منصبا خطيراً إلا بعد ادائه اليمين، وفي هذا اليمين من التشديد والتغليظ، في وجوب التفاني والإخلاص، للحفاظ على تراب الوطن، وسمائه، ومياهه، وسيادته واستقلاله، ما فيه ...

ومع ذلك كله، ينشغل المؤدون لهذا اليمين بعدة أولويات، في طليعتها احراز الحصة المهمة من الكعكة، في مسار محموم، مُباين لمضمون اليمين، وصيغته، ودون التقيّد بحرمته الشرعية والقانونية ..

وتطفو المفارقات على السطح، لتزيد الطين بلةً، وتضيف إلى الملف الساخن مزيداً من التعقيد...

والسؤال الآن:

كَم همْ أولئك الذين يفتحون مسامعهم وقلوبهم لمثل هذه التذكرة؟ !!

ومَنْ منهم ينطبق عليه وصف القائل:

وليس صديقي مَـنْ إذا قلتُ كلمةً	تخـيّـل في أثـنـاء موقـعـهـا أَمـرا
ولكـــنه مَنْ إنْ قطعتُ بناتَـــه	تـوهـمـهـا قـصـداً لمصلحة أخـرى

هل يسوغ المطالبة بثمن خدمة الوطن؟

إن بعض المبالغين في الاستحواذ على المكاسب والامتيازات ربما يُخيل له، أن ذلك أمرٌ مشروع، حيث أنه الثمن والجزاء، لما قدّم من أعمال وانجازات(....)، وفاته أنَّ الابن البار، ليس له مطالبة أمهُ بالجزاء، فهذه المطالبة هي الحماقة بعينها ..!!

إننا نتطلع إلى أن يكون للعراق في كل مرفق عام، وفي كل مجال من مجالات البناء، والإعمار، والتنمية، والنهوض بتغطية الحاجات الانسانية والاجتماعية والصحية والثقافية والتربوية والإعلامية فيه جنود مجهولون، لا يريدون لجهودهم النابعة من حبهم للوطن، ذلك الجزاء المُثقِل لكاهل الوطن وأبنائه

إن قافلة الجنود المجهولين تضم بين حناياها، الصفوة الطيبة، من الوطنيين المخلصين الصادقين، العاملين بجدٍ وصمت، ولهؤلاء فقط دون غيرهم، من الانتهازيين والمتاجرين بالشعارات، موقعهم الفريد في وجدان الامه، وفي ذاكرة الوطن

وإليهم منا، أزكى التحايا، وأعظم التقدير، وخالص الدعوات والأمنيات.

وصدق من قال:

إذا أعجبتك خصـــــالُ امرئٍ	فَـكُـنْـهُ تـكُـنْ مـثْـلـما يُـعْـجِـبُـكْ
فـلـيـس عـلى المـجـد والمـكـرمـاتْ	إذا جِـئـتَـهـا حـاجـبٌ يَحْـجِـبُـكْ



تأخير المتقدم وتقديم المتأخر

نشر فى جريدة البيّنة الجديدة ٣٠/ ١/ ٢٠١١

تأخير المتقدم وتقديم المتأخر

قال الزمخشري (ت٥٨٣ هجرية):

تعجبْتُ مِنْ هذا الزمان وأهله   فما أَحَدٌ مِنْ ألسُنِ الناس يسْلَمُ
وأخرّني دهري وقَدّمَ معشَرَاً   على أنهم لا يعلمون وأعْلَمُ

في التاريخ البشري، ألوانٌ من المفارقات، قد ترتقي أحياناً إلى مرتبه (العجائب) الكبرى، وإلا فما معنى تسنم(المعتصم) الخلافة بعد أخيه المأمون، عالم بني العباس-، وهو - أي المعتصم- أميٌّ لايفقه الإلمام بالحروف الأبجدية .!!

يقول التاريخ:

وصله كتابٌ من أحد ولاته يقول:

(وأُمْطِرنا مطراً كثر معه الكلا) فقال لكاتبه -وهو يقرأ له الرسالة -:

ما معنى الكلا؟

فلم يكن بمقدوره أن يجيب .!!

فقال المعتصم:

سبحان الله، خليفةأُميّ، وكاتب أُميّ ..!!

مع أن الكلا ليس من المفردات الغريبة الغائبه، عن الأذهان، إنه - العُشْب -، كما هو معلوم،

ويبقى هذا المسلسل الرهيب من العجائب، يتكرر جيلاً بعد جيل، حتى وصل إلينا، في أبشع صوره وألوانه، وعلى كل الصعد والمستويات .!!

وإذا كان الزمخشري ينعى على زمانه، أنه قَدّمَ عليه، من لايُقاس به في العلم، فإننا نشهد اليوم، تقدم مزوري الشهادات العلمية، على أصحاب الكفاءات الحقيقية من الأكاديميين

إنّ (فيروس) الأميّة - بمعناها الأعم - الشامل لكل ضروب التخلف الحضاري، والثقافي، والمعرفي، يكاد لايبارح معظم المواقع الحساسة في البلد .!!

واذا كان العلم، والكفاءة، والخبرة، والقدرة على النهوض بالمسؤولية، والنزاهة في طليعة المعايير الموضوعية، التي يجب أنْ تُراعى، في قضية منح الحقائب والمناصب،

فإن محترفي السياسة، في العراق الجديد، قد شيّعوا هذه المعايير والضوابط ودفنوها في مقابر المحاصصات السياسية، والطائفية، والقومية، وبات البلد خاضعاً للأهواء،

والمصالح الذاتية والفئوية، ورهينة الممارسات الفجة، والصفقات المشبوهة .

وعلى الاسس الحضارية، والقيم الموضوعية، والعدل، وتكافؤ الفرص، والحقوق الانسانية المهضومة السلام .!!

إنّ ألسنة الناس إذا كانت تتناول بالنقد، والتجريح، أولئك الوالغين في مستنقعات المخالفة الصريحة للدستور، والمحتالين على القوانين، واللاهثين وراء الأطماع والمصالح الذاتية والفئوية، والمتصيدين في الماء العكر، فلا موضع لتوجيه اللوم أو العتاب لهم، لأنهم إنما يرفضون التعايش مع الظلم والظلام، ويدينون الأقزام ..، وكل ذلك لايصطدم مع القواعد والآداب العامة، ولايشكل خرقاً للقيم والموازين

ألَمْ تسمع قوله تعالى:

(لا يُحب الله الجهر بالسوء من القول إلاّ مَنْ ظُلم) النساء/ ١٨٤

فمن حق المظلوم أن يرفع عقيرته بظلامته، بل من واجب المواطنين العراقيين جميعاً أنْ يهبوا، لإنقاذ البلاد والعباد، من كابوس المحاصصات، فإنها مقبرة المواهب، ومصيبة المصائب، وعجيبة العجائب

إن تقديم المتأخر، وتأخير المتقدم، ما هو إلا السرطان القاتل الذي لاتنفع معه كل - (المُسّكنات) على - قلتها-

وانه لمن المحزن حقاً، أن يكون العراق، مهد الحضارات الكبرى، ومثوى الأنبياء والائمه، ومهوى القلوب والأفئده، وبؤرة الفكر والمعرفة والإبداع، وموطن العلماء الأفذاذ ..، أسيراً لألاعيب «المحاصصة»، ومحروماً من معظم الخدمات، ولا يسمع من الساسة، إلا البارد من المبررات، والناشز من النغمات.



أين الحوارات الساخنة

نشر في جريدة الزمان بتاريخ ٣١/ ١/ ٢٠١١

أين الحوارات الساخنه؟

من أهم الأولويات التي لايسوغ للمسؤول الغفلة عنها، معرفة نبض الشارع، وما يعتمل في نفوس المواطنين، وما يتداولونه من قضايا، وما يطمحون اليه، وما يرزحون تحت وطأته من اعباء ..

لماذا؟

لأن المنصب الرسمي تكليف لا تشريف، وهو فرصة لتقديم أكبر حجم من الخدمات للمواطنين، وليس فرصة للانتفاخ الذاتي، وتكديس الثروة، واستغلال المنصب، والعناية الفائقة بالأهل والأقربين والأصهار والأصدقاء بعيداً عن هموم الناس ومشكلاتهم الحياتية

إن اهتبال الفرص السلطوية لتكريس الذات -الفردية أو الجماعية -خيانة حقيقية للشعب والأمة،تُدخل أصحابها في عداد المنبوذين ..

ومن وسائل الوقوف على نبض الشارع، التماس المباشر بين المسؤولين والمواطنين، وهذا ما يتهرب منه الكثيرون (...) لِقِصَرِ نظرهم وضيق أفاقهم، وتزايد مخاوفهم من الاحراجات التي قد يسببها لهم هذا الانفتاح، بينما هو طريق صحيح لتشخيص الداء ومن ثم تقديم الدواء

إن كتب التاريخ، تروي لنا العديد من الحكايا والقصص، التي تكشف عن ممارسة بعض الطغاة والجبارين من الحكام، فضلاً عن غيرهم، لمثل هذا الأسلوب ..، فلماذا لا يلجأ اليه حكامنا البعيدون عن مثل تلك المظالم والسيات؟

لقد وقفت على حوار ساخن، جرى بين الحجاج بن يوسف الثقفي - وهو الجزار الشهير، والسفاك الكبير الذي لايجهله أحد، والذي قال فيه الخليفة عمر بن عبد العزيز (لو جاءت كل أمةٍ بجبارها وجئناهم بالحجاج لغلبناهم) في ادانه صريحة غاضبة لأسلافه الذين سلطوا هذا الغشوم الظلوم، المتعطش للدماء على رقاب المسلمين -وبين رجل من الحجيج، وقد جرى الحوار في المسجد الحرام، وفي موسم الحج تحديداً، فلقد استرعى انتباه الحجاج أعرابي، كان يلبي بصوت عال (...)، فأمر بجلبه، وهنا بدأ الحوار الساخن - على ما جاء في بعض المصادر -: سأله الحجاج قائلاً: ممن؟

فأجاب الأعرابي: من بطن أمي، ولم يقل له من أية عشيرة أو بلدة

قال الحجاج: من أين استقصي أثرك؟

فأجابه: من ظهر أبي

قال الحجاج: بل أعني من أين جئت؟

قال: من الطائف

-ويبدو أن الأعرابي، لم يكن يريد أن يسهل على الحجاج مهمته

في التعرف عليه -

قال الحجاج: كيف تركتَ محمد بن يوسف؟

والحجاج هنا حين علم أن الرجل من الطائف، بادر بالسؤال عن أخيه (...)

-وكان والياً على الطائف -، وهما وجهان لعملة واحدة،

فأجابه الأعرابي قائلاً:

[تركته عظيما، جسيما، خراجا ولاَجا، لبَاسا حريرا، أكلاً شارباً يلعب باموال عباد الله]

قال الحجاج: أنا لا أسالك عن سيرته الذاتية، وإنما أسأل عن سيرته الاجتماعية مع الناس

فأجابه الاعرابي:

تركته ظلوما غشوماً، أمراً بالمنكر، تاركاً للمعروف، عاصيا لله، مطيعا للناس

قال الحجاج أتقول ذلك وأنت تعلم موضعه مني؟

قال: بلى أنا زائر لنبي الله (ﷺ)، ووافد على بيت الله، افتراه أعز مني بمكانتي من الله ونبيه؟

فسكت الحجاج

وانسل الرجل ....

وهنا لا بد من ملاحظة هامش الحرية الذي تركه الحجاج للرجل، في أن يفضي بكل ما يريد قوله، من نقد لاذع، ووصف للحالة بارع، وتذكير نافع، للظلوم الغشوم، دون أن تأخذه في الحق هواده.

والسؤال الأن:

كم من المسؤولين اليوم من يلجأ إلى مثل هذا الاستنطاق مع عامة الناس؟

وكم منهم من يسمح للمتحدث في الاسترسال بذكر المعيب من الصفات والخصال والأعمال؟

وكم منهم من يقوى على الاصغاء لمثل ذلك البيان المليء بالنقد والاستهجان؟

ثم كم منهم من يملك نفسه من الغضب والانفعال مع أمثال هؤلاء الرجال؟

إننا ندعو من موقع النصح، والحرص على الصالح العام لتكثيف اللقاءات والحوارات والمكاشفات، بين المسؤولين والمواطنين في جو من الصراحة والواقعية، وفي ذلك صلاح البلاد، وطي لملفات التقصير والعناد.



من الأمير الظالم
إلى رموز السلوك القاتم

نشر في جريدة الزمان بتاريخ ١/ ٢/ ٢٠١١

من الأمير الظالم إلى رموز السلوك القاتم

قرأنا في بعض كتب الادب، قول الشاعر يصف حكماً ظالماً:

قد بُلينا بأمي ظَلَمَ الناسَ وسَبَّحْ
فهو كالجزَّار فينا يذكرُ الله ويذبح

إنه وصفٌ بالغ الدقة والإبداع، للحاكم الذي يتبرقع بالدين، ويتمشدق بالالتزام والعبادة، ويتظاهر بالتقوى والورع، ولكنه ظلومُ سفاح، لا يبالي بإراقة الدماء وإزهاق الأرواح، وإذلال الناس في انتهاكات صريحة، لجوهر الشرائع والأديان وخروج واضح على كل القواعد الإنسانية والقانونية والشرعية والأخلاقية

إن البحث عن الغطاء الشرعي، للممارسات السلطوية الجائرة ظاهرة مالوفه على مدار التاريخ وإن أخطر ألوان الإساءة إلى الدين، هو ما يقترفه المتسلطون على رقاب الناس باسم الدين والدين، براء مما يصنعون ....

وقد مَرت الإنسانيه بحقب تاريخيه، كان يذبحُ فيها المعارضون بجريرة (الزندقه) في حين أن الدوافع الكامنه وراء تصفيتهم لم تكن إلاّ المعارضة السياسية

ولقد تتبعت السلطات الأمويه والعباسية أنصار أهل البيت (عليهم السلام)، من علماء ومفكرين، وقوافل ضخمه من الأبرار والأحرار والحرائر وراء كل حجر ومدر، وكالت لهم ماشاءت من التهم الزائفه لتحجبهم عن مسرح الحياة ...

وكل ذلك قد تمَ استناداً إلى فتاوى وعاظ السلاطين، وفقهاء السوء، والتي صدرت بلا هواده، طبقا لمقاسات الطغاة وهوى الحكام الجبابرة

وقد شهد العراق في العقد الأخير من أيام الدكتاتورية البائدة ما يسمى (بالحملة الإيمانية) التي أطلقها الطاغية المسعور بعد أن لبس جبة الناسكين وتظاهر بحبه للدين والقيم المقدسة حتى كتب القرآن العظيم بدمه ....، والدم -كما هو معلوم- من النجاسات، فكيف يسوغ ان يكتب به القرآن؟

إنه الجهل الفظيع، والمحاولة اليائسه للتغطيه على الجرائم الكبرى التي اجترحها (القائد الضرورة)، وكان لسان حاله يقول:

وكنتُ فتىً من جند ابليس فارتقى بي الحال حتى صار ابليسُ من جندي

إن تلك الحملة الايمانيه، جاءت بعد مجازر متصلة، وفصول من الإرهاب، لم يشهد لها التاريخ مثيلاً في القتل، والاغتيال، وحمامات الدم وانتهاك الأعراض

ومصادرة الحقوق، والأموال، وبعد أن امتلأ العراق بالمقابر الجماعيَه، التي لم يسلم منها حتى الاطفال ....

فأين موقع (الإيمان) في مثل هذه المسيرة الظالمة الغاشمه، المشبعه بتحدي

الرحمن، والمليئه بروح الجحود والنكران؟

والسؤال الآن:

هل ينعم العراقيون اليوم بعد أن زال عنهم كابوس الدكتاتورية، بما كانوا يحلمون به، من عدل وأمان واستقرار، وتوفير لفرص العمل، وحرص على تمتعهم بحقوق (المواطنه) كاملة غير منقوصه؟ ويؤسفنا أن نقول في مقام الجواب:

إن آمالهم قد خابت، ولم يشهدوا في ممارسات معظم المتظاهرين بالدين، والمنتسبين إلى تياراته وحركاته -ما يمكن أن يعزز مصداقيتهم ومواقعهم في وجدان الجماهير

لقد سُجلتْ عليهم ((المفارقات)) الكثيره والمؤاخذات المُرة، وأيسرها الاخفاق في أدائهم لواجباتهم في تقديم الخدمات للمواطنين في العديد من الحقول، وعلى شتى المستويات والأصعده، وآخرها الترف والاستكبار، والاستهتار بكرامات المواطنين، والبعد عن تفهم همومهم، والسعي الدائب الحثيث للاستحواذ على المال العام في، ظل نسيان تام، لمعاني الحرام في الإسلام

الشبق السلطوى والطغيان

نشر فى الزمان بتاريخ ٢/ ٢/ ٢٠١١

الشبق السلطوي والطغيان

من النادر أن تجد رجلاً لاتغيره السلطة عما كان عليه، قبل أن يتربع على الكرسي، ويتسنم منصبه المسحور

إنَّ درجة التحوَل قد تبلغ «١٨٠» درجة أحياناً .

قال ابن سعد -عن عبد الملك بن مروان -

«كان عابدا، زاهدا، ناسكاً بالمدينه قبل الخلافه»

وقال العسكري عنه:

أنه أول من نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء، وأول من نهى عن الأمر بالمعروف وجاء في بعض المصادر التاريخيه أنه خطب بالمدينة بعد قتل ابن الزبير فقال: .

«أما بعد، فلستُ بالخليفة المستضعف -يعني عثمان -، ولا الخليفه المداهن، يعني معاوية، ولا الخليفة المأفون يعني يزيد،

إلا وأن من كان قبلي من الخلفاء، كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الأموال إلا وأني لا أداوي هذه الأمه إلا بالسيف (....) حتى تستقيم لي قناتكم الى أن قال

« والله لايأمرني أحدُ بتقوى الله بعد مقامي هذا، الاَ ضربتُ عنقه

ثم نزل

-ولو لم يكن من مساوئه، كما قال ابن الجوزي -إلاَ الحجاج، وتوليته إياه على المسلمين، وعلى الصحابة، يهينهم، ويذلهم، قتلا وضربا وشتما وحبسا، وقد قتل من الصحابة، وأكابر التابعين مالايحصى، فضلاً عن غيرهم - لكفاه ذلك طغياناً وتجبراً

وهكذا تنمَر وتجبر وكانت السلطة أكبر عوامل طغيانه وتجاوزه على الحدود والضوابط الشرعية والسياسية والانسانية

وحين سأل (ابن طباطبا) العلوي، المعز - صاحب القاهره عن نسبه:

جذب نصف سيف من الغمد وقال: هذا نسبي

ونثر على الأمراء والحاضرين الذهب وقال هذا حسبي

وتدور عجلة الطغيان حتى تصل إلى من ادعى العلم بالغيب من الحكام

قال ابن خلكان

«إن العزيز -وهو أحد حكام مصر -صعد المنبر فرأى ورقة مكتوب فيها

بالظلم والجور قد رضينا وليس بالكفر والحماقه
إنْ كنت أعطيت علم غيب بين لنا كاتب البطاقه

ولقد ادعى طاغية العراق المقبور، أنه يقرأ في العيون أخبار ماغاب عنه، في جرأة بالغة على الله، وعلى الناس

والأحرار من الناس، هم ضحايا الطغيان السلطوي، في كل عصر ومصر

وما قوافل الشهداء الضخمه، والمقابر الجماعية الرهيبه، إلاّ الدليل العملي على ذلك

أما عبيد الدنيا، فشأنهم المداهنة والخنوع، والنكوص عن المواجهات الساخنه، مع الجبابرة الطاغين، القابضين على زمام السلطة بالحديد والنار

إنَ عامة المسؤولين العراقيين اليوم، يفتحون قلوبهم قبل اذانهم لكلمات الاطراء والمديح، والتغني بإنجازاتهم، وبطولاتهم، إلا أنهم لايطيقون الاستماع إلى كلمات النقد البناء، ناهيك عن تعداد الموجع من الممارسات السلبية، والاخفاقات، وتراكم التقصيرات في مجال خدمة المواطن والوطن

وقد يسارع بعضهم إلى إقامة الدعاوى القضائيه، في عملية إرهاب فكري ونفسي للاعلام، والكُتاب، كما أنّ إساءات واعتداءات عناصر حمايتهم، لم تنقطع حتى الان، رغم الضجيج العالي، والاستنكار الشديد، لمثل تلك المواقف المحتقنة المرفوضه ..

وإن أهم ما يلفت النظر في هذا المضمار، هو سريان روح الطغيان من أصحاب المواقع الكبرى، إلى من هو دونهم بمراتب، في حلقات جديدة من مسلسل الطغيان السلطوي

حدثني أحد العاملين في احدى دوائر الدوله بأن مسؤولاً بارزاً فيها يفرض على كل الموظفين الصغار في تلك الدائرة، أن يغيبوا عن وجهه لكي لايراه أحدُ منهم وهو يسير في ممراتها...الى هذا الحد الفظيع من الاستكبار وصلت بعض الدوائر الرسمية ..وحدثني اخر، بأنهم استقبلوا

(مرشحاً) استنجد بهم طالباً أصواتهم في الانتخابات، وقد قدم لهم ما يلزم (...) من وعود واغراءات، فأوقعهم في الفخ، وحين أرادوا الاجتماع به، بعد فوزه (...) وجدوا الوحة مكتوبة، على الباب مفادها:

(المراجعات الخاصة ممنوعة)

والسؤال الأن: .

الى من يلجا المواطن حين تعن الحاجة إلى مراجعة المسؤول؟

إنَ التجبر والتذمر لاينشاءان إلا من عقدة نقص كبيرة تنطوي عليها ضلوع المتفرعن، وإنه لملعون بكل الموازين والمعايير السماوية والأرضيه، ولن يتاح له أن يحظى بموضع حقيقي في وجدان الناس

قال الشاعر:

واعــــزُ مـــا يـبـقـى ودادٌ دائـــمٌ   إن المـنـاصـبَ لاتـــدوم طـويـلاً

وقال آخر:

وإنـــما المـــرءُ حـديـثُ بَـعْـدَهُ   فـكـنْ حـديـثـاً حسـنـاً لمـن رَوَى

إن أصحاب النفوس الكبيرة من الرجال الافذاذ، هم الأحسن خلقاً والأكثر تواضعاً كما انهم في غاية الحرص على أن يصلوا ليلهم بنهارهم، في خدمة الشعب والوطن

وهؤلاء هم الذين يحفرون مواقعهم في ذاكرة التاريخ وفي أعماق القلوب والضمائر



من الصدق والصفاء
إلى التقعر والإلتواء

نشر في الزمان بتاريخ ٣/ ٢/ ٢٠١١

من الصدق والصفاء إلى التقعر والإلتواء

(الثوابت) في السياسة، ليست كثيرة، - كما هو معلوم-، على العكس من (المتغيرات)، التي لا تهدأ حركة خطوطها البيانية من التذبذب،

ولعل هذا هو السّر في كثرة التناقضات، والمفارقات، والمغالطات، في

(أقوال) السياسيين، (وأفعالهم)

إن التحول عندهم، من موقف إلى موقف، قد يكون بزاوية منفرجة، وحينئذ، تتراقص الأسئلة، وتتزاحم التساؤلات، عن أسرار التحول الرهيب؟!

بالأمس القريب، كانت بعض الكتل السياسية، تتحمس للابقاء على (القائمة المغلقة) في الانتخابات، ولكنها، وبعد تبني الرأي العام العراقي، لفكرة (القائمة المفتوحة)، اضطرت للتظاهر بتغيير رأيها، ولم تعد تسبح ضد التيّار ..إلا أن أنصار القائمة المفتوحة، للأسف عادوا، وجعلوها يوم الانتخابات ٧/ ٣/ ٢٠١٠، في أضيق دوائر الضيق، بعد أن صوتوا لأفراد فيها، لايتجاوز عددهم أصابع اليد إلا قليلاً .!!

ومن الصعوبة بمكان، أنْ يُرسم الموقف السياسي، بمعزل عن حسابات الربح والخسارة، الذاتية والفئوية، لدى معظم الكتل السياسية، ورجال المناورات، والمفاوضات، والمساومات فيها تحديداً

إنّ أضعف التشكيلات الوزارية مثلاً، تغدو ممدوحةً، عند الفريق السياسي، الذي قوبلت طلباته بالقبول، واستجيب لها، دون مزيد جهد وعناء، وإن لم تكن (التشكيلة) متوفرة على عناصر القوة، في حقيقة الامر .!!

وإذا كان «الكذب» سلاحاً تلجأ اليه الجيوش المتحاربة أحياناً، فإن ألوانا من التمويه والتضليل، تلجأ إليها معظم الكتل السياسية، وهي تخوض غمار صراعاتها السياسية مع الآخرين

إن هناك اتجاها معروفاً، يقيم الحواجز بين (السياسة) و(الأخلاق) ويعتبر العامل السياسي، بعيداً عن مقتضيات القواعد الأخلاقية وأفاقها ..

وهذا الاتجاه، ليس بصحيح على الاطلاق، على مستوى النظرية، وإن كان صحيحاً في مسارات المحترفين السياسيين المعاصرين، حيث لا تلازم بين التمرد على القيم الأخلاقية والممارسات السياسية،

ومن هنا تلتمع في التاريخ مواقف القادة المبدأيين، وتبقى شامخة خالدة، وهي لا تعدو أن تكون، انعكاساً صافياً، لخلفياتهم الفكرية والعقائدية التي يحيدوا عنها قيد أنملة

إننا من عشاق مدرسة التحلّي بالمناقبه السياسية، وهي لا تُنشيء إلا المواقف المؤاره بعبير الحب والانسانية والسلام، ولا تصدر إلا عن رعاية كاملة لمصالح الشعب والوطن

إن الاحتراف السياسي قد يقود إلى فوز هذا المرشح أو ذاك في عملية انتخابية معيّنة، ولكن لا ضمان لصاحب الألاعيب أن يحتل مكانه في قائمة الوطنيين المخلصين، الذي تلهج بهم ألسنة الناس، وتضمهم قلوب ابناء الوطن، وتتواصل الإشادة بهم من الاحرار والحرائر على مدى التاريخ

ان الأرتباط السياسي بتراب الوطن، ومصالح الأمة، وحجم الخدمات التي يقدمها للشعب والوطن، هو المعيار الحقيقي للنجاح

وعليه ألا يغتر بما يسمعه من المتملقين، والانتهازيين، الطامعين بإيقاعه في الفخ، وصولاً إلى مآربهم وغاياتهم المعلومه

إن عليه أن يستكشف الحقيقة، عبر الخبراء الصادقين، ومراكز استطلاع الأراء، واعداد الدراسات والبحوث المتعلقة بقضايا البلاد، والجماهير المتعطشة للاداء المتميز، في اشباع حاجاتها، وتلبية طموحاتها، وحمل ألامها وأمالها .

كما أن عليه أن يعمد إلى مراجعة ذاته وحساباته، بين الحين والحين، ليصدر الحكم على نفسه بنفسه، نجاحاً أو فشلاً، تقدماً أو تأخراً، افراغاً للذمة أو نكوصاً عنه

ومن طريف ما وقفت عليه في هذا الباب:

ان الوزارة العراقية الاولى، التي شكلها عبد الرحمان النقيب، كانت قد عهدت بحقيبة ((الداخلية)) للسيد طالب النقيب - الشخصية المعروفة بطموحها السياسي، والمتطلعة إلى كسب المزيد من الامتيازات - فلم يكن يرضيه، أن يتقاضى شهرياً، ما يتقاضاه زملاؤه

الآخرون، فاقترح المندوب السامي البريطاني أنْ يجعل راتبه، كراتب وزير الداخلية في اسطنبول، خمسة آلاف روبية، في حين أن راتب زملائه كان ثلاثة آلاف روبية

وكان الوزراء قد اتفقوا فيما بينهم، قبل انعقاد مجلس الوزراء، على معارضة الإقتراح المذكور، عند تقديمه اليهم وعندما انعقد المجلس، وبدأ السيد طالب النقيب يرمقهم بنظراته المرعبة، بدأوا بالتراجع والتخاذل .

كان أول المتخاذلين «ساسون حسقيل» حيث سارع إلى القول (موافق)،

ثم أخذ الوزراء، الأخرون يقتدون به واحداً بعد واحد، حتى وصلت النوبه، إلى (عبد المجيد الشاوي)، وكان ظريفاً، معروفاً بنكاته - فبدلاً منْ أنْ يقول (موافق) قال (منافق) .

وهكذا مارس الشاوي عملية النقد الذاتي بأروع أسلوب، وكان الصادق الوحيد، من بين كل أولئك الوزراء المهزومين نفسياً، وأخلاقياً، وسياسياً والسؤال الآن:

منْ هم أمثال (الشاوي) ضمن المرحلة الصعبة الراهنة، الباحثة عن الإعمار والإستقرار والإزدهار في «العراق الجديد»؟!



احتجاجات المرأة متواصلة

نشر في الزمان بتاريخ ٥/ ٢/ ٢٠١١

احتجاجات المرأة متواصلة

مع بزوغ فجر الرسالة الإسلامية، احتلت المرأة، موقعها المنسجم مع انسانيتها، ووقفت مع الرجل على قدم المساواة، في الحقوق والواجبات، بإستثناء حالات خاصة ترتبط بطبيعتها البايلوجية، وأسدل الستار على تاريخ مظلم، من عذاباتها ومعاناتها المرّة أيام الجاهلية.

وقد تلألأ ذكر المرأة، مقترنا بالتعظيم والإجلال، بعد المواقف التاريخية المشرقة لأم المؤمنين (خديجة) - ؓ - في دعم مسيرة الرسالة والرسول (ﷺ)

واذا كان القادة الهداة من أهل البيت (عليهم السلام) تاجاً على رأس هذه الأمة، فإن الزهراء البتول فاطمة، هي دون شك دُرّةُ هذا التاج.

وهكذا برز دور المرأة ملتمعاً في دنيا الرسالة وفي حياة المسلمين

وطموحات المرأة المسلمة لم تقف عند الحدود التقليدية، بل تطلعت إلى أبعد الآفاق، وهالها أنْ يذهب الرجال - وهم فرسانُ الجهاد - بالأجر كلّهِ، فساورها القلق من الغَبْن في هذا الميدان

وافدة النساء

ونقرأ في التاريخ أنّ (أسماء بنت يزيد الأنصاري - دخلت على الرسول العظيم محمد (ﷺ)، وهو بين اصحابه، فقالت له:

بأبي أنت وأمي يارسول الله، إني وافدةُ النساء إليك

وأعلم - نفسي لك الفداء - أنه ما من امرأة كائنة، في شرق ولاغرب، سمعت بمخرجي هذا الاّ وهي على مِثْل رأيي

إن الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء، فآمنّا بك وبالهك الذي أرسلك

وأنا معشر النساء محصورات مقسورات، قواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم

وإنكم معاشر الرجال، فضّلتم علينا بالجمعة والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله

وإن الرجل منكم، إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مرابطا، حفظنا لكم أموالكم، وغَزَلْنا لكم أثوابكم، وربّينا لكم أبناءكم، أفما نشارككم في الأجر يارسول الله ؟

فالتفت النبي (ﷺ) إلى أصحابه ثم قال:

« هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مساءلتها في أمر دينها من هذه »؟

فقالوا:

يارسول الله، ما ظننا امرأة تهتدي إلى مِثْل هذا

فالتفت إليها (ﷺ) فقال لها:

«انصرفي ايتها المرأة، وأعلمي مَنْ خَلْفَكِ من النساء، أن حسن تَبَعُّل احداكم لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته، يعدل ذلك كلّه»

فأدبرت المرأة، وهي تهلل وتُكبّر استبشاراً

وهذا النص يدعونا إلى تسجيل العديد من الانطباعات، منها:

الحرية المطلقة التي كانت تتمتع بها المرأة المسلمة، في ابداء رأيها، وبكل جرأة وصراحة، ودونما خوفٍ أو وجل، أمام الرسول (ﷺ) والصحابة، وتسلط الاضواء على قضايا خطيرة تهمها، ولا تكتفي بذلك، بل تعتبر نفسها (نقيبة النساء)، وناطقةً باسمهن

لقد أعربت عن المعاناة النفسية من الحصار المفروض عليها، والذي يربطها بجدران منزلها، ويُضّيق عليها هامش التحرك خارجه..!!

إن معظم أوقات المرأة تستهلكه أعباء المنزل، وما يتصل بتلبية نداءات الأزواج، وتربية الاولاد، والعناية بهم، والقيام مقام الأزواج في الحفاظ على أموالهم أثناء غيابهم، والانشغال حتى بغَزْل ثيابهم، دون المشاركة في مجمل الفعاليات الاجتماعية والعبادية !!

وهنا لابد من المسارعة إلى القول بان المعاناة المشكوّ منها، ناشئه من العرف الاجتماعي، ومن تعسف بعض الأزواج، وليست ناشئةً من الإلزام الشرعي، وإلا فإنه لا حق للزوج في منع زوجته من الخروج من المنزل، إذا لم يتعارض ذلك مع حقوقه، وليس له أن يجبرها على ان تغزل له ثيابه مثلاً، ولا مانع يمنع من مشاركة المرأة في الجمعة، والجماعة، وحضور الجنازة، إلا أن ذلك لا يتسم بالوجوب الشرعي عليها

أما الحج فهو فريضة تجب عليها عند الاستطاعة، كما تجب على الرجال

ومنها:

أن المنطلق في حديث (أسماء)، لم يكن الحسد للرجال، بمقدار ما كان يتضمن التأسف على ما يفوت النساء من الأجر الإلهي المعدّ للمجاهدين في سبيل الله

وهذه هي الروح الايمانيه المتوثبة، للحصول على رضوان الله ومثوباته، وهي من أهم الكواشف عن عمق الايمان ورسوخه، ونقاء الضمير، وسلامة النفس، والوعي العميق

ومنها:

أن ثناء الرسول (ﷺ) على (أسماء)، ما هو الا الوسام المبارك الممنوح لها منه (ﷺ) تقديراً لوعيها ودينها وموقفها .

والمهم:

أن ما يفوت المراة من مثوبات الجهاد، يمكن أن يُعَوض عن طريق جهاد آخر، هو جهادها في عملية (حُسْن التَبَعُل)، والتي هي أهم النظريات في السعادة الزوجية، حيث أنها تحيل البيت إلى واحة عابقة بعطر الحب، والتفاهم والانسجام، وخلق المناخ الملائم لتنمية الأطفال على أحسن الوجوه، نفسيا ودينيا وخلقياً

كما أوقفنا النص، على الجو المشبع بالتقدير والاحترام، من قبل عامة الصحابة -الذين شهدوا اللقاء - لأسماء بنت يزيد الأنصاري، غير منكرين عليها شيئاً مما قالته

ولقد كانت النهاية سعيدة للغاية، حيث انصرفت (أسماء) مُجَللةً بالاستبشار، وخرجت وهي تهلّل وتكبّر، إشعارا بفرحتها الغامرة

الأزمة الراهنة:

وفي أول امتحان حقيقي، سقط أدعياء الانتصار لحقوق المرأة، في العراق الجديد، مصداقاً لقول الشاعر:

كلُّ مَنْ يدعي بما ليس فيه كذّبَتْه شواهدُ الامتحانِ

حيث كان التهاون كبيراً، من قبل معظم الكتل السياسية، في ترشيح النساء للحقائب الوزارية

وكأن لذاذة الكعكة الوزارية، دعتهم إلى الاستئثار بها وحدهم، من دون أن يكون فيها نصيب للمرأة العراقية

إننا إذ نأسف لمثل هذه الممارسات السياسية المليئة بالأنانية، والاجحاف، بحق المرأة العراقية المؤهلة للمواقع الوزارية، نطالب بأن يكون للمرأة العراقية حضورها الفاعل، في العملية السياسية، وفي كل ما يتصل بها، في مجالات ممارسة السلطة والادارة، لتحظى هي الاخرى، بشرف خدمة الشعب والوطن، ولتشارك مع اخوانها،

في عملية البناء والتنمية والاعمار، ودفع عجلة التقدم والازدهار،

ورفعة ابناء العراق وبناته.



الوجه العابس والسلوك البائس

نشر في الزمان بتاريخ ٦/ ٢/ ٢٠١١

الوجه العابس والسلوك البائس

قال الشاعر:

مُسْتَحْدَثُ النعمة لا يُرتجى   عِظامُه مملوءةٌ فَقرُ

محنة العراقيين اليوم، يشتّد أرواها، مع مستحدثي النعمة، وتحديداً،

ممن أتيح له بفعل الوضع الاستثنائي الخاص للعراق، وكل ما رافقه من اختراقات للأصول والمعايير الموضوعية، أن يستحوذ على (مَوْقع) مهم، في سُلّم السلطة، وأن يلتهم ما شاء من حلاوتها ..

إن هنالك العديد من الأحاسيس، الكاشفة بصدق، عن حالات مؤسفة،

تلازم النفوس الضعيفة التي لم تستطع التخلص من أثار ماضيها المشبع بالآهات والبؤس، وبالمُوجع من الأزمات، وكأنها تريد أن تُسقط عذاباتها الماضية على الآخرين ..!!

إن الشاعر وضع يده على الجرح، وأشار إلى شريحة معيّنه بالذات، وإلى أوضاعها النفسية والبنيوية، التي جعلت منها مثالاً للزهد في اصطناع المعروف، واستباق الخيرات، وهكذا ينحسر عنها الصنيع الاجتماعي النافع والحس الإنساني ..

يلاحظ على مستحدثي النعمة، انهماكهم في ممارسات ممجوجة، ومسارات محمومة، لاكتناز الأموال والعقارات وتكديس الثروة، ويجري ذلك كله، من باب التعويض عن أيام الحرمان الرهينة وظروفها العصيبة، مستغلين مناصبهم ومواقعهم، تطاردهم أشباح الماضي الموحشة، وتدفعهم بقوة إلى تأمين المستقبل (..)، بعيداً عن الشرعية، بشتى الوسائل، ودون رادعٍ أو مانع، وإلاّ فكيف تُفسر، عمليات الانتقال السريع، من الحياة الغاصة بالمصاعب والمشاقّ إلى حياة الترف الصارخ والثراء الباذخ؟

ولماذا التلكؤ والإبطاء في الكشف عن ذممهم المالية لهيئة النزاهة اذا لم تكن ثمة من أرقام مريبة، وتفصيلات غريبة؟

ولا نذيع سراً اذا قلنا:

إن الإثراء غير المشروع هو من أخطر المظاهر المروعة في العراق الجديد، وكل اتخذ من إجراءات، لإيقاف هذا الاستنزاف الفظيع لموارد الدولة والمال العام لا يخرج عن كونه، باهتاً خجولاً لايتسم بالفاعلية المطلوبة، هذا فضلاً عن استمرار عمليات القرصنة والابتزاز للمواطنين وللقطاع الخاص

لقد استطاع أحدهم، ممن يعرفون كيف تؤكل الكتف، أنْ يُمطر بعض السلطويين بوابل أماديحه، وتملقاته، فرشح - مكافأة له على ذلك - لمنصب خطير، وما أن جلس على الكرسي المسحور، إلا وابتدأ

باجتراح العجائب والغرائب بل المصائب !!!

بَدَّلَ ما كان يُعرف به من لقب، وحذفه من التداول، لأن فيه ما يشعر بهويته الخاصة ... وجاء هذا التغيير، المتزامن مع تسنمه للمنصب، ليشير إلى خيوط من برنامجه المسعور، للتلاعب بالأمور ...

ثم إنه عمد إلى المبيت في فندق فخم، من فنادق العاصمة، تاركاً منزله المتواضع، الذي لا يليق بوضعه المتفخ، على أن تُدفع الفاتورة، من قبل المؤسسة التي يديرها، لا من قبله شخصياً، في سرف واضح، وابتزاز ظاهر الملامح

وانكشف أنه لم يكن صادقاً في ادعاءاته بالحصول على شهادة جامعية، وإنما هي أكذوبة، استطاع تمريرها بما يملكه من مواهب خاصة في مجالات التمويه ..

والأنكى من ذلك كله، أنه عمد إلى تقاضي (الأوراق الخضراء) ممن يرغب في الإنتساب لمؤسسته، حتى فاحتْ الروائح التي تزكم الأنوف، مضافاً إلى الإخفاق والفشل في العمل، فكان إن طُرد وأُبعِد، واستمات للالتفاف على القرار، ولكنه لم يجد إلا الإصرار على عزله،

والرفض المطلق لبقائه في ذلك الموقع

وكان هذا الطرد سبباً لتواريه عن الأنظار، لكنْ بعد أن أصبح من الأثرياء والتجاّر !!!

كل ذلك على حساب الجياع والبائسين من أبناء العراق المبتلى

انّ أضراب المقبور (حسين كامل)، و(علي حسن المجيد) ممن تمّ منحهم الرتب الجزافية، والمناصب العالية، في ظل النظام الدكتاتوري البائد، لا يعدم المتتبع أن يجدهم هنا وهناك، في

المنشآت والمؤسسات الرسمية في العراق الجديد، وهم من مستحدثي النعمة، الذين لا يرتجون بحال من الأحوال، ولا يؤتمنون على البلاد والعباد

إن تتبع هؤلاء، ودراسة ملفاتهم الحافلة بالنتوءات، يمكن ألن تشكل موسوعة فريدة بشخوصها، وأحداثها، وممارساتها النكراء، وقد لا يكون لها مثيل، في سائر بلدان العالم الثالث، ناهيك عن الدول المتقدمة حضارياً وتكنولوجياً وثقافياً !!

والمهم هو أن غياب الحس الوطني، وضعف الوازع الداخلي، هو القاسم المشترك بين كل تلك النماذج الرديئة، وذلك السجل المليء (بالنطيحة) و(المتردية)، .

وآيةُ ذلك، أنك لا تجد في العراق الجديد، من يمتلك شجاعة الإعتراف بالخطأ، والإقرار بمسؤوليته عنه، والمبادرة إلى تقديم استقالته من المنصب، والإعتذار إلى الشعب، مما سببه له من أتعاب وأضرار

واذا وُجد أولئك االشجعان الوطنيون فهم أندَرُ من الكبريت الأحمر على ما يقول المثل:

والسؤال الأن:

لماذا لم نشهد من المسؤولين العراقيين ما يشهده مواطنو سائر الدول، من استقالات كبار مسؤوليها عند شعورهم بالإخفاق، في تحقيق مصالح الشعب والوطن؟

إن هناك علة منسية، وهي أن مستحدثي النعمة، لا يهون عليهم على الاطلاق، اعتزال مناصبهم، وترك كراسيهم لأنهم يعلمون أنهم لم يصلوا إليها بجدارة واستحقاق، وإنما وصلوا اليها بمحاصصات، ومعادلات، أرهقت العراق، فابتلينا بالمحذور الذي لا يقبل، بل لا يُطاق .



عواقب المزاج العقربى

نشر فى الصباح بتاريخ ٧/ ٢/ ٢٠١١

عواقب المزاج العَقربيّ

قال الشاعر:

لسُب العقارب لا لأجِل عداوةٍ   ان العقارب تُسبُّ مِنْ ذاتها

ابتليت المجتمعات، عبر تاريخها الطويل، وامتداداتها البشرية والجغرافية، والقومية بداءٍ ممض، رهيب الفتك، وخطير الاثار،

إنه بإختصار، داء «العقربيّة»، الذي يعني، توظيف الطاقات والإمكانات المتاحة، للايذاء، والاضرار، والايقاع بالآخرين، بدلاً من توظيفها في مضامير العمل الإنساني النافع، وإسعاد الناس، وإبعاد الاشباح المرعبة عنهم، وإطفاء جذوة همومهم الثقيلة، واحزانهم الطويلة ...

إنّ الحس الانساني، هو عصارة الأحاسيس المنعشة للأمال، والمؤازرة بعبير النبل، والتعاون، والتكافل، والتعايش السلمي

إن الاستقرار والسكينة الاجتماعية، لن يجدا لهما موضعاً، في ظل ضمور هذا العامل وانخفاض منسوبه

ومشكلة العراق اليوم، ترتبط بهذا الجانب بالذات تحديداً

إن عمليات زرع العبوات الناسفة، وتفخيخ السيارات، واستخدام المسدسات الكاتمة للصوت، وإرسال الطرود الملغومة و....،

ماهي إلا سحائب داكنة، تُمطرنا إرهاباً وإجراماً، وتقف وراءها، عصابات (الذوات العقربية)، التي لا يهدأ لها بال، ألا مع احلال الكوارث والفواجع، ولا يغمض لها جفن، إلا اذا تلاطمت أمواج الفتنة، وازهقت الأرواح البريئة، وسالت الدماء الزكية، وانتهبت البسمات من شفاه أطفالنا، وانهمرت الدموع الحمراء من مآقي الثواكل والأرامل ..

والذات العقربية، ليست محصورة بمحترف الاجرام واضرابه من الإرهابيين فحسب، بل إنها موجودة في الشارع، وفي المدرسة، وفي الدائرة، وفي المعمل، وفي السوق، وفي كل مكان ...

ما معنى الشَغَب اللئيم الذي يمارسه الزميل بحق زميله في هذه الوزارة أو تلك؟!

ما معنى الخطط الكيدية التي يرسمها هذا (العقربي) أو ذاك، للحيلولة دون اتخاذ أصحاب الكفاءات مواقعهم في هذه المؤسسة أو تلك؟ !

ما معنى الاخبارات الكاذبة التي يرفعها (العقربيون) إلى الجهات الأمنية، للاساءة إلى مَنْ يناصبونهم العداء، ويصرون على تعريضهم لألوان العذابات والعناء؟ !

ما معنى الإستهانة بكرامات المواطنين، ومحاولات إذلالهم، عبر الاهمال، والتسويف والمماطلة، في انجاز معاملاتهم وحل مشاكلهم؟ !

إنها ممارسات (عقربية) ظالمة، مرفوضة بكل المعـــايير، الانســـانية، والقانونية، والشرعية، والاخلاقية، والسياسية، والاجتماعية ...

ويأبى عَدْلُ السماء أنْ يترك هؤلاء (العقربيين) دون عقاب موجع، يَرْتد فيه الكيد عليهم ..

وهناك حشدٌ هائل، من الوقائع والدلائل، لايترك مجالاً، للتشكيك في العاقبة الوخيمة

التي تنتظر، ذوي الضمائر الميتة من العقربيين

ويكفي أنْ نذكّر بالمثل السائر، القائل:

(مَنْ حفر بئراً لأخيه وقع فيها)

وقد قرأت قصة طريفه، أشبه ماتكون بالأسطورة، ذكرها بعضهم، في تفسيره، فقال:

أن رجلاً كان مشهوراً بإصابة العين، حتى كان الناس يستأجرونه لهذه الغاية (...)

وفي ذات يوم، استأجرته امرأة ليحسد عدواً لها(...)، ويقتله بعينه، وصَحَبَتْه إلى رجلٍ وقالت له:

هذا هو فاحسدْه، فقال لها الحاسد:

ما أجمل عينيْكِ، فما أتمّ كلامه حتى عميتْ .!!

واترك للقارئ العزيز، حقه في أن يُصدّق أو يرفض تصديق القصة، ولكني لا أريده أن ينسى حقيقة المصير الاسود، الذي ينتظر، كل أعداء الانسانية، ابتداءً بالطغاة من الحكّام، وانتهاءً(بالعقربيين) اللئام .



العراق والإنفاق المثير للأشفاق

نشر في الزمان بتاريخ ٧/ ٢/ ٢٠١١

العراق والإنفاق المثير للإشفاق

حدّثني المرحوم الأستاذ أحمد مغنيّة - الأديب والكاتب اللبناني المعروف الذي عمل في العراق، في النصف الأول من القرن الماضي، واختلط مع الناس وخبر طبائعهم - فقال:

انطلقت يوماً من (الكاظمية) - وكان من سكانها - إلى باب المعظم ببغداد، في سيارة أجرة، لم يكن قد سبقني في الصعود إليها أحد، ثم توالى الركاب في الصعود، حتى امتلأت مقاعدها كلها -

وعلى عادة العراقيين، المعروفين بأريحيتهم، بدفع الراكب السابق منهم أجرة اللاحق، من أصدقائه ومعارفه، وهكذا كان عليّ، أن ادفع أجرة من ركب بعدي، لأنني كنت اعرفهم جميعاً .!!

وعند الوصول إلى باب المعظم كانت المفاجأة .!!

انني لم أكن أحمل في جيبي من النقود إلاّ ما دفعته لسائق السيارة، وامتلكتني الحيرة، فماذا أصنع في الرجوع؟

وأخيراً: اهتديت إلى الحل

والحل أن (أرهن) ساعتي اليدوية للحصول على (نصف دينار)، ممن يقبل مني ذلك، لأقضي حاجتي في هذا المشوار، على أن أعيد اليه المبلغ فأستعيد ساعتي

وهكذا كان، فاتجهت إلى صاحب محل لبيع السكائر في (الحيدر خانة)، ولم تكن تربطني به أية علاقة سابقة، وعرضتُ عليه الفكرة، وقدّمتُ له (ساعتي) اليدوية، فما كان منه إلا أنْ قال:

ضع ساعتك في يدك، وخذ المبلغ المطلوب، فإن جِئتني به فهو، وإلا فأنت في حلٍّ مني، واذهب على بركة الله

بمثل هذه السماحة والنبل، قابلني ذلك العراقي الشريف ...

ومن هذه الحادثة، وربما من أخوات مشابهات لها - انتزع المرحوم (مغنيّة) قاعدة تقول:

«العراقي ينفق على غيره، أكثر مما ينفق على نفسه» في اشارة إلى خصيصة واضحة من خصائص الطبع العراقي

ثم قال:

ولا تجد في لبنان ما يضارع هذه الروح على الاطلاق، حيث أن (اللبناني) يُنفق على نفسه، أكثر مما ينفق على غيره

هذه القصة القديمة، تذكرتها وأنا أقرأ اليوم، خبراً في احدى الصحف جاء فيه:

« كشف مصدر في الحكومة العراقية عن أنّ تكاليف اعداد مقرات إقامة المدعوين لمؤتمر القمة العربية، الذي من المزمع عقده في بغداد الشهر المقبل، ستبلغ مليارات الدولارات»

ويبدو أن مصدر الخبر، مسؤول في وزارة الاسكان العراقية، وقد أضاف قائلاً:

« أن اعداد دور الضيافة، والفنادق المخصصة لاستقبال الملوك والرؤساء وقادة الدول العربية، وبقية الضيوف، ستبلغ تكاليفها مليارات الدولارات»

واشار - وهنا تسكب العبرات- إلى « وجود هدْر كبير في الأموال، وأنّ على هيئة النزاهة ان تتحقق من ذلك »

ولا أريد الاسترسال في السرد، وإنما اكتفي فقط بنقل هذه الفقرة

إن مقاولين عراقيين، بعضهم لم يعمل في مجال الهندسة والإعمار، وبعضهم تجار جدد قد حصلوا على عقود لإعادة إعمار فنادق كبرى مثل فندق الرشيد وشيراتون - وميرديان، بملايين الدولارات

وإنهم تعاقدوا مع مدراء شركات تركية في اربيل، على انجاز الصفقات بثلث (.....)

المبالغ التي تعاقدوا عليها ..!!

ورغم أن قضايا الفساد المالي والاداري في العراق، قد بلغت حداً لا نستغرب معه هذا الخبر الفظيع، إلا أننا نتمنى ألا يكون لهذا الخبر نصيب من الصحة

إننا نطالب الحكومة العراقية، أن تبادر للتحقيق في هذه القضية، على أن تطلع الشعب على نتائج التحقيق، ولا تُبقيه طيّ الكتمان، كما هو الحال في نتائج ما شُكّل من لجان تحقيق كثيرة، وفي قضايا خطيرة، وتسارع إلى اتخاذ كل الاجراءات القانونية، بحق المتورطين في هذه الصفقة - الكارثة

إن أشد ما يُقرح القلوب، هو ما نراه من فوضىً فيما يتصل بترتيب الأولويات في هذا البلد المبتلى ..

إن علماء أصول الفقه يشيرون إلى وجوب تقديم (الأهم) على (المهم) عند التزاحم، فيما يسمونه ب (قوانين التزاحم)

والسؤال الأن:

هل ان ترميم الفنادق المذكورة هو أهم من تحسين أوضاع الكهرباء الذي ظل تياره متقطعاً عن المواطنين العراقيين معظم ساعات الليل والنهار شتاء وصيفاً، وما تركه هذا الانقطاع عليهم من ضروب العناء والمشقة والاضرار، وتعّدى ذلك إلى قطاعيْ الصناعة والزراعة، فمنيا بضربة ساحقة ماحقة، وكانت الاثار مدمرة مروعة !؟

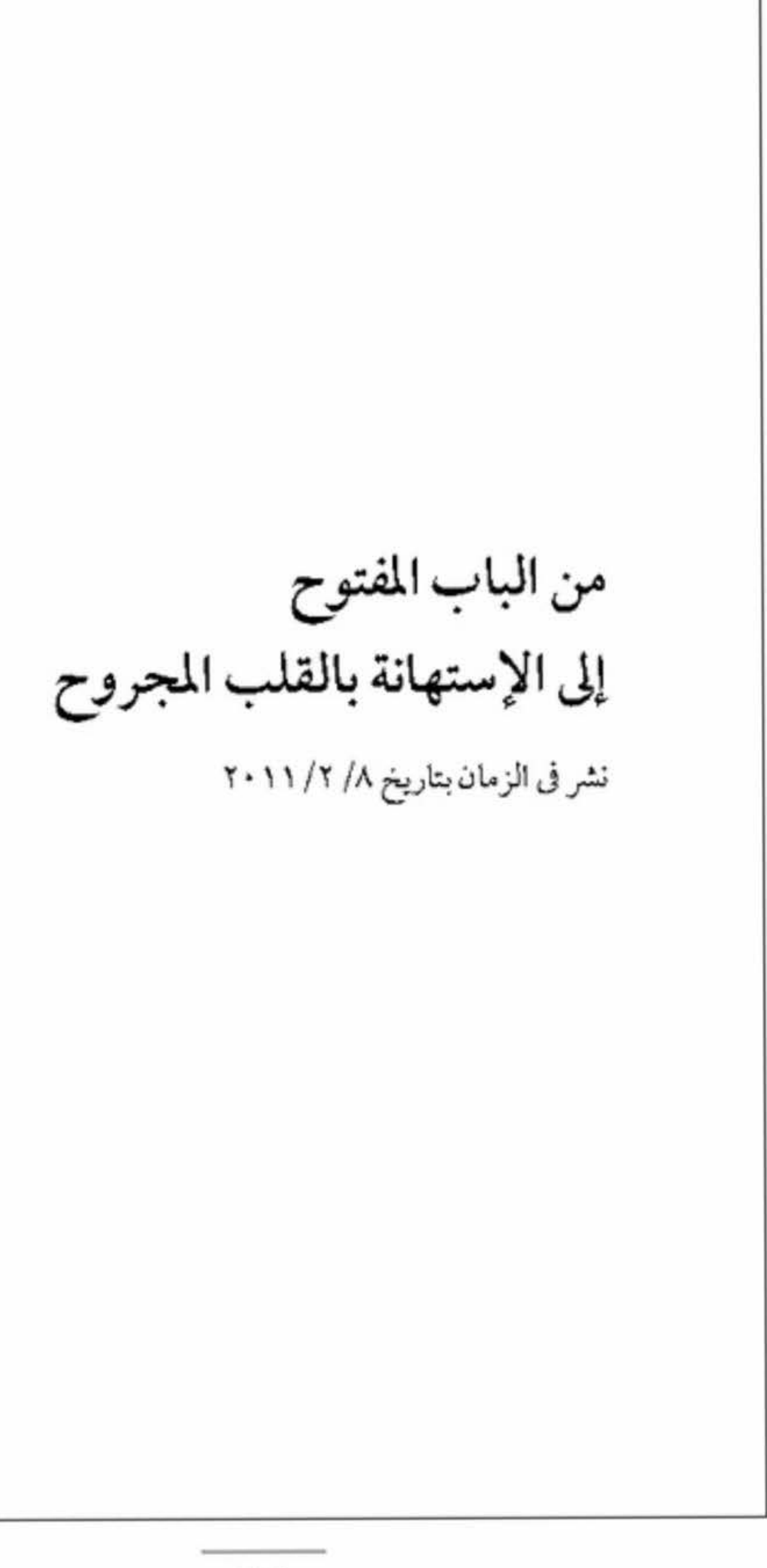
وهل أن تأمين اعمار هذه الفنادق، هو أهم من تأمين مواد البطاقة التموينية، التي تشكل المواد الأساسية لقوت الملايين من الجياع في العراق؟

ثم عن أي قمة عربية يتم التحدث، والعديد من روساء الأقطار العربية اليوم يواجهون أخطر التحديات من شعوبهم الغاضبة الثائرة؟

ومَنْ منهم سيتاح له الحضور في ظل هذه التداعيات الخطيرة في بلدانهم؟

إن حصاد القمة العربية المرتقبة في بغداد، لا يوازي مشاعر ما يمكن أن نحصده من مردودات ايجابية، في حال توظيف تلك الملايين، بل المليارات من الدولارات، على إشباع الحاجات الأساسية لملايين العراقيين، الذين هم تحت خط الفقر، باعتراف كل الجهات المعنية

إن مثل هذا الإنفاق ليثير الإشفاق، ويعّمق الشكوك المثارة في طريقة التعاطي مع ملفات الأعمار المذكورة، ويشي بأن هناك إصرارا على تمكين المفسدين من نهب المال العام، وحرمان العراقيين من ثرواتهم الوطنية



من الباب المفتوح
إلى الإستهانة بالقلب المجروح

نشر في الزمان بتاريخ ٨/ ٢/ ٢٠١١

من الباب المفتوح إلى الاستهانة بالقلب المجروح

ليست نزهةً، ولا محاولةً لإعمال الملكة، كما أنها ليست بهواية صرفة في تنميق الحروف ورصف الكلمات، وإنما نكتب هذه السطور، منطلقين من وجوب النصح للمسؤولين، وفائدة التنبيه على المفارقات المحزنة والمظالم الجمّة، والممارسات المنطوية على كثير من التعسف والإجحاف، تقع هنا وهناك، في هذه المؤسسة أو تلك، ويجترحها العديد من المسؤولين، بحق أخوة لهم من المواطنين، العاجزين عن مناقشتهم في قراراتهم، أو تصحيح مساراتهم وطرائق تعاملهم مع الملفات الحساسة والقضايا الكبرى، التي تعيشها البلاد، وترهق بأعبائها العباد ..

إننا نكتب إذن من باب التذكير، وليس من باب الإنتقاص والتشهير، ذلك أن عامة المسؤولين، ليس بالإمكان أن يكونوا بمنأى عن النقد، لأنهم ليسوا بمعصومين، وحسبهم إن تُعدّ أخطاؤهم وعيوبهم:

ومَنْ الذي تُرضى سجاياه كُلها ... كفى المرء نبلا إنْ تُعدّ معايبُهُ

إن انفتاح (المسؤول) على (المواطن) هو مفتاح لحَل الكثير من المشكلات،

ولكنّ أصحاب الكراسي الوثيرة، قلما يولون هذا الجانب عنايتهم .!!

وطريق الوصول إليهم - غالباً - محفوف بالعوائق !!

يقول الشاعر العربي مادحاً:

سهل الفناء إذا حَلَلْتَ ببابه ... طَلْقُ اليدينِ مؤدَّبُ الخُدامِ
واذا رأيت صديقه وشقيقه ... لم تَدرِ أيهما أخو الارحامَ

إنّ من الصفات الممدوحة في الرجال، تسهيل الوصول إليهم، وحفظهم الأدب والأصول، في الحفاظ على كرامات الناس وأقدارهم، ولا بدّ أن يتسم مدراء مكاتبهم، وحواشيهم، وحراسهم، بدرجه كافية من اللياقة الاجتماعية أيضاً، وإلاّ فان النتائج لن تكون مرضية، إذا أوصدت الأبواب، أو وقف عليها منْ لا نصيب له من الاخلاق والآداب

إننا نشهد عُزلةً واضحة بين المسؤولين - المتحصنين في قلاع امنة -

وبين الملايين من المواطنين العراقيين الذين يرزحون تحت وطأة الأوضاع الأمنية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية الصعبة التي يعيشونها

وهذا الانفصام النكد بين (المسؤول) و(المواطن) يجعل الاول بعيداً عن فهم الشارع على حقيقته، فالتقارير التي ترفع اليه، والأخبار التي تصله من حواشيه، لا تعكس بالضرورة، واقع الحال، وانما هي تقطيرات وتسريبات،

فيها الكثير من الضبابية والتعتيم .!!

وفي أولئك الصاعدين على الأكتاف، ممن نسوا معاني العدل والوفاء والانصاف يقول الشاعر:

أيها الصاعد قل لي	كيف تجفو البائسينْ
مُتْخَمٌ أنت ولكنْ	تتناسى الجائعينْ
وتلال المال قادَتْك	لطيش المترفينْ
لا يَغُرنْكَ بريقٌ	زائفٌ أنَك طِينْ

ولقد هبت أخيراً رياح التغيير في العديد من أرجاء الوطن العربي، بسبب الاستبداد، والفساد المستشري، والبطالة الخانقة، وطريقة التعامل الفجه مع المواطنين

والاحتجاجات والمظاهرات - على سوء الخدمات - التي جرت مؤخراً في بغداد وفي بعض المحافظات والمدن العراقية هي أول الغيث !!

وهكذا تتضاعف الحاجة إلى استيعاب ملامح المرحلة، وفهم معادلاتها، والمبادرة إلى اجراء الاصلاحات اللازمة، واشباع الحاجات الاساسية، وتغيير نمط التعامل مع المواطنين ..

وحيث أظلنا شهر ربيع الاول المبارك، وهو شهر ميلاد منقذ الانسانية، وقائد البشرية الصالحة، خاتم الرسل والانبياء المصطفى محمد (ﷺ) يحسن بنا، ان نستذكر حديثين شريفين من أحاديثه البليغة، الموحية، الحافلة، بأروع الدروس والتوجهات:

روي عنه (ﷺ) انه قال:

« انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً

قالوا: يارسول الله كيف ننصره ظالماً؟

قال:

بكفّه عن الظلم»

قال الشاعر:

انـصر أخـاك اذا مـا كـان مظلوماً أو ظـالمـاً فـيكـون الـنـصرُ تقويما

إذن فالنصرة الحقيقية، ليست إلا بالكف والردع، لا بالمجاملة، والمهادنة

ولا بالتملق الزائف والطرق الشيطانية الخبيثة في التقرب إلى هذا القطب أو ذاك ..!!

كما روي عنه (ﷺ) أنه سئل:

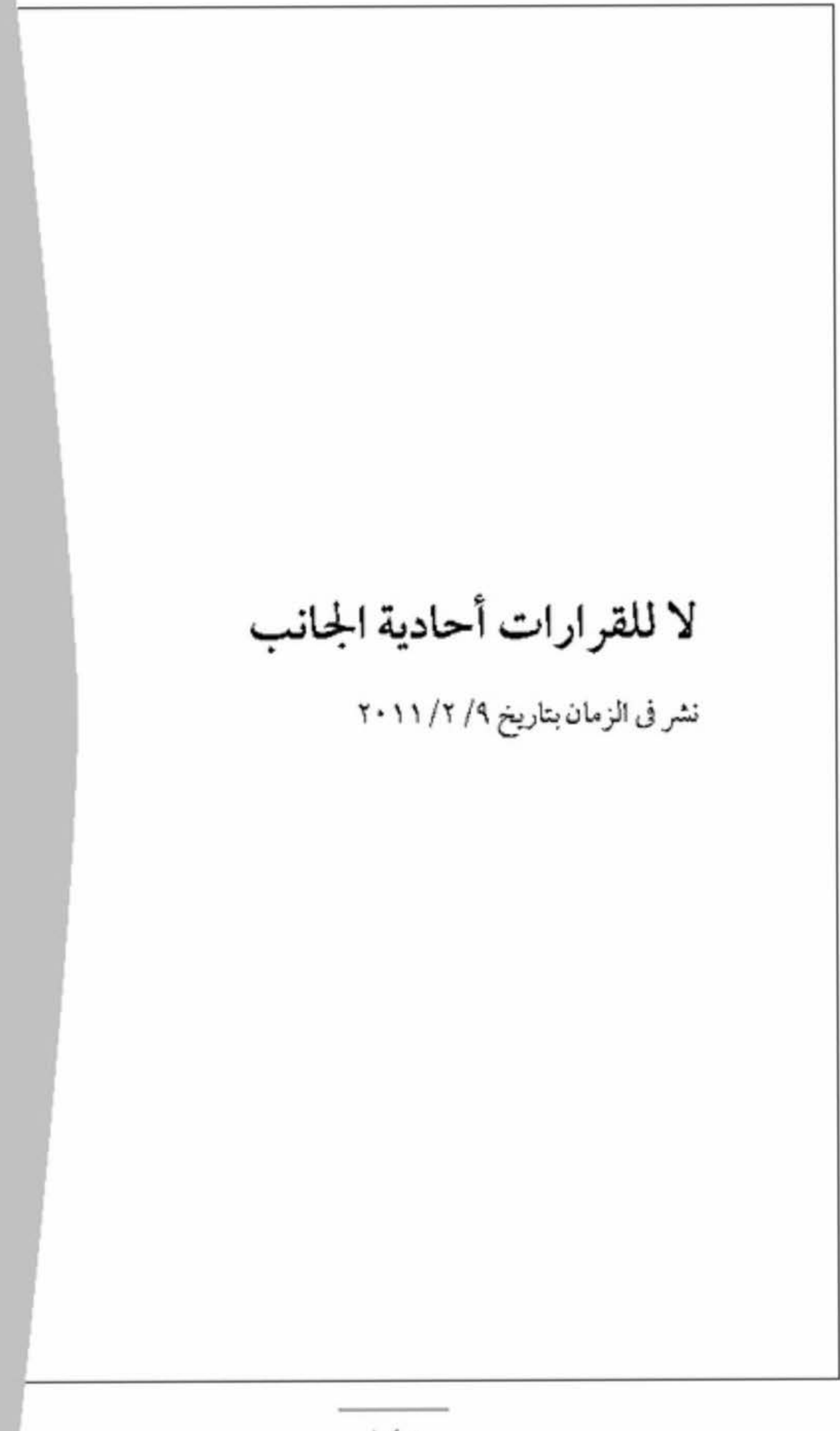
« أي الناس احبّ إلى الله؟

قال:

أنفع الناس للناس»

اذن لا شيء أثقل في الميزان، من الخدمة النافعة للشعب، بكل ما يملك المسؤول من طاقته

وإنه لجهدٌ مشكور، يصح أن نطلق علية وصف (العبادة الاجتماعية).



لا للقرارات أحادية الجانب

نشر فى الزمان بتاريخ ٩/ ٢/ ٢٠١١

لا للقرارات أحادية الجانب

كان لي صديقٌ رهيف الحس، اجتمعت فيه عناصر الذكاء، والفهم الاجتماعي المتميز، وخفة الطبع، ورقة الحاشية، فحبّبَته إلى نفسي كثيراً،

وكنتُ آنس بالكثير من حكاياته ومروياته ..، إلا انَّ مغادرتي الاضطرارية للوطن عام ١٩٧٩، كانت سبباً لحرماني من ذلك النبع المتدفق، وحين عُدتُ إلى الوطن الحبيب، كان قد ودع الحياة، وانتقل إلى جوار ربه، فلا أملك أن أدعو له بواسع الرحمة والرضوان، وأذرف عليه دموع الأحزان، واسترجع صابراً ملتاعا.

حدثني صديقي الراحل قائلاً:

جئت يوماً إلى حلقة درس الفقه، فوجدتُ أستاذي منتشياً بفرحة غامرة، سرّها نجاحه في اقناع والد فتاة شابة، بتزويجها من شاب ضرير فقير، علوي النسب، وهذا مما ضاعف من بهجة الأستاذ وسروره، حيث أنه سرّ بهذا الصنيع أجداده الميامين (سلام الله عليهم أجمعين)

وأستاذه - رحمه الله - عَلَمٌ من أعلام النجف، ورمز من رموز التقوى والصلاح، في حوزتها العلمية العريقة، ويكفيك أن تعلم، أن بعض العلماء ممن يفوقه علماً، كان يقتدي به في الصلاة، إيماناً بورعه العالي، وبلوغه المراتب السامية في التقوى والإخلاص ...

ويتابع صديقي الحديث فيقول:

قلتُ له: أتحسب يا سيدي أنكَ كنتَ موفقا في هذا المسعى من كلّ الوجوه؟

فأجابني بالقول:

بكل تأكيد، فقد فتحت لهذا الشاب العلوي، الفقير الضرير، باب السعادة والعيش الرغيد، وأنقذته من سعار الجنس اللاهب، والعزلة الخانقة، وقلة المبالاة بأمثاله من قبل عامة الناس .. إلى اخر ما تتضمنه قائمة الاحسان، من مفردات، يطول سردُها، اذا استرسلنا في البيان .!!

قلتُ: ولكنني ياسيدي، أُخالِفُكَ الراي، وأزعم أنّ ثمة جناية كبرى، قد ارتكبتْ بحق هذه الفتاة التي تم عقدها عليه ..

قال:

وكيف يكون التزويج جنايةً، وهو لم ينطلق إلا من هدفٍ سامٍ، وقصد انساني نبيل؟

فأجبتهُ قائلاً:

إن هذه الفتاة لم تكن تملك إزاء إشعارها برضا والدها بتزويجها، إلا السكوت، الذي يُفَّسر بالقبول، في حين أن الأمر في الواقع قد لا يكون كذلك هذا أولاً ثم إن هذه الفتاة الشابة، لأبّد أنها كانت تطمح إلى مواصفات أخرى (لشريك العمر)، و(فارس الاحلام) ..

كانت تريد الإقتران بمن يمتلك من السحر، والجاذبية، والحيوية، والفاعلية، والشباب، ما يجعله ملء القلب والعين والسمع، وكل هذه الصفات، مفقودة، في مَنْ سعيتَ، لاختياره شريكاً لحياتها

وبعد ان تأمل (الأستاذ) في حيثيات ما ذكره (تلميذُه)، لم يجد بُدّاً من التسليم، وأعدّ العُدّة لتلافي ما وقع ..

ونلاحظ هنا:

أن قرار الأستاذ، كان أحادي الجانب، ينظر إلى الاثار الايجابية التي يجنيها الضرير الفقير، ولا يفكر بما وراء ذلك من أبعاد، تنعكس على الفتاة - الضحيّة

إننا لابد أن نثمن الدافع الانساني - عند الأستاذ -، ولا نبخسه حقه، ولكننا نعتبر مسعاه، تمّ بناءً على رؤية مُتَسرِعة، وموقف مرتجل، لم يقلّب فيه الأمر على كل جوانبه ووجوهه ..

وننتقل الآن من موضوع القصة، إلى الموضوع الأخطر، وهو القرارات الرسمية، التي تتخذ، وهي مغموسة بالأحادية، ولا يُحسب منها إلا حساب المتفعين منها، في حين تهمل الأثار السلبية التي تتركها على مفاصل الحياة العامة، والمواطنين بوجه عام

ومثال ذلك، قرار الدمج، دمج العناصر الحزبية الميليشاوية، بالقوات المسلحة العراقية

إنه قرار أحادي الجانب، يعود بالنفع على مَنْ مُنحوا الرُتب العالية، والرواتب الوافية، وعلى الجهات التي ينتمون إليها، ويعود بالأثار السلبية على القوات المسلحة العراقية، وبالتالي على منسوب الامن الوطني، والاستقرار في العراق بوجه عام.

إنّ السلك العسكري له دروسه وفنونه، وضوابطه وطقوسه، تماماً، كما هو الحال في السلك الدبلوماسي مثلاً ..، فاختراق المعايير المسلكية، بقرارات مرتجلة، منحى خطير، يوقعنا في مطبّات كثيرة، لاتحصى أضرارها

إن بالإمكان الاستفادة من (المندمجين) في مختلف الوظائف والقطاعات إلا ما كان يفتقر إلى المهنية والاعداد الخاص

إن الرقم الذي يتم تداوله اليوم لاعداد القوات المسلحة العراقية، رقم هائل،

- قد يلامس المليون -، ولكنه في الواقع، لا يعكس مدى الحاجة الفعلية

- خاصة مع استمرار عمليات الإرهابيين المجرمين - إلى العناصر المنضبطة المؤهلة مهنياً، للنهوض بمهمات حماية البلد والمواطنين

وهنا ندعو إلى خلق الحوافز والاغراءات، وتكثيف إلتحاق النخبة، من الشباب العراقي، المتسم باللياقات البدنية والأخلاقية والدراسية، بالكليات والمعاهد العسكرية والمهنية، للحصول على الكوادر المطلوبة، في هذا المرفق الحساس والمهم للغاية.

الشكاوى الغريبة

نشر فى الزمان بتاريخ ١٤/ ٢/ ٢٠١١

الشكاوي الغريبة

ليس غريباً أن تكثر شكاوي المواطنين، وتتصاعد، إزاء ألوانٍ شتى من سوء الخدمات، حتى تصل إلى حدّ التظاهرات والاحتجاجات الصاخبة هنا وهناك ..

ان انجاز المعاملة التقاعدية مثلاً، يحتاج إلى صبر طويل على المعاناة والتأخير، والأوراق والمستمسكات التي تُطلب، تُتعب، وتُرهق، حتى يفي بإحضارها أصحاب العلاقة ..

هذا في الوقت الذي لا يغيب فيه عن أحد، الوضع الصعب الذي يعانيه المتقاعد، غالباً صحياً، ونفسياً، ومالياً ..

إن كل تلك الاجراءات المنحوسة، تجري باسم القانون، ومتطلباته، فكأن القانون، لم يُرد إلاّ الإنتقام ممن أفنى عمره في مجالات الخدمة العامة، ويكافؤه بالمشقة والإتعاب، والوقوف الطويل أمام الأبواب ..!!!

إنّ أحد أبرز المعايير، لاستكشاف مدى رُقيّ مجتمع معيّن، هو مقدار العناية بالإنسان، وحقوقه، والحفاظ على كرامته وسلامته ..

وبمقتضى هذا المعيار، نقف وجهاً لوجه مع حجم التخلف الحضاري، والاجتماعي، والغَبْن الفاحش للإنسان العراقي، الذي تراكمت عليه

الظلامات، ولم يكد يخرج من عصر الحكم الدكتاتوري الرهيب، حتى ابتلى بألوان أخرى من الافات، في طليعتها الفساد المالي والاداري، وجرائم الإرهاب الغادر، التي تحصد أرواح الأبرياء والآمنين بلا هواده، وتشيع في الأوساط الرعب والذعر والاضطراب

ولا نريد أن نطنب في هذا الجانب، فالعراق قد دُمرّت بُناه التحتية، وعاد عقوداً إلى الوراء ..

إن زخّات من المطر، تكفي لأن تتحول الشوارع في العديد من مناطق العاصمة بغداد، فضلاً عن سائر المدن والمحافظات العراقية الأخرى، إلى بِرَكٍ كبيرة من المياه، يصعب معها السير والتنقل .!!

إن المليارات الهائلة المخصصة للخدمات، سرعان ما تتبخر، ويتم ابتلاعها بطرق سحرية، لم تنجح الحكومة حتى الأن، بكشفها، فضلاً عن معاقبة السحرة، وانتزاعها منهم، لابل نسمع

بإستمرار، عن تعقيدات وإعاقات، تحول دون محاسبتهم ومساءلتهم، وهذا يعني أن المعاناة يراد لها، أن تمتد، إلى سنوات قادمة لكي تكتمل حبّات مسبحة الموت البطيء .

ويطول بنا المقام إن أردنا الإفاضة، في مفردات القائمة الطويلة من المفارقات، والمواخذات، على مجمل ما يشهده المواطنون العراقيون من مصاعب جمّه في حياتهم العامة

إن ثمة لوناً اخر من الشكوى، يصطبغ بالغرابة ويثير التساؤلات العديدة

إنها شكاوى المسؤولين أنفسهم .!!

أذكر أن الطاغية المقبور، شكا في خطاب له من أفراد حمايته، معبرا عنهم (بالظَّلَمَه)، ومحذراً المواطنين من الاقتراب منهم .!!

اذا كانوا من الظلمة فلماذا تُبقيهم حولك؟ ، وتترك محاسبتهم ومساءلتهم عن أفعالهم؟

إنها المهزلة حقاً .!!

لقد حدثني قبل أيام، أحد الأحبّة، عن مسؤول بارز، في احدى الوزارات العراقية المهمة، قائلاً:

شكا اليّ صديقي صاحب الموقع المهم في الوزارة الفلانية، من الفساد المتفشي فيها، بما في ذلك الفساد الأخلاقي، مدعيا، انه لا يستطيع اغماض جفنيه، قبل أن يبكي طويلاً ويذرف الدموع

ويتكرر ذلك كل ليلة قبل المنام .!!

يبكي على ما يجري من انتهاكات في الوزارة للقيم والضوابط ..

إن هذه الدموع تكشف عن رقة وإنسانية، ولكنها لا تكشف عن شخصية ادارية حازمة، تتصدى لوضع النهاية الحاسمة لعمليات التلاعب بالموازين، والخروج عليها، بكل جرأة ودون وجل

إن هذه الدموع، وللاسف، ليست (علاجا) لتلك (الأمراض) المتفشية في وزارته

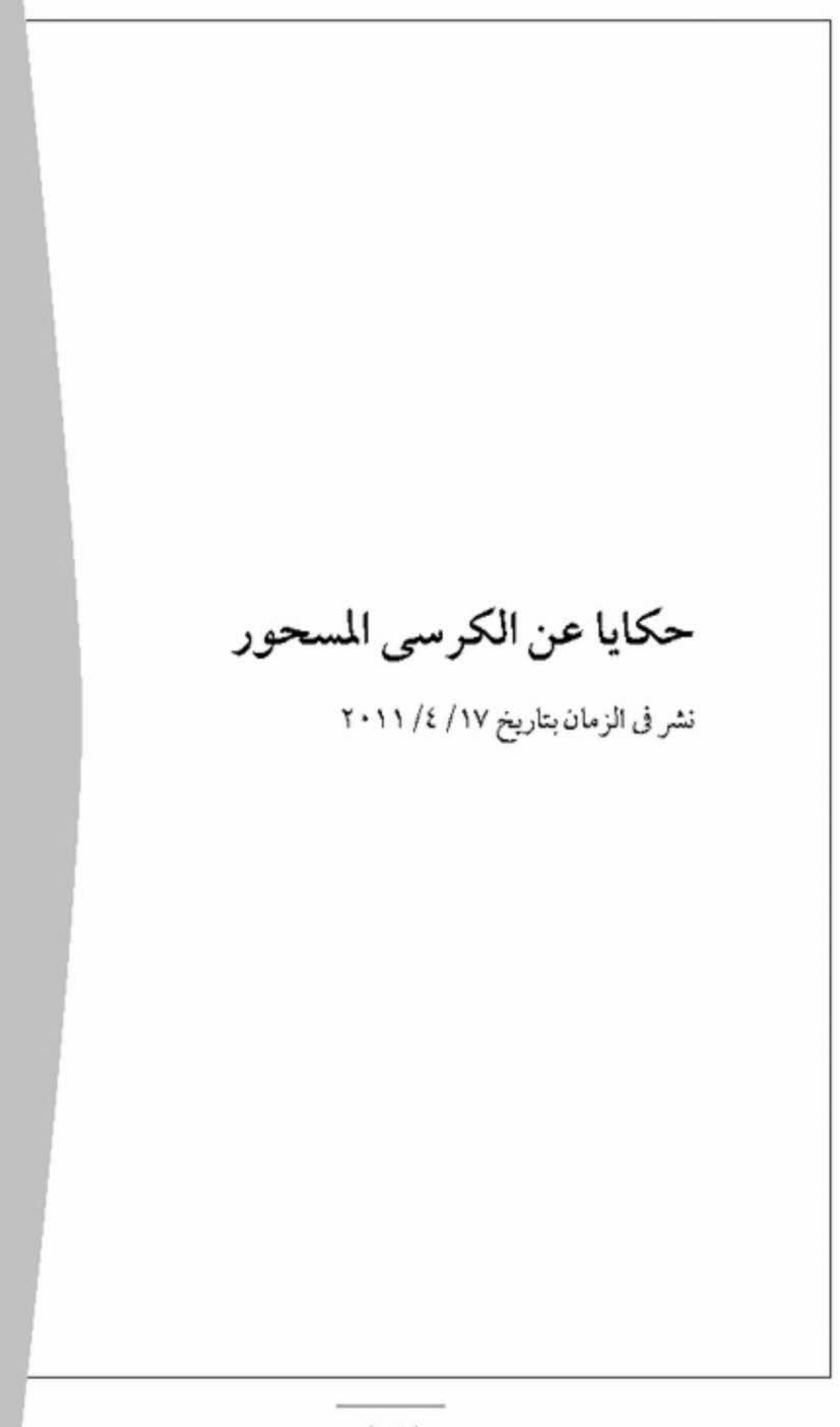
قد يكون الرجل عاجزاً عن تحقيق النقلة النوعية المطلوبة في التطهير الحقيقي لجهاز الوزارة من الفساد، ولكنه في هذه الحالة، لا يسوغ له الاستمرار في البقاء متفرجاً، وهو في موقع المسؤوليه

إنّ عليه أن يتخذ قراره الشجاع، بالانسحاب من هذا الموقع، إلى موقع آخر يمتلك تدبيره، مع بيان الأسباب، ويفتح بذلك الباب، لوضع جديد، وحساب شديد .

إن الجانب العاطفي، قد يستغله السياسيون في بعض الأحيان لتهدئة الخواطر، وتسكين المشاعر، ولكن الشعوب المتمرسة بأحابيل المسؤولين، وطرائقهم في الخداع والتمويه، لا تنطلي عليها، هذه الأساليب الماكرة

والإنتفاضة قائمةٌ فعلاً، في العديد من أقطار الوطن العربي الكبير، وسببها الحقيقي، الإستهانة بحقوق المواطنين السياسية، والنكوص عن اشباع حاجاتهم الحياتية ..

وقد ولّى إلى غير رجعة، زمن الرضوخ لقرارات الحاكم المستبد، والخوف من إجراءاته القمعية ..



حكايا عن الكرسى المسحور

نشر فى الزمان بتاريخ ١٧/ ٤/ ٢٠١١

حكايا عن الكرسي المسحور

في كتابه الممتع (هكذا عرفتهم)، ترجم المرحوم الأستاذ جعفر الخليلي

- وهو الباحث والأديب والصحافي اللامع - الحاج عبد المحسن شلاش

- التاجر النجفي، والسياسي المخضرم فقال:

(لقد أبى إباء شديداً، عن قبول الوزارة حين دُعي اليها لأول مرة، ثم تكررت الدعوه فأبى)

متى دعي وفي أيّ عهد؟

سؤال يدور في الأذهان، ويطرح نفسه بإنتظار الجواب:

كان ذلك أيام الراحل الملك فيصل الاول، رغبة منه في الافادة من خبرة الحاج محسن شلاش العميقة في الميدان المالي

ولماذا كان يرفض الوزارة؟

سؤال أخر، سرعان ما يدور ملّحا في هذا السياق، لاسيما أن معظم رجال السياسة، ونجوم المجتمع، ممن يسعى لتسنم الحقائب الوزارية

وتتيح لهم الوزارة العديد من الفرص، لإحتلال مساحات واسعة من النفوذ والشهرة، والنفاذ إلى ذاكرة التاريخ شريطة الأداء الفاعل في مضامير الخدمة الوطنية، المقترن بالنزاهة، ومراعاة المصالح العليا للبلاد

يقول الخليلي:

(وما زالوا به حتى قبل الوزارة)

وهنا تزداد الرغبة لمعرفة أسرار الرفض، ثم التحول من مرحلة الرفض إلى مرحلة القبول؟

وقد وضح الخليلي ذلك حين كتب يقول:

(لقد حدثني مرة عن إستيزاره فقال:

لم أكنْ أفهم معنى ما روى عن شخصٍ، كان قد عُرض عليه منصب القضاء في العصر العباسي، فرفض قبوله، وحين سئل الرجلُ عن سبب رفضه المنصب، فقال:

إنما رفضتهُ لأني كنت اخشى ذُلّ العزل)

ورغم ان (القضاء)، غير «الوزارة»، الاّ ان هناك قاسماً مشتركاً بينهما، يتمثل بأمكانية إصدار قرار العزل أو الإقالة من كليهما، وما يترتب على العزل والإقالة من اثار سلبية، نفسياً واجتماعياً وسياسياً، يكون المعزول في غنىً عن التعرض إليها، لو كان نأى بنفسه عن قبول المنصب

هذا المعنى المخيف - ذل العزل - لا يخشاه العلماء على الإطلاق:

قال الشاعر:

وإنـــــما الـــعـــلـــم لأربـــابـــه ولايـــــةٌ لـيـس لهـــا عَـــــزْلُ

ومن الواضح أن العلم ليس وظيفة رسمية، يستطيع الحاكم اصدار قرار، بإنهائها، ومن هنا يبقى العالم في مأمن من وقوع هذه الكارثة، ولكنه يفقد هذه الميزة، ساعة قبوله بأي منصب رسمي

إن هذا الإمتياز لكبيرٌ وثقيل في الميزان

ويستمر الخليلي في حديثه فيقول:

(لقد قال لي الحاج محسن - ولم أكن افهم هذا المعنى - معنى ذل العزل، إلاّ عندما قدمت وزارتنا إستقالتها، فإذا بي، وبعد ذلك الإباء الشديد الذي بدأ مني حين عُرض عليّ الدخول في الوزارة، والذي حمل الملك فيصل أن يصر على مساهمتي في الوزارة ...، إذا بي أستحيل إلى شخص غريب، كل همه أن يتمسك بالكرسي، كتمسكه بدينه وكرامته وأكثر .!!

وقال: وهناك فقط علمت معنى الخشية من (ذل العزل) الذي كان يتوقاه الرجل المذكور، عندما عُرض عليه منصب القضاء في العصر العباسي، وهناك فقط، رحت أمعن في بلاغة تلك الرواية ومدى واقعياتها !!)

يقول الخليلي:

(وراح الحاج محسن بعد ذلك، يتقلب في الوزارات، وأنا من الذين يعتقدون انه عمل للناس وهو خارج الوزارة، أكثر مما عمل لهم وهو في الوزارة)

ولنا هنا وقفات:

الأولى: لتثمين الصدق والصراحة في تصوير الحاج عبد المحسن شلاش لمشاعره وأحاسيسه إزاء الكرسي، وخاصة حين يتعرض للإهتزاز،

هذه الصراحة قد لا نجدها اليوم عند أكثر السياسيين العراقيين، فلقد ابتلينا (بفيروس) الإزدواجية، والإلتواء، والمراوغة التي لا تقف عند حدّ

الثانية: وأهمّ من يحصر الخدمة الاجتماعية بالحقيبة الوزارية، فقد يوفق المخلصون من الرجال إلى إنجازات مهمة على الصعيد الإنساني والإجتماعي، لا يوفق لها أصحاب الحقائب

وهذا ما شهد به(الخليلي) بحق (شلاش) وهو درسٌ ثمين لكل العاملين في حقل السياسة

الثالثة إن التجارب الإنسانية، تبقى نبعاً متدفقاً بالعطاء ..

إن قصة واحدة، إعتذر صاحبها عن قبول منصب القضاء خشية العزل، في العصر العباسي، جعلت الحاج محسن شلاش يتردد طويلاً في قبول الوزارة، في إشارة واضحة إلى تأثره الشديد بالتجارب التي مرّ بها السابقون

وإننا اليوم قلّ أن نشهد تأثراً بالسوابق الباهرة، والتجارب الغنية، وهذه ثلمة في جدار المخزون المعرفي، وسجل إستنطاق سير الرجال، وإقتناص المفيد من أخبارهم ومواقفهم

ويحسن بنا الأن، أنْ نذكّر بالأوضاع الحالية، في الساحة العراقية، لا سيما بعد أن إنفتحت شهيّة بعض المواقع الخبرية، على تسريب حكايا غريبة، وأرقام مُريبة، لتصل إلى حد تسعير (الأسهم) في (البورصة) الوزارية العراقية

وإذا لم يكن من الصحيح، وأد الطموحات، وإطفاء جذوتها في النفوس، لأنها من العوامل الباعثة على الحركة والإنتاج، فأنّ من الصحيح أن ترتبط بالتوفر على نصيب حقيقي، من المؤهلات الموضوعية، لا من مجرد الإنتفاخ الذاتي، والرغبة المحمومة في التسلط، والإستئثار بالمكاسب والإمتيازات

وسواء صحت تلك الاخبار أم لم تصح، فإننا قد شهدنا تأخرولادة الحكومة العراقية مدة قاربت مدة الحمل الطبيعي !!

وشهدنا أيضاً تاخر تسمية وزراء أخرين، بمن فيهم الوزراء الأمنيون، في التشكيلة الجديدة، مع كل ما تركه هذا التأخير من تداعيات ومشكلات، دفع الوطن والمواطن ثمنها، على كلّ الصُعد والمستويات

والغريب أن العراق، الذي كان البلد العربي الأول، في إسنادة حقيبة وزارية للمرأة - أصبح يضن عليها بهذا المنصب .!!

واذا كانت معظم الكتل السياسية تتناسى العنصر النسائي المتواجد في صميمها فكيف نطمح أن تحمل هموم المواطنين البعيدين عنها؟ !!

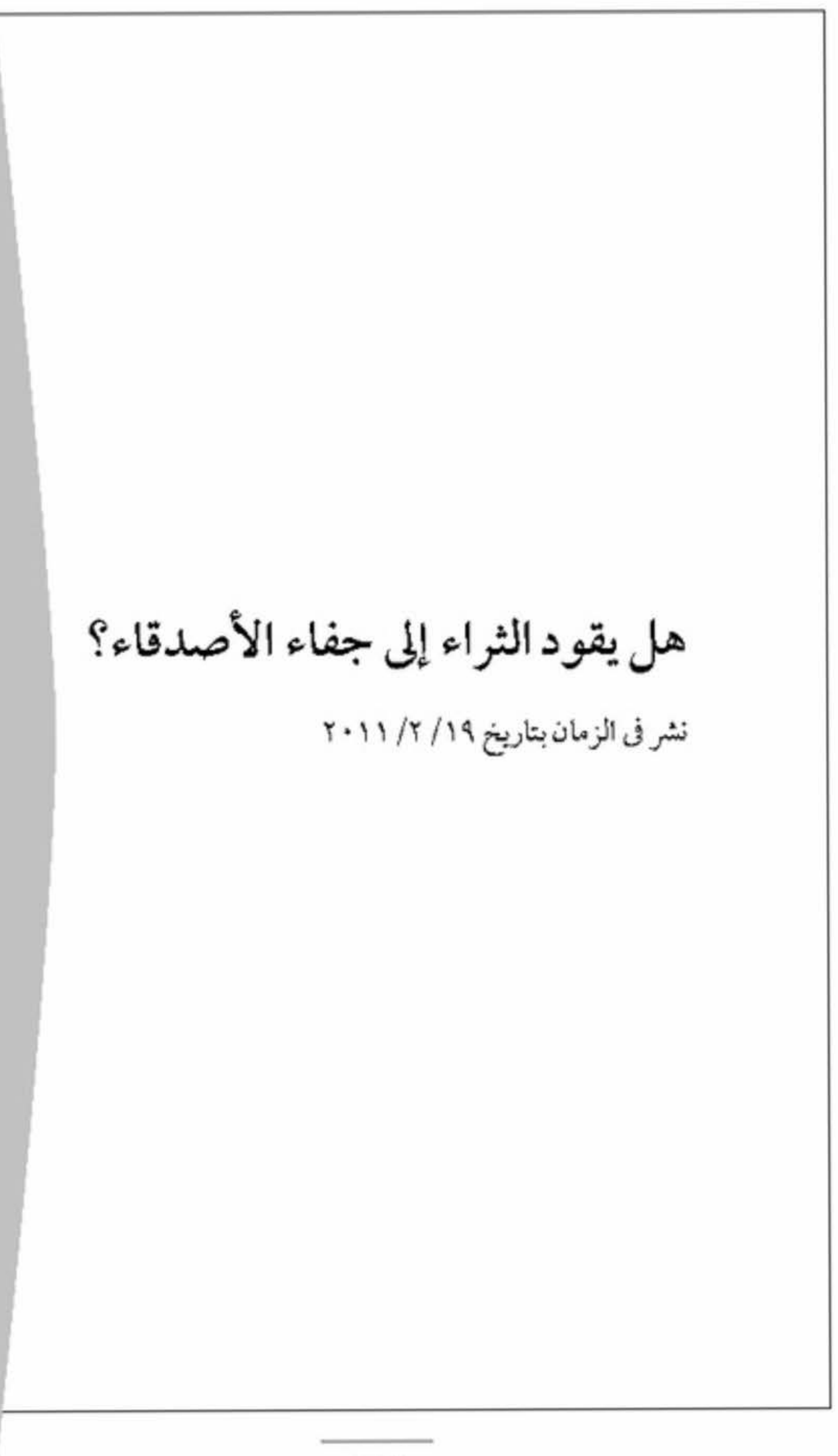
ثم إن هناك ظاهرة مؤسفة، بدت وكانها جزء لا يتجزأ من الطقوس الوزارية في العراق الجديد، تلك هي ظاهرة التبديل والتغيير والإقصاء للعديد من العاملين في الوزارات العراقية، لا لشيء إلاّ لأنهم ليسوا من الخط السياسي لهذا الوزير أو ذاك وربما لأنهم لا يمتون إليه بنسب أو سبب ..!!!

وهكذا يتم التعاطي مع الأمور، ومن خلال هذا المنظور الضيّق !!

هل وجدتم نقصاً في كفاءاتهم، وتخلفاً عن إنجاز ما أوكل إليهم من أعمال؟

إن المرافق العامة في الدولة - كالوزارات والمؤسسات - ليست مما (يُطوّب) لصالح شخص معيّن، أو جهة معيّنه

إنها للعراقيين جميعاً، بشيعتهم وسنتهم، بعربهم وكردهم وتركمانهم، بمسلميهم ومسيحييهم، وباقي الأقليات، سواء بسواء، وهذا ما يعرفه صغارنا فكيف يغفل عنه الكبار؟!!



هل يقود الثراء إلى جفاء الأصدقاء؟

نشر في الزمان بتاريخ ١٩/ ٢/ ٢٠١١

هل يقود الثراء إلى جفاء الاصدقاء؟

كانت العلاقة بين الشاعر الكبير أحمد الصافيالنجفي وبين صديقه الأديب الأستاذ عباس الخليلي، من القوّة والمتانة، بحيث أنها أصبحت مضرب الأمثال ...

وقد كانا متلازمَيْن آلا إن الخليلي، وبسبب مواقفه الوطنية، اضطر إلى مغادرة العراق، فالتحق به رفيقه الصافي، لنفس السبب، ولو بعد حين، ورأى من حفاوته به، ومن ألوان المودة والتكريم، ما عمق تلك الصلة، وزادها رسوخاً، إلى أن وقعت بينهما الجفوة، والتي لم يكن لها من سبب، الاّ إحساس الصافي - وهو الشاعر المرهف - أن صاحبه تعالى عليه، بعد أنْ الت عليه أوضاعه المالية إلى إنتعاش ملحوظ، فخرج من بيته ولم يعد إليه .!!، كما ان الخليلي لم يسأل عنه ..!!!

حدث ذلك بعد تاريخ طويل من الصداقة المتميزّة، وكانت تلك الحادثة، سبباً لدعاء غريب، أطلقه الصافي، في بيتٍ من الشعر

قال:

أدام الله أصـــحـــابي بِـفـقْـرِ مخـافـةَ أنْ يُـفـرّقـنـا الـثـراءُ

إنها دعوة قاسية، ذات رنين مُوجع، ووخز مُفزع ..

والصافي هو القائل:

أيهـا (الـفِـلْـسُ) ما أرى منك خَـيرْاً حيثُ جافَـيْـتَ كـلّ صاحب خَـيرْ

وقد تضمن هذا البيت، كَشْفاً لأوضاعه الاقتصادية الصعبة، ونظرية تسئ الظن، بكل الأثرياء والموسرين، حيث رأى إن المال يجافي أصحاب الخير.!

وليست هذه النظرية صحيحة بالضرورة، بشكل مطلق، وإنْ كانت تصّحُ على كثير من أرباب الثراء الفاحش، الناشئ من الصفقات المُريبة، والإختلاسات المُدانة، ولم تكن نَاشئة بالوسائل الطبيعية المشروعة لتحصيل المال

إن العلاقات المتينة بين الأصدقاء، قد تتعرض للإهتزاز، إذا مالت الريح لصالح أحدهم دون الأخر، وقلّ أن تسوء، إذا كان الطرفان في مستوى متقارب، من القدرة المالية، و(نادي الأثرياء) كفيلٌ بتنقيته الأجواء بينهما، ولاعبرة بالشاذ من الحالات

إنّ أحد اسباب الطغيان، هو التوفر على ثروة عظيمة وأموال طائلة، قد تُفقد صاحبها، توازنه، فيخرج عن حدود اللياقة، ويتنكر لمتطلبات الصداقة

مثال تاريخي

ومن أروع الأمثله التاريخية، التي تصّور لنا، حالة؟ ؟؟؟ المقيته، المستنده إلى الثراء هذه القصة، التي تناقلتها كتب الحديث

وخلاصتها:

أن رجلاً من (الموسسرين) جاء إلى الرسول (ﷺ) فجلس عنده، وفي أثناء ذلك، جاء اخر، وكان (فقيراً)، تلوح على ثيابه المشبعة بالأدران أثار الفاقة، فجلس إلى جانبه، فما كان من الأول، الا ان بادر؟ ؟؟؟ ثيابه، وكانت حركة رعناء، رصدها الرسول (ﷺ)، وحاسبه عليها، قائلاً:

(أخِفْتَ أنْ يَمَسَك من فقره شيءٌ)؟

إنه سؤال فيه من التوبيخ والتقريع ما فيه .

فقال الموسر: لا

وهنا وجه الرسول (ﷺ) سؤالاً ثانياً، فقال له:

« فخفِفتَ أنْ يوسخَ ثيابك»؟

والاستغراب، وعدم الإرتياح من مبادرة الموسر، لاحا، بوضوح في السؤال الثاني أيضا

قال الموسر: لا

وهنا أردف الرسول (ﷺ) السؤالين الأولين بسؤال أخير، فقال:

(فما حَمَلَكَ على ما صنعتَ)؟

أن توالي الأسئلة من قِبَل الرسول (ﷺ)، وبهذا الشكل، يكشف عن:

حرص الرسول (ﷺ)، على تأديب أصحابه من جانب، ورعاية الفقراء، والعناية بأن لا تخدش مشاعرهم من جانب آخر، وهذا ما دفع بالرجل الموسر إلى ان يعرض على الفقير، تقديم النصف من أمواله، قائلا:

«قد جعلتُ له نصف مالي»

فقال رسول الله (ﷺ) للمُعسر:

أتقبل؟

قال: لا

وهنا تساءل (الغنيّ) عن سر رفض (الفقير)

لهذا العَرض السخيّ، فأجابه بالقول:

«أخاف أن يدخلني مادَخَلَكَ»

وكان جوابا، بليغاً، رائعاً، ثبّت فيه الفقير ترفه عن المال، وزهده فيه، خشية أن يصاب بشيء من التكبر والتعالي على المؤمنين .!! ومن الظواهر المؤسفة في العراق اليوم، ضمور الطبقة الوسطى، وبلوغها حداً يكاد يقترب بها من حافة الإختفاء والنهاية، وهذا ما يولد فارقاً طبقياً كبيراً بين (عامة) الناس وبين أصحاب الثروات، وتنعكس أثار ذلك سلبياً، على العلاقات والروابط (الخاصة) إنّ المحترفين من السياسيين، باتوا يشكّلون ظاهرة خطيرة، فقد فاقوا بثرواتهم، وعقاراتهم وحساباتهم المصرفية، السرية والعلنية، الأثرياء التقليديين ..

ثم إنهم وهذا هو المحزن - تنكروا للعديد من أصدقائهم وزملائهم، وإخوانهم، ولم؟ ؟؟؟ يسألون عنهم، أو يهتمون بشأن من شؤونهم، على انهم القادرون - لو كانوا يُنصفون - على انعاشهم وتحسين أوضاعهم؟ ؟؟؟؟

إن هذا الجناء، وهذه القسوة، يعتبران من مظاهر الإفلاس في قاموس الأخلاق

ولا قيمة للثراء على الإطلاق، اذا كان بعيداً عن الاخلاق

إن الثراء الحقيقي، هو التوظيف الفاعل للامكانات المتاحة على كل الصُعد والمستويات، في مضامير العمل الإنساني، والبر الوطني والإجتماعي وبهذا تُمتَلكُ مفاتيح القلوب في الدنيا ومفاتيح الجنان في الاخرة

من (معاوية بن يزيد)
إلى (زين العابدين بن على)

نشر فى جريدة البينة الجديدة بتاريخ ٢٠/ ١/ ٢٠١١

من «معاوية بن يزيد» إلى «زين العابدين بن علي»

تتيح السلطة لأصحابها، مغانم شتى من الإمتيازات، واكتناز الثروات، والجاه العريض، وإشباع الغرائز في الأمر والنهي، والحلّ والعقد، والضوء الإعلامي المكثف، وتسليط الأنصار والأحباب على رقاب الناس، ومنحهم المناصب والحقائب، والقدرة على الانتقام من الخصوم ... إلى أخر اللائحة المسحورة، من أمنيات عشاق السلطة والكراسي، ومن يسيل منهم اللعاب، وصولاً إليها بأي ثمن .!!

لكن (مغانم) السلطة، تقابلها (المغارم)، وهي الأعباء والمسؤوليات الكبرى، المناطة، بعهدة أرباب السلطة، كل ذلك، طبقاً للمبدأ المعروف:

(مَنْ له الغُنم فعليه الغُرم)

ومن هنا فقد ينقلب السحر على الساحر، وتتحول تلك الإمتيازات السلطوية إلى فصول داكنة مُرّة من المعاناة، وقد تقود بالتالي إلى أفظع النهايات ..

وهذا الإنعطاف الحاد من (النعيم) إلى (الجحيم) لا يأتي عادةً، بشكل عشوائي مفصول عن الممارسات، التي تصطبغ بها مسيرة الحكام ..

فقد تلتمع صورٌ براقة من الإعتدال، والتوازن، ومحاولات إشاعة العدل الاجتماعي، ولمسات المنحى الانساني، المنطلق من الحفاظ على كرامة المواطنين وحقوقهم، وتوفير الخدمات الحياتية لهم بما يضمن لهم الحياة الكريمة العابقه بأشذاء الحرية، والبعيدة عن كل ألوان الابتزاز والامتهان....

وفي مثل هذه الأجواء، تتقلص هواجس الحكام من المصير المجهول

إن خدمة الحكام للمواطنين، هي صمام الأمان، والسبب الحقيقي للاطمئنان

وليس ثمة من مشهد، أروع من حكام محبين لأوطانهم وشعوبهم، وشعوب تُبادل حكامها حبّا بحب، وتوليهم الثقة، وتدين لهم بالولاء

وبالمقابل، فإن فقدان الحكام لملكة القراءة الدقيقة لنبض الشارع، وما يمور به من مشاعر وأحاسيس، وما يتطلع إليه من طموحات، وما يطالب بإشباعه من حاجات، وانغماسهم إلى الأذقان، في توسيع مساحات نفوذهم، وسيطرتهم الذاتية، والحزبية، والطائفية، والمناطقية،

يشكل أكبر المخاطر السياسية والاجتماعية ليس على المديات البعيدة فحسب، بل حتى على المدى القريب المنظور، حيث لا يُدرى، متى تنفجر براكين الغضب الشعبي المتراكم، ويخرج المارد من القمم ليقلب الاوضاع كلها، راساً على عقب، وعندها تبدأ دورة جديدة، ومرحلة جديدة، تصبح معها التجربة الماضية خبراً من أخبار التاريخ .... وعبرةً من عبره ....

واذا كان الملك عقيماً، كما يقال، والإستماته في مجالات ديمومة البقاء في السلطة، هي القاعدة في غالب الأحوال، إلا أن هذه القاعدة لا تخلو من بعض الاستثناءات

ومن هذه الاستثناءات القليلة، موقف (معاوية بن يزيد)، الذي بويع بعد أبيه، ولكنه سرعان ما أعلن، عبر خطاب سياسيّ مهم، رفضه للسلطة، وتنحيه عنها، حيث قال:

(يا أيها الناس، ما أنا بالراغب في الإئتمار عليكم، لعظيم ما أكرهه منكم، واني لاعلم أنكم تكرهوننا أيضا، لأننا بلينا بكم وبليتم بنا، الا أن جدي معاوية، قد نازع في هذا الأمر، من كان اولى به منه ومن غيره لقرابته من رسول الله (ﷺ) وعظم فضله وسابقته، أعظم المهاجرين قدراً، وأشجعهم قلبا، وأكثرهم علما، وأولهم إيماناً، وأشرفهم منزلةً وأقدمهم صحبة، ابن عم رسول الله (ﷺ) وصهره وأخوه زوّجه ابنته فاطمة، وجعله لها بعلاً، باختياره لها، وجعلها له زوجة باختيارها له، أبو سبطيه سيديْ شباب أهل الجنة .. فركب جدي معه ما تعلمون، وركبتم معه ما لا تجهلون، حتى انتظمت لجدي الامور فلما جاءه القدر المحتوم، واخترمته أيدي المنون، بقى مرتهنا بعمله، فريداً في قبره، ووجد ما قدمت يداه، ورأى ما ارتكبه واعتداه، ثم انتقلت الخلافة إلى يزيد أبي، فتقلد أمركم لهوى كان أبوه فيه، ولقد كان أبي (يزيد) بسوء فعله، وإسرافه على نفسه، غير خليق بالخلافة على امة محمد (ﷺ) فركب هواه، واستحسن خطاه، وأقدم على ما أقدم، من جرأته على الله، وبغيه على من استحل حرمته من أولاد رسول الله (ﷺ) فقلّت مدّتهُ، وانقطع أثره، وضاجع عمله، وصار حليف حفرته رهين خطيئته، وبقيت أوزاره وتبعاته، وشغلنا الحزن له عن الحزن عليه، فليت شعري، ماذا قال، وماذا قيل له، هل عوقب بإساءته، وجوزي بعلمه، وذلك ظني، ثم خنقته العَبرة فبكى طويلاً، وعلا نحيبه ثم قال:

وصرتُ أنا ثالث القوم

وما كنتُ لأحتمل أثامكم

ولا يراني الله جلّت قدرتهُ متقلداً أوزاركم، والقاه بتبعاتكم، فشأنكم أمركم فخذوه ..)

وهذا الخطاب التاريخي، يتميز بأنه وضع النقاط على جملة حقائق خطيرة:

١ - ان المعزوف عن السلطة، كان بدافع ذاتي، ودون اكراه واجبار، من قبل أية جهة، وهذا ما يرقى بصاحبه إلى مصاف المترفعين عن الوقوع في شرك الاهواء والمطامع والاخطاء .

٢ - انه حفل بالانتصار للقيم لا للرحم، وهذا يعني توفر الرجل على قصد موضوعي، قفز به إلى رحاب الأفذاذ من أصحاب المواقف الراندة، وشجبه وإدانته الصريحة للسياسات المنحرفة عن الحق، أيا كان مصدر الانحراف، هو الآخر دليل، على السمو والإتصاف بالجميل من الاوصاف.

٣ - الاشادة بأمير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب (ع)، ومكانته الفريدة في الاسلام، وموقعه من الرسالة والرسول (ﷺ)، ومالقي من ظلم فظيع واعتسافٍ مريع، على يد أعدائه، كما نبض الخطاب، بالحب والمودة لأهل البيت (ع)، من منطلق الاستجابة للقرآن وبعيداً عن الرواسب والاضغان

وهكذا ودع (معاوية بن يزيد) السلطة، في واحدٍ من أعظم مشاهد النبل السياسي، والسمو الاخلاقي والوعي الديني

وليت اللاهثين وراء السلطة من الكهول والشيوخ يعكفون على دراسة هذا الخطاب، ممن كان في ريعان الشباب، ويستوعبون دوافعه ومضامينه

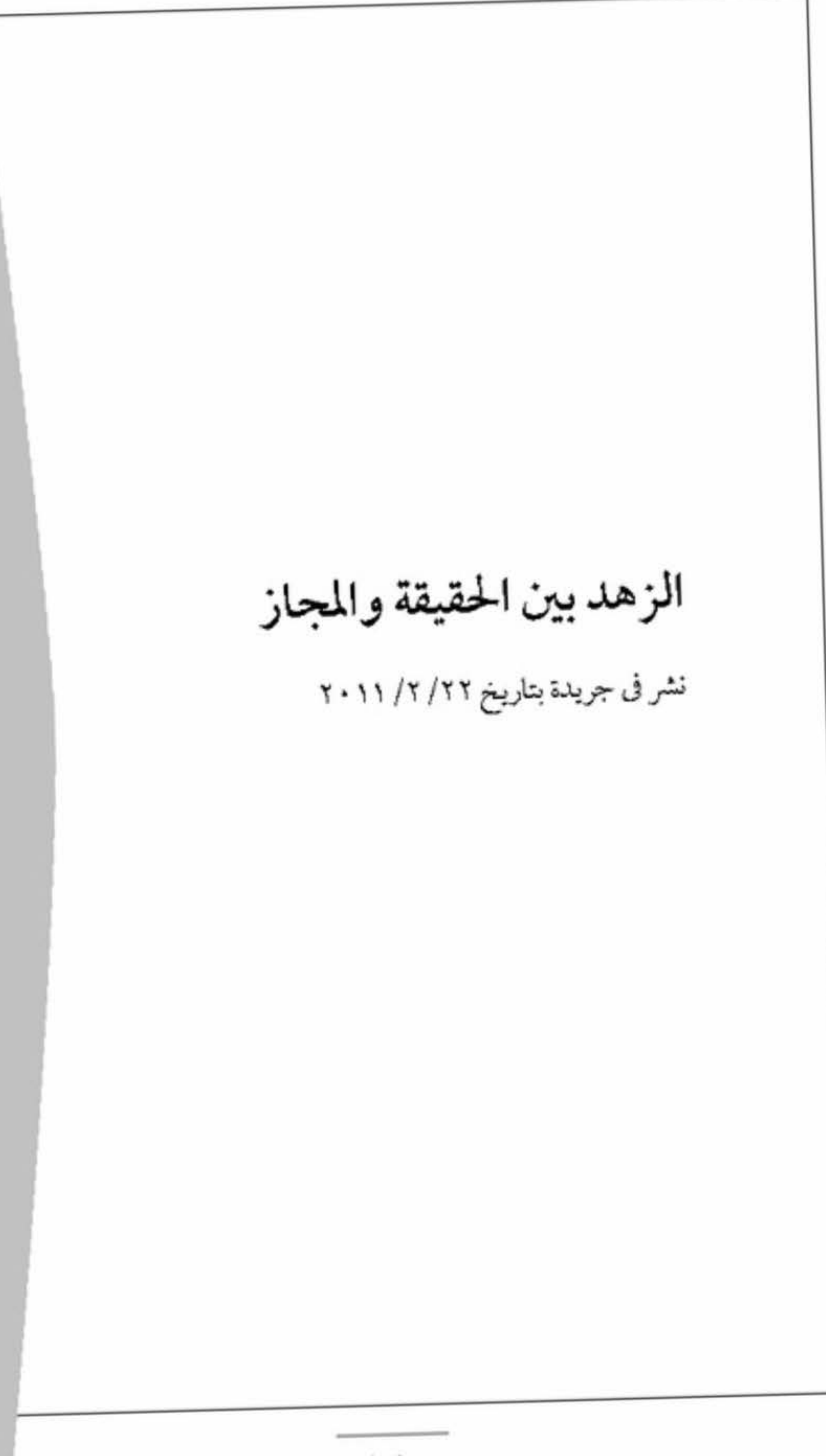
وقد يخجلون من أنفسهم، ولكنهم لا يفعلون .!!

وهيهات أن تكون لهم مثل هذه الجرأة في اقتحام بوّابات المجد

وأما الرئيس التونسي الهارب (زين العابدين بن علي) - الذي وصل إلى الحكم بانقلاب أبيض قبل أكثر من عقدين من الزمن - واذاق البلاد والعباد مرارة الاستبداد وصنوف التضييق على الحريات وحكم بالحديد والنار غيرِ آبه بحقوق الانسان التونسي وكرامته فقد أدرك أنه وشيك اللحاق بمن سبقه من الطواغيت بعد أن هّبت رياح (ثورة الياسمين) فآثر الهروب لكن دون أن يكتب استقالته رسمياً وكان للجيش التونسي موقف يشكر في إحجامه عن مهاجمة المتفضين وانقاذ البلاد من الفوضى العارمه، وساند ثورة الجياع والعاطلين

إن هروب "بن علي" حال دون استمرار نزيف الدماء، واستفحال فصول البلاء، على يد جلاوزته من الشرطة وهذه نقطة لابد أن يشار إليها

نعم يبقى الفارق كبيراً بين الرئيس التونسي الهارب، وبين طاغية العراق المقبور، الذي اختصر العراق بذاته، وبقى مصراً على تعريض العراق لألوان من الدمار والاضطراب، وعدم الاستقرار، حتى باء بأبشع ما باء به متفرعن جبار



الزهد بين الحقيقة والمجاز

نشر فى جريدة بتاريخ ٢٢/ ٢/ ٢٠١١

الزُهد بين الحقيقة والمجاز

إلتهب الشارع العراقي أثر إبرام الحكومة العراقية معاهدة (بورتسموث)

مع الحكومة البريطانية، وكان للمظاهرات الشعبية الغاضبة، أثرها في سقوط وزارة المرحوم صالح جبر - التي أبرمت المعاهدة - فكُلِف الزعيم الوطني، المغفور له، سماحة السيد محمد الصدر، بتشكيل الوزارة العراقية.

كان ذلك تحديداً عام ١٩٤٨

وتكليف السيد الصدر، بتشكيل الوزارة، لم يأت اعتباطاً، وإنما جاء، لما يملكه من ثقل سياسي واجتماعي، وقدرة ونفوذ كبيرين، في مضمار معالجة الموقف، وتهدئة الأمور

إنه أحد أبرز قادة ثورة العشرين الخالدة، وواحدٌ من اكبر بُناة العراق الحديث

إن رئاسة الوزراء، منصب خطير، يطمح لتسنمه عامة الزعماء السياسين، إلا أن السيد الصدر، لم يُبدِ تفاعلاً ملحوظاً في هذا الامر، واتجه إلى الإعتذار عن قبول المنصب، فما كان من رؤوساء الاحزاب الوطنية العراقية، إلا أن زاروه، واصروا عليه بالقبول والتصدي، خدمة للشعب والوطن، وازاء اصرارهم من جانب، واقامتهم الحجة عليه، باعتباره القادر على الانقاذ، من جانب آخر، لم يجد بُدّا من القبول، ايثاراً للصالح العام، واستجابة لرغبة الوطنيين من الساسة، .

وهكذا كان، وبادر إلى إلغاء المعاهدة المذكورة، فأطفأ نيران الغضب وطوى صفحة الفتنة، وكفى الله العراق الشرور واضطراب الامور

ولا أريد في هذه العجالة، أن أسلط الضوء على سيرته ومناقبيته بالتفصيل رغم أنها جديرة بأن يوليها الباحثون، ما تستحق من دراسة وعناية، لاشتمالها على أثمن الدروس، وأنصع التجارب في النضال من أجل الاستقلال، وخدمة الشعب والوطن - ولكني أريد فقط التذكير بجانب معين، لا يرتبط هذه المرة بزهده في المناصب، وانما يرتبط بالنزاهة العالية، والبعد الحقيقي، عن كل ألوان الإستغلال للمنصب، ناهيك عن الزهد في تكديس الثروة، والمبالغة في استخدام

المباني والقصور، والخدم والحشم والحراس، وسائر المظاهر الأخرى التي يسيل لها، لعاب اللاهثين وراء السلطة

كان يسكن في دار مستأجرة متواضعة في (الجعيفر) قد لا يرضى أن يسكنها اليوم المدراء العامون في الدولة

فضلاً عن الوزراء ورئيسهم ..!!!

وكان له مجلس أسبوعي مفتوح، يستقبل فيه الناس على اختلاف طبقاتهم

وهكذا كان يتيح عملياً، لكل الراغبين، ولا سيما أصحاب الحاجات - اللقاء به، ليستمع إليهم، ويقف على حاجاتهم، دون شفيع أو وسيط ..

وكان هذا اليوم، الجمعة، يوم العطلة الرسمية في البلد، تسهيلاً لوصول جميع الراغبين، بما فيهم الموظفون والعاملون في مختلف الدوائر الرسمية وكنت ممن حضر هذا المجلس، أيام صباي، فأنا تحدثت هنا عما شهدته بنفسي، لا عن قراءات ومسموعات

وهكذا، وبكل بساطة، يصل اليه الفقير البائس، كما يصل أصحاب السمو والفخامة والمعالي والسعادة ..، سواء بسواء، وفي هذا من معاني النبل الانساني والاجتماعي والسياسي ما فيه ..

وقد سمعت المرحوم العلاّمة السيد محمد صادق الصدر - رئيس مجلس التمييز الشرعي الجعفري - مرة، يُخبر، أنّ عمنا سماحة السيد محمد الصدر - لم يمد يده، إلى المخصصات السرية، التي كانت موضوعة تحت تصرفه كرئيس للوزراء، طيلة فترة رئاسته، حرصاً منه على المال العام ..

واليوم وبعد أن كثر الضجيج، حول الأرقام الفلكية لرواتب كبار المسؤولين ومخصصاتهم، أقدم رئيس الوزراء، على اتخاذ القرار، بخفض راتبه الشهري إلى النصف، في مبادرة حميدة، رغم أنها تأخرت كثيراً، ولكنها قد تكون سبباً في اقتداء الآخرين به، وربما تؤول إلى حسم الموقف، بإصدار قانون خاص، لتحديد رواتب الرؤساء، والوزراء، والنواب، وفق رؤية جديدة، وتناغماً مع مطالبات الناس، بتقليص تلك الرواتب والمخصصات

واللافت هنا، عدم التعرض إلى تخفيض (المنافع الاجتماعية)، مع أنها أيضاً، لم تنقطع المطالبة الشعبية بتخفيضها إلى الحدود المعقولة

إن تقليص الفوارق بين المسؤولين والمواطنين، عملية صحيحة ذات مردودات ايجابية كبيرة، على الصعيد السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وهي لا تُختزل بتنصيف الراتب الشهري لرئيس الوزراء فحسب، بل لابد من مراجعة كاملة، لقائمة طويلة من الامتيازات والمكاسب، التي صعّدت من درجة النفور، والتوتر، عند عامة المواطنين العراقيين

ولقد كنا نتمنى، أن تتخذ هذه الخطوه قبل إندلاع المظاهرات والاحتجاجات في بعض مناطق العاصمة، وبعض المدن والمحافظات العراقية الاخرى، لتكون أبلغ في التعبير عن الرغبة الذاتية في التغيير .!!

إن اطلاق الرصاص على المتظاهرين من المواطنين العراقيين المحتجين على سوء الخدمات، مما يحزن ويقرح القلب، ويعيد إلى الذاكرة، ممارسات النظام القمعي المقبور، رغم أن الدستور يكفل لهم حق التظاهر السلمي

ومن هنا فنحن نعلن الاحتجاج على هذا المسار المحموم، ونعلن تضامننا مع المحتجين من إخواننا، وندعوا الحكومة العراقية إلى معالجة سريعة لتامين الخدمات الضرورية للمواطنين مع إنزال العقوبات الرادعة بكل المتجاوزين.



أين الإعفاء من حل أزمة الكهرباء

نشر في الزمان بتاريخ ٢٣/ ٢/ ٢٠١١

أين الإعفاء من حلّ أزمة الكهرباء؟

-١-

ليس ثمة مجالٍ لإنكار حقيقة الوضع العراقي المأزوم بسبب الكهرباء،

فالإنقطاع الطويل للتيار الكهربائي، عن عموم المواطنين - باستثناء قلاع المنطقة الخضراء وتوابعها - سلب العراقيين نعمة الإحساس بلذة الحياة، وأذاقهم ألوانا من المعاناة المرّة، وأضر بقطاعات واسعة كالصناعة والزراعة والتعليم، واستمرار التدني في خدمات الكهرباء صيفاً وشتاء، أجهز على خزين الصبر، والقدرة على التحمل، حتى طفح الكيل، فكانت مظاهرات البصرة العارمة، في الصيف الماضي، مؤشراً على تجاوز الأزمة الرهيبة كل الحدود..

إن الطريقة البشعة التي عُومل بها المتظاهرون في البصرة، والرصاص الذي أودى بحياة بعضهم، يُعّد انتهاكاً خطيراً لحقوق الانسان العراقي، الذي كفل له الدستور حقه في التعبير عبر التظاهرات السلمية .!!

ومجلس محافظة البصرة، الذي قرر في حينه، استجواب المحافظ، واجه المحاولة تلو المحاولة، من داخله، لتأجيل الاستجواب لمدة شهر، ثم مرّ الشهر، وتلته شهور، وأصبح الاستجواب نسيا منسيا، ونجا المحافظ من المساءلة والاستجواب ..

أما لماذا جرت الأمور على مثل هذا الإلتواء، فالأسباب لاتخفى على ذوي الألباب .!!

إن التذاكي على الشعب، مسلكٌ وخيم العواقب

واذا كان من الممكن للحكومة المحلية، أن تُطفأ نيران الغضب الجماهيري قبل شهور، فإن الأوضاع الان، لم تعد تحتمل ما احتملته قبل ثورتيْ الياسمين في تونس، والغضب في مصر ..

إن رياح التغيير قد هبّت، وبعنف وقوّة، والشباب لا الأحزاب، هم القوة الفاعلة في هذا التغيير ...

ولا أحد يستطيع أن يفترض أي بلد عربي في المنطقة، معزولاً عما يجري في سائر البلدان العربية الأخرى وما يجري في الشارعين الجزائري واليمني فعلاً يكفي للتدليل على الترابط العضوي بين كل شعوب المنطقة وبلدانها ..

-٢-

والمظاهرات والاحتجاجات الصاخبة، التي انطلقت في العديد من المدن العراقية إبتداء بالعاصمة (بغداد) وإنتهاء بعفك .، ما هي إلا الوجه الآخر للتعبير عن تلك الحقيقة، وأنْ رفض البعض التسليم بذلك .!!

إن بعض كبار المسؤولين في العراق عبّر عنها بالمحاكاة، وهذا يعني انه، فهم الحقيقة واستوعبها ..

-٣-

ليس في العراق مَنْ يعمل من الحكّام على أن يكون الحكم وراثياً، كما

كانت الحال في مصر مثلاً

ولم تصل الجماهير العراقية حتى الان، والحمد لله، إلى طريق مسدود

إن الفرص مازالت قائمة، للاستجابة وتلبية مطالب الجماهير في محاسبة المفسدين بلا هوادة، وإصلاح الأمور في معظم محطات الأزمة .

إننا ندعو المسؤولين كافة، ومن دون إبطاء، للتفاعل الحقيقي مع آلام وهموم المواطنين

إنهم إنما وصلوا إلى مواقع المسؤولية، عبر أصواتهم، ولخدمتهم أولاً وقبل أي شيء اخر ..

-٤-

وما أعلنته وزارة الكهرباء يوم ١٢/٢/٢٠١١، وقبل أن تنتهي مهمة الوزير السابق بالوكالة، من إعفاء الأسر محدودة الدخل، التي لايزيد استهلاكها من الطاقة الكهربائية عن ألف كيلوواط ساعة شهرياً، ومنح بقية شرائح المجتمع نفس الكمية مجاناً، على أن تسدد ما يزيد عن ذلك، وفق التسعيرة الجديدة لفاتورة الكهرباء، والذي سينفذ ابتداءً من أول العام الحالي، بأثر رجعي، لا يعتبر فتحاً من الفتوح المهمة، ولا منحة سخيّة جديرة بالتنويه، وذلك لأنها جاءت متزامنة مع قرارات مشابهة، اتخذت في بعض الدول المجاورة، كانت أكثر منها بريقاً ونفعاً .

أين (الألف) كيلو واط، من (الألف) دينار التي وزعتها الكويت على كل مواطن والتي تعادل ما يقارب أربعة الاف دولار .؟؟!

أين (الألف) كيلو واط من (الألف) دينار التي وزعتها البحرين على كل أسرة؟

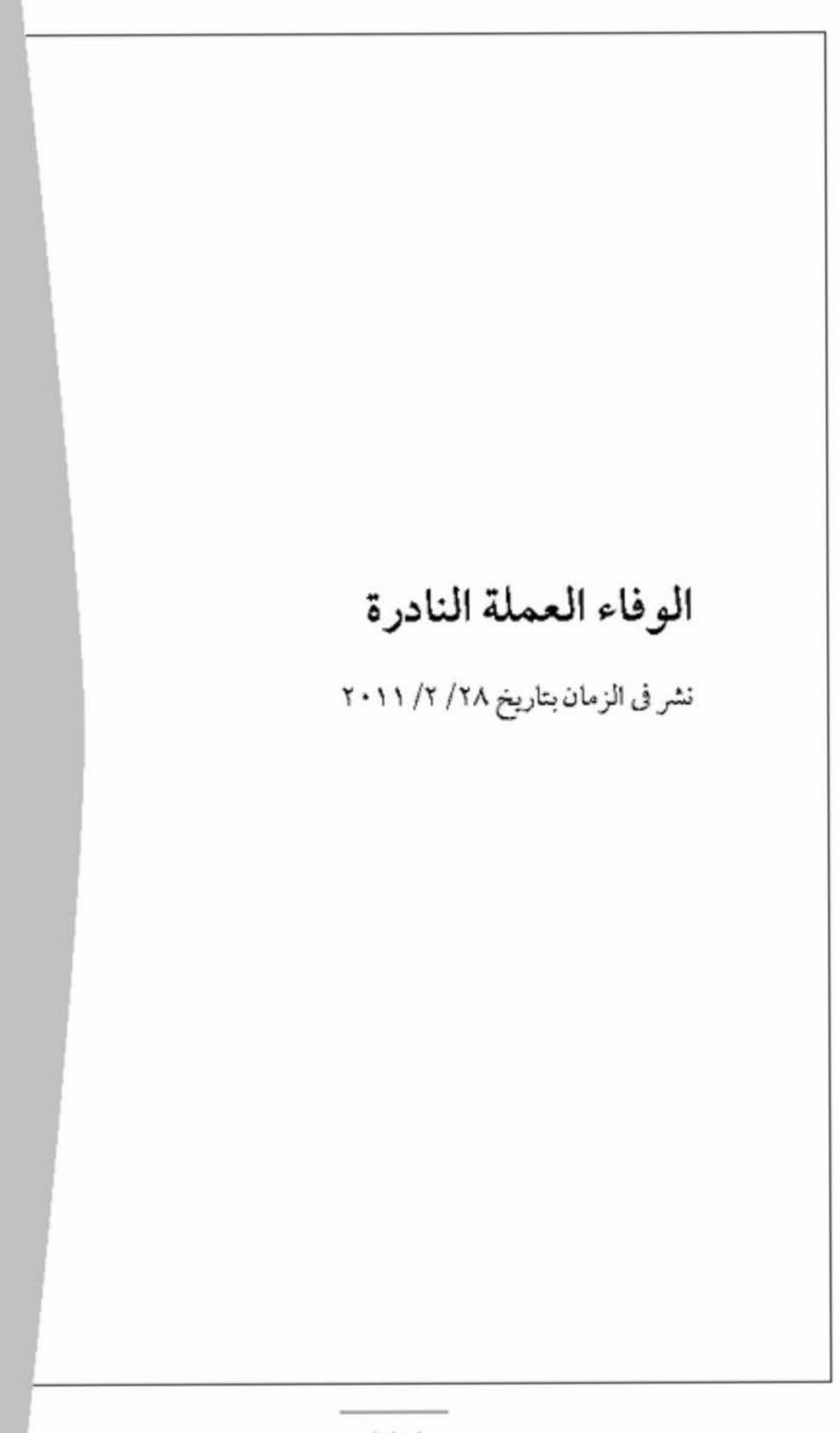
والغريب أن قرار الإعفاء، جاء ممزوجاً بخبر مزعج للغاية، وهو أن انتاج الطاقة الكهربائية خلال الصيف المقبل، سيكون دون المستوى المطلوب (...)

اذن فهذا الاعفاء المحدود، لن يجبر تلك النقيصة، بل ستبقى المشكلة العويصة .!!

وإن الزيادة في اسعار الكهرباء يمكن ان تكون مقبولة في ظلّ حل الأزمة، لا في ظل استمرارها .!!

إن كثرة انقطاع التيار الكهربائي، تسببت في عطل الكثير من الأجهزة والمعدات الكهربائية المستخدمة في المنازل وخارجها،

وحصيلة ذلك، الخسائر المادية الفادحة، والحناجر التي ستظل صائحة، إلى حين تحسين الأحوال، والكف عن التبشير بفظائع الأهوال ..



الوفاء العملة النادرة

نشر فى الزمان بتاريخ ٢٨/ ٢/ ٢٠١١

الوفاء - العملة النادرة

الوفاء قيمة أخلاقية كبرى، تكشف عن أنبل ما تنطوي عليه النفس الكبيرة من مواصفات وقيم

وهو المؤشر الكبير، على سموّ الذات، وعروجها إلى أعلى الآفاق

وإنه، بهذا الوصف، لعُمْلَةٌ نادرة، في عموم الأعصار، وفي شتى البقاع والأقطار

وقلّ مَنْ يحمل هذا الوسام الرفيع، بجدارة واستحقاق من الناس، على اختلاف مقاماتهم، وأوضاعهم، واتجاهاتهم، ولغاتهم، وأديانهم، ومذاهبهم وقومياتهم:

أين الحاكم الوفيّ للشعب والوطن؟

وأين وفاؤه للمبادئ والقيم؟

وأين السياسي الوفيّ الذي لاينسى وعوده وعهوده؟

وأين الغنيّ الوفيّ لإخوانه المعوزين البائسين؟

أين العامل الوفي الذي لايستقر، إلا حين يُتقن ما أوكل اليه من مهام؟

أين الموظف الوفيّ الذي لا يتوانى عن إنجاز أعماله، وبكل حيوية ونشاط؟

أين الأبناء الأوفياء لإبائهم وأمهاتهم؟

أين الوفاء لدماء الشهداء؟

شتان مابينْ صريع الهوى ... وبينْ مَنْ يصرع يوم الجهادْ
هذا وفى لكنْ لعهد الهوى ... وذاك للدين وفى والبلادْ

أين الوفاء لأُسَرهم وعوائلهم، وهم يصارعون الحياة، وترهقهم الصعوبات والعقبات؟

أين الوفاء للعلماء والمفكرين والمبدعين والأدباء؟

أين وفاء الطلاب لأساتذتهم ومربيهم؟

وهكذا تزدحم التساؤلات، وتتسع، دون أن يكون لها محطة أخيرة، تنقطع عندها، وتنتهي

واذا كان الوفاء نادراً مع الاحياء، فكيف يكون مع الراحلين؟ !

قصة بليغة

حّدثنا الدكتور كمال السامرائي في مذكراته، عن أربعينية أستاذه الراحل الدكتور هاشم الوتري، المعلم الأول في الطب الباطني في العراق، وأحد مؤسسي كلية الطب، وعميدها الشهير، وقد أقامت له عمادة كلية الطب حفلاً تأبينياً في ذكرى أربعينيته(في ٦/ ٢/ ١٩٦١) فقال:

كانت مفاجأة غريبة أن يكون عدد من حضر الحفل من القلّة ما يستدعي العجب

كان من الحاضرين زميلٌ له في المجمع العلمي العراقي، هو الأستاذ منير القاضي

ونقيب الأطباء الدكتور كمال عارف

وعميد كلية الطب الأستاذ الدكتور أحمد عزت القيسي

وعدد قليل جداً من أساتذة كلية الطب وطلبتها

وكان أول من تكلّم في تأبين الفقيد الأستاذ منير القاضي فقال في فاتحة كلمته:

إنه كان يحث سائق سيارته أنْ يسرع ليصل إلى هذه القاعة، فقد لايجد له كرسياً شاغراً اذا تأخر عن الوصول إليها مبكراً، فإذا بالقاعة تكاد تكون خاوية، بالنسبة لسعتها، وعدد كراسيها

ثم تكلّم بجدّ وألم، عن فقد زميله الوتري، لمكانته العلمية في المجمع العلمي وطلب له الغفران من الله تعالى

ثمأضاف يقول:

والغفران لمن لا يفي لأساتذته وزملائه (...)

الى أن قال السامرائي:

(لقد كان الحفل مع الأسف، بارداً لم يظهر فيه، ما يدل على العرفان بالفضل والجميل ..)

والغريب هنا، أن القاعدة العامة المعمول بها عند الناس - والتي يؤّجل بمقتضاها، تكريم الأعلام إلى ما بعد رحيلهم عن هذه الدنيا، قد انخرمت أيضاً

يقول الشاعر:

ترى الفتى يُنكر فضل الفتى ... مادام حيّا فإذا ما ذَهَبْ
لجّ به الحرصُ على نكتةٍ ... يكتبُها عنهُ بماء الذَهَبْ

إن المسألة عندي، مرتبطة ارتباطاً عضوياً بالجانب الأخلاقي، فقد غاب الوفاء، فغاب الطلاب والأصدقاء والزملاء، ولم يكن ثمة إلاّ المشهد البارد والسلوك الجاحد

وعلى كل حال، فإن عمادة كلية الطب، سعت لتكريم الوتري، وإن لم يتوّج مشروعها بنجاح

وإذا كان هذا حال الناس، قبل نصف قرن من الزمن، مع كبار الرجال، فكيف يتوقع أن يكون الآن؟

قال الشاعر المرحوم الحاج عبد الحسين الازري:

ممن تحدّر من صلبي غسلتُ يدي ... فكيف أرجو الوفاء ممن أصاحِبهُ

إن المنسوب الأخلاقي قد تدّنى إلى حد بعيد، خصوصاً، بعد أنْ حكمت العراق دكتاتورية ظالمة غاشمة، مسخت المواصفات الاجتماعية والأخلاقية مسخاً،

وجعلت الاستهانة بالعظماء والأرواح، والأموال، والأعراض، من أبرز مفرداتها اليومية !!

إن المحاصصات الطائفية والقومية والسياسية والحزبية ما هي إلاّ مقبرة الأحياء، من العلماء والموهوبين وأصحاب الكفاءات والخبرة .

وهذه المحاصصات أشد فتكاً وضراوة من المنحى المتهاون في الحفاظ على اللياقات المطلوبة، لمستحقي التكريم من عيون المجتمع الراحلين عن هذا الكوكب

إنها تميت الأحياء من الأفذاذ والنابغين وتتجاهلهم بإصرار .!!

إن الأمم الحيّة، شديدة الإعتزاز بعظمائها وقادتها، ورموزها، وعلمائها ومفكريها، ومبدعيها، وهي تتعامل معهم على أنهم ومضات الحضارة، ورسل العلم والفكر والثقافة والابداع، الذين لابد أن يحتلوا مواقعهم المتميزة في أجهزة الدولة وفي وجدان الناس

إنهم مفاتيح صنع الحاضر المشرق، والغد المتألق، فأين نحن منهم؟

والى متى تبقى اذان السياسيين المحترفين صماء، لا تُصغي لنداءات التغيير؟

إن التغيير قادم، على رغم أنافهم، بفضل زخم النهضة الشبابية، التي خلفت وراءها هزيمة مُنْكرة لحسابات الأحزاب، وردّتها على الأعقاب !!

إن هناك عدة ألوان من الوفاء:

فهناك الوفاء الوطني

والوفاء العلـــــمي

والوفاء الاجتماعـــي

والوفاء العقـــائدي

والوفاء المهـــني

والوفاء الأُسَري

والوفاء الأخـــلاقي

ولا يسعنا الحديث بالتفصيل عن كل لون من هذه الألوان في هذه العجالة، ولكن يجب أن لا ننسى الوفاء السياسي

إن من غير المقبول أنْ يلقى المناضلون - الذين صارعوا الطاغوت، وتلّوت على ظهورهم سياط التعذيب في زنزاناته المرعبة، وتحملوا من الأعباء والمشاق، هم، ومن يرتبط بهم بنسب أو سبب، ما الله به عليم - من الإهمال والنسيان المطلق، لدورهم وتاريخهم المجيد، لا لشيء، إلا لأنهم يأبون المزادات والمزايدات السياسية .!!

إن هؤلاء هم الشهداء الأحياء

وإن على الممسكين بزمام الأمور، المسارعة إلى معالجة هذه الثغرة الكبيرة في جدار العمل السياسي، المغموس، للأسف الشديد، بطابع الذاتية والفئوية ..

فقليلاً من الوفاء السياسي، أيها السياسيون، لمن عبّدوا لكم الطريق، وكانوا مشاعله المنيرة، ورموزه الكبيره



لماذا اعتمد الإجحاف بدلاً من الإنصاف

نشر فى الزمان بتاريخ ٥/٣/ ٢٠١١

لماذا اعتمد الإجحاف بدلاً من الإنصاف؟

اعتمدت الحكومات العراقية المتعاقبة، بدءً من العهد الملكي، معياراً لم تحد عنه في توزيع الأراضي على موظفي الدولة، ومحدودي الدخل من غيرهم، وتمثّل هذا المعيار، بمنح الأراضي الحكومية إلى شريحة معينة دون غيرها، وهم من لا يملكون عقاراً على الإطلاق

وهذا المنحى سليم وعادل، لأنه يوفّر الفرصة للمحروم في إمتلاك دار للسكن، ويصعد به إلى مستوى أرحب، وهو أسلوب من أساليب تذويب الفوارق بين المواطنين من جهة، ورعاية الأولويات بتقديم الأهم على المهم من جهة أخرى

ولا أدري كيف انقلبت الموازين في العراق الجديد بحيث أعطيت الأولوية لكبار المسؤولين، - وهم يشغلون في الغالب دوراً تعود للدولة، فضلاً عن إمتلاكهم لدُور خاصة بهم - وحُرم منها البائسون والمستضعفون، في عملية تحمل من معاني المحاباة والإجحاف، ما يملأ النفوس ألماً واستغراباً، ويثير العديد من الشكوك في دوافع تلك القرارات المجحفة

إنّ قطع الأراضي المتميزة بمواقعها الأخاذة على نهر دجلة، ومساحاتها الكبيرة، مُنحتْ لِمَنْ كثر الإعتراض على الأرقام الفلكية الضخمة لرواتبهم ومخصصاتهم !!

وهذا ما كرّس الغضب الشعبي عليهم، وكان واحداً من أسباب اشتعال فتيل الاحتجاجات

وحين كثر الهياج، عولجت مسألة الرواتب العالية بالتخفيض، ودفعت الحكومة بمشروع قانون خاص في هذا الموضوع إلى مجلس النواب، إلاّ أن مسألة الأراضي الممنوحة لكبار المسؤولين بقيت على حالها، دون أن تقدمّ الحكومة مشروع قانون يقضي بارجاعها

الى ملكية الدولة، وهذا ما لا محيص عنه، ان كانت الرغبة الحكومية حقيقية، في الاستجابة لمطالب الجماهير

إن أبشع ألوان الغَبْن، هو الغبن الذي مارسته الحكومة بحق مواطنيها المحرومين من حقوقهم المشروعة في تأمين السكن، حيث أبقتهم في أزمة خانقة، وأوضاع صعبة، في حين أنها أجزلت المنح والعطايا للمتخمين، لا لشيء إلاّ لأنهم أصحاب مواقع ومناصب عليا في الدولة، أمْلتها معادلة المحاصصات المقيتة .!!

ولا يزيد هنا أن تتغاضى كلياً، عن مشاريع الإسكان الحكومية، التي نسمع بها ونقرأ عنها، ولكننا قد مللنا من التعويل على الكلمات المنمقة، والوعود المؤسقه التي تُطلق، لأمتصاص النقمة، وتخفيف حدّة الأزمة ....

إن الارتفاع الجنوني لبدلات الإيجار، شكّل عاملاً مضاداً لحركة الزواج - وهي صمام الأمان في استقرار المجتمع -، وأضاف مشكلة جديدة إلى ملف المشكلات العراقية الكبرى

أن بدل إيجار شقة صغيرة، في الكاظمية، مثلاً بلغ نصف مليون دينار، ومَنْ من الشباب يقوى على تأمين مثل هذا المبلغ الكبير، بالقياس إلى ما يتقاضاه الشباب الجامعيون من رواتب؟

هذا على فرض حصولهم على العمل الوظيفي !!

إن الفئوية والذاتية، جعلت السياسيين المحترفين، ينفقون الشهور الطويلة، دون ملل ولا كلل، من المفاوضات، والاجتماعات لتشكيل الوزارة، وصولاً إلى تحسين حصصهم، ونسوا هموم الشباب وأسدلوا الستار على مشكلات المواطنين في مختلف المجالات الحياتية

ان هؤلاء الشباب المنسيين، بالتضامن مع إخوانهم من المواطنين المحرومين، الذين صبروا طويلاً، اضطروا إلى النزول إلى الساحات العامة متظاهرين، محتجين، هاتفين مطالبين بحاجاتهم المشروعة، وحقوقهم الممنوعة

إن استيعاب هذه الحقيقة من قبل المسؤولين مسألة ضرورية لاغنى عنها

إنها صرخات مظلومين، وليست في الغالب شيئاً أخر

إنّ على المسؤولين أن يفتحوا أبوابهم، وقلوبهم، وأذانهم، إلى مواطنيهم، ليقفوا على الحقائق، وجهاً لوجه، دون حُجب ووسائط

وإن عليهم أن يتحولوا إلى الميدان ليخفضوا حدّة الاحتقان

إن خدمة المواطنين هي طريق النجاح في الامتحان العسير



دعاء الصغار سلاحهم للتغيير

نشر فى الزمان بتاريخ ٢٧/ ٣/ ٢٠١١

دعاء الصغار سلاحهم للتغيير

كانت مبادرة طيّبة، من الأستاذ الدكتور صادق التميمي، الذي أصدر كتابه الموسوم ب (أول الزمان مذكرات صبي من مدينة عراقية)، ليضم بين حناياه، فصولاً ممتعة عن أيام صباه، في مدينته التي أحبها (الديوانية) وسرد القصص والحكايات، من خلال ما اختزنته الذاكرة، عن تلك المرحلة الحلوة، مرحلة الصبا، بكل ما تنطوي عليه من براءة وصفاء ...

ونحن اذ نشكره على كتابة تلك الفصول الشيّقة، ندعو الأدباء والكتاب من مختلف المدن والمحافظات العراقية، أن يخصصوا لمدنهم، شيئاً من انتاجاتهم الفكرية والادبية، لتكون الحصيلة النهائية تاريخياً للوطن، مكتوباً بأقلام أبنائه عن مختلف مراحله، وبهذا نسدل الستار على المزوّر والمكذوب من تاريخ المدن والمحافظات العراقية

يقول الشاعر:

وكفرتُ بالتاريخِ كلُّ فصولهِ كُتِبتْ على نَولِ من الأهواءِ

إن التاريخ عموماً، لم يكتب إلاّ على شرط الحكاّم، والإغراق في مديحهم ومناقبيتهم ..!!!

ومن هنا فقد طويت صفحات مهمة من نضال الشعوب، وومضات أحرارها وحرائرها، في مقارعة الظلم والظالمين، ولم تُذكر ابداعاتهم الفكرية والادبية في هذا المضمار، إلاّ بقدر محدود ضئيل، لا يعبّر عن حجم المساحات الكبيرة التي احتلها التاريخ النضالي الدامي

ولكي لا ينسى العراقيون قصة الإرهاب الفكري، لا السياسي وحده، أيام الدكتاتورية الظالمة البائدة، نُذّكرهم بحقيقة عبّر المنشور من حصاد التأليف والدواوين هو القسم المختص بالأباطيل المحضه، التي جعلت من القائد الضرورة (....) هبة السماء إلى الأرض ومجدّته بكل ألوان التمجيد، وخلعت عليه من الأوصاف، ما لم تخلعهُ على أعظم الملوك والسلاطين ممن سبقوه في اعتلاء (دست الحكم)

وهكذا غابت الحقيقة، وأنطمست الفصول من معالم الحركة الفكرية والسياسية والأدبية والجهادية من نضال الشعب العراقي الأبّي ..

يقول الدكتور التميمي في كتابه (أول الزمان) ص ٢٢٥:

(وجدتني في الرابعة عشرة أفوّض أمري لله، وأكتب في دفتري (دعاء) ساذجا، يبدو لي وأنا أقرأه الآن، إنه كان نوعاً من التفريغ الانفعالي ولعله صدى لحديث وكلام الناس، أنقله مثلما عبّرت عنه بلغتي قبل نحو خمسين سنة ونيّف:

(اللهم خلصنا من الظلم، ومن «أبو قيس» معاون شرطة الجنسية المرتشي المحتال)

(يارب حاسب رئيس البلدية «أبو علي» الذي نهب المدينة ولم يشبع !)

(يا إلهي اقضي على معاون الشرطة السرية (عبد القادر) وعصابته «رئيس عرفاء عباس» «وعبد ويلكت» الذين أرعبوا الناس بتفتيش المنازل واعتقال الابناء)

(اللهم أنقذ الناس من مدير التحرير في المتصرفيه «ابو علاء» المتحيّز، فهو يعمل بالمحسوبية والمنسوبية والهدايا «خراف وعجول» !

(يارب اكسر رقبة المقاولين لأبنية الحكومة فهم ورجال الحكومة مشتركون بالنهب والرشوة)

إن الدعاء سلاح الصغار في معركة التغيير، ولو قدّر اليوم لفتى في الرابعة عشر من عمره، أن يدّون في دفتره، مفردات من دعائه، فماذا يقول؟

انه لا يتجاوز دعاء التميمي أيام فتوته إلاّ بالدعاء على المحاصصات الحزبية والطائفية والقومية والمناطقيه، التي أرست الهيكل الحكومي على غير القاعدة الراسخة التي يجب أن يرسو عليها،

حيث حكمت بالإعدام على المواهب والكفاءات العراقية وأحلت محلها العشوائية والروابط والصِلات العائلية والحزبية ...

أما الذين نهبوا ولم يشبعوا، فلم يكن يتجاوز نهبهم العشرات وأحياناً المئات من الدنانير

أما اليوم فقد تجاوز النهب العشرات من مليارات الدولارات إن لم يكن أكثر من ذلك

ومظاهر الفساد الإداري والمالي، التي ذكرها الدكتور التميمي أيام فتوته، لا تعد شيئاً يذكر، إزاء الفساد الإداري والمالي، الذي جعل العراق الجديد يحتل موقعه المتقدم، في قائمة الدول الاكثر فساد !!

نعم إن المسؤولين اليوم يتشدقون بأنهم منتخبون، وأولئك الذين تحدث عنهم الدكتور التميمي لم يكونوا منتخبين !!

لكنّ السؤال المركزي الذي يطرح نفسه بإلحاح:

هل انتخبهم الشعب العراقي لتبدأ دورة جديدة من معاناته من تدني الخدمات، والبطالة والفساد المالي والاداري، والترهل في أجهزة الدولة، وأغماض النظر عن محاسبة المفسدين؟ !

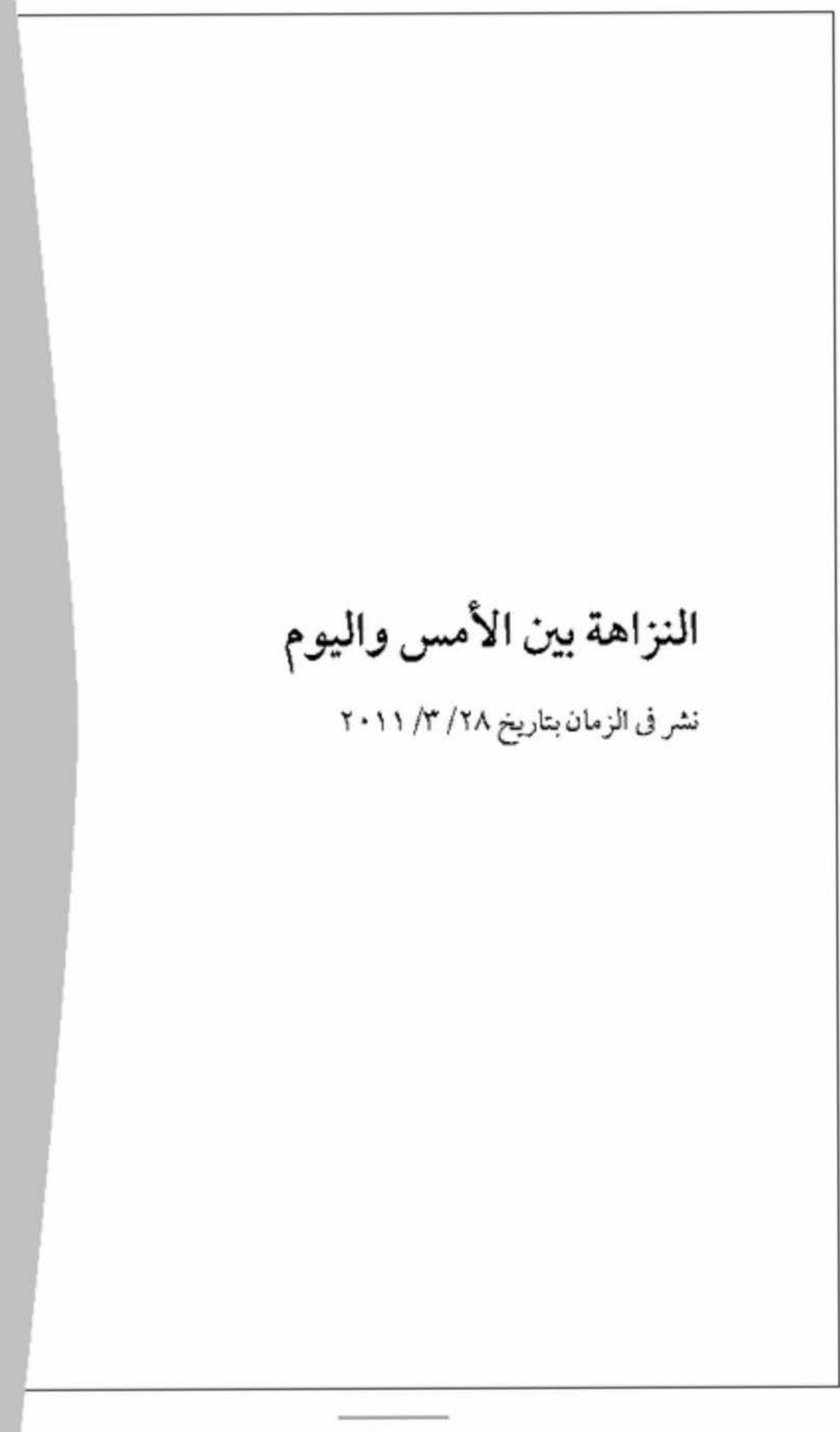
إنّ عليهم أن يتذكروا، أن السلطة فرصه لخدمة الشعب، لا لنهبه، والإستئثار بالامتيازات، على حساب جياعه وملايينه البائسه

إن الفتى اليوم اذا كان (صادقا) فلن يدعو بغير هذا الدعاء:

« اللهم انزل عقابك بالمفسدين والكذابين وخلصنا منهم أجمعين »

« اللهم لا تسلط علينا من ينسانا، ويتاجر بنا، ويستهين بعذاباتنا »

اللهم بصّرنا طريقنا، لكي لا نُخطأ في اختيارنا في قابل الأيام، بعد أن ذقنا الموت الزؤام.



النزاهة بين الأمس واليوم

نشر فى الزمان بتاريخ ٢٨/ ٣/ ٢٠١١

النزاهة بين الأمس واليوم

في كتابه الممتع (محلة صبابيغ الآل وما جاورها) يذكر الصديق الأستاذ رفعت مرهون الصفار، مجموعة من الحكايات، من مآثر أهل محلته (ص ٤٤) وقد جاءت الحكاية الثانية، عن مكرمة من مكارم المرحوم الحاج مصطفى كبة، فقد زاره مدحت باشا، بعد أن عزل من ولاية بغداد، ((طالباً منه رهن ساعته، مقابل عدد من الليرات لتسديد نفقات سفره، إلاّ أن الحاج مصطفى، منح الوالي حاجته من الليرات، مُعيداً اليه الساعة))

وأبرز العناصر الملفتة للنظر هنا عنصران:

الأول:

إن مدحت باشا، الوالي العثماني الشهير، لم يكن يملك ما يغطي نفقات سفره، فاضطره ذلك، إلى أن يعرض ساعته اليدويه، للرهن مقابل تأمين المبلغ الوافي بنفقات سفره، وهذه درجه عالية من النزاهة، لا بد أن يشكر عليها

إن راتب الوالي لم يكن بالقليل، وإان قدرته على تحصيل الأموال من أربابها كانت عالية أيضاً

هذا عن المال الخاص، أما المال العام فكان بمقدوره أن ينهب منه، ما يجعله في مصاف الأثرياء الكبار ومع ذلك لم يفعل

ويبدو أن الرجل - لنزاهته أيضاً - كان قد أوصد على نفسه، باب قبول الهدايا والصلات من الأعيان والتجار، لسبب واضح معلوم، ذلك أن هؤلاء إنما يقدمون ما يقدمون باسم الهدايا والصلات، ولكنهم يستوفونها،

أضعافاً مضاعفة، عبر ما يطلبونه من الوالي بعد ذلك، في قضاياهم الشخصية، ومصالحهم التجارية

والذي دعانا إلى هذا الاستنتاج، هو إقدام مدحت باشا على رهن ساعاته الشخصية، فلو كان يملك من تلك التحف والهدايا شيئاً، لما جعل رهن ساعته طريقه الوحيد للحصول على المال المطلوب للسفر.

ولا أدري كيف نقارن هذه الحالة المتألقة في ملّف الوالي العثماني، في عصر الإنحطاط والفساد، بملفات معظم المسؤولين عندنا اليوم فهم بين (مُتخم) لا تحصى ثرواتُهُ، وبين مَنْ لا يحسن إلاّ فن الاصطياد للمال الحرام، سواء كان من أموال المواطنين الخاصة أو الأموال العامة

ولا ينتهي الأمر بأصحاب المناصب الكبرى فحسب، بل يسري إلى من دونهم بمراتب، حتى تصل النوبه إلى بعض صغار الموظفين، الذين أنقلبوا بين عشية وضحاها، إلى أصحاب حسابات، وعقارات، واستثمارات ملحوظة .!!

وهكذا دخل العراق موسوعة (غنيس) في الفساد المالي والإداري ليحتل فيها أعلى المراتب، ولتصبح هذه القضية أمّ المصائب !!

وحتى الآن لم نجد غير الأسماك الصغيرة، يُجعجع بها في المحاكم في حين ظلت الحيتان الكبيرة، من أهل الكروش المتهدلة، بعيدة عن المساءلة القضائية، والملاحقة الجنائية، رغم أن هذا الأمر هو من معاقد الاجماع الوطني، المصّر على أن تأخذ العدالة مجراها مع الجميع دون استثناء

الثاني:

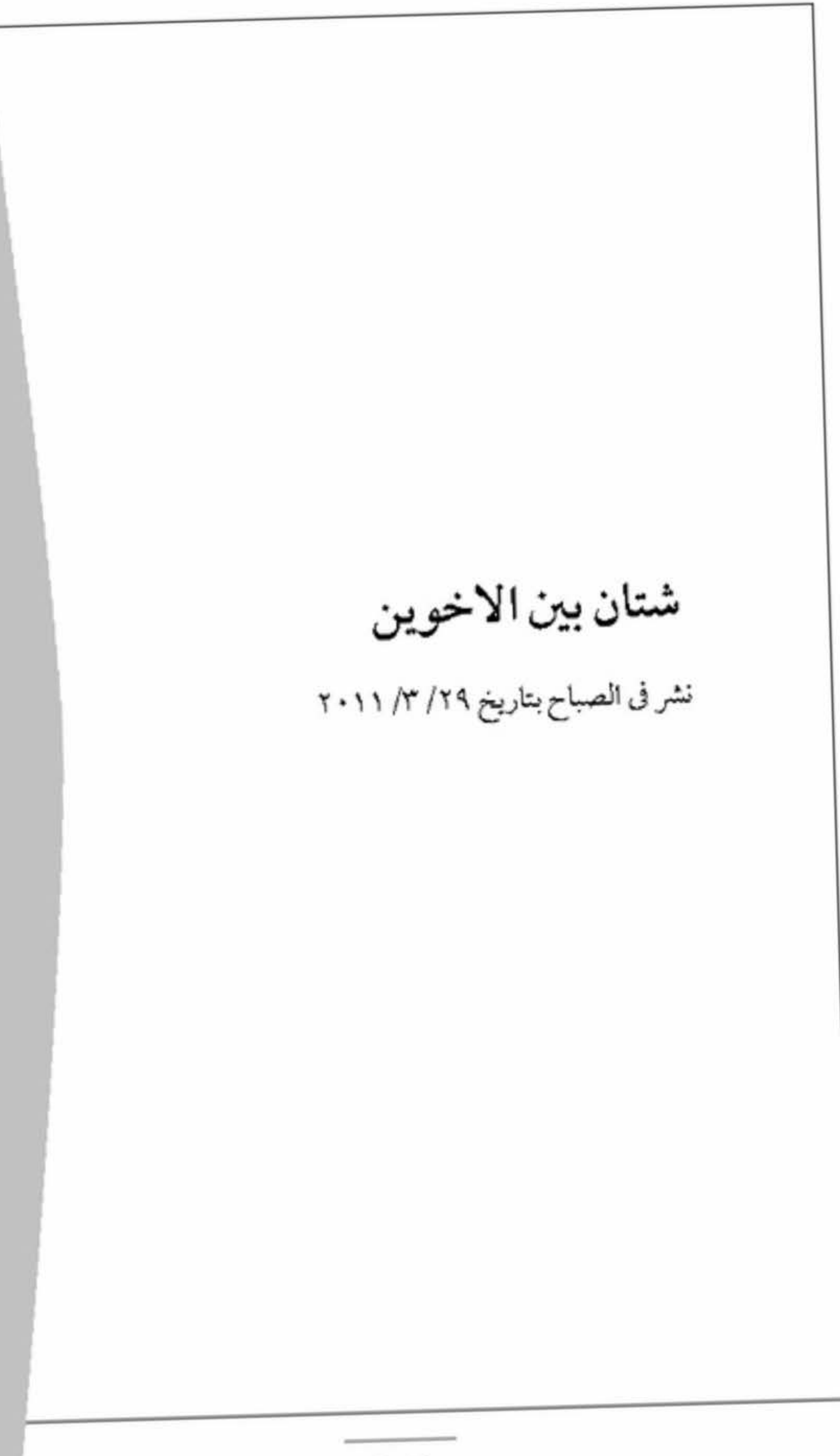
النبل الإنساني المتمثل بموقف المرحوم الحاج مصطفى كبه، الذي أسعف الوالي المعزول، بما عالج به الموقف، وأبعد عنه شبح المخاوف المرعبة، والأوضاع النفسية المتأزمة ..

إن الحاج مصطفى كبه - رحمه الله - في موقفه النبيل عبّر عن الأصالة والنبل في الشخصيه العراقية، وما تنطوي عليه من سمات السمو، والرفعة، والإنسانية، والتألق، والتفاعل مع الأخرين

وليس بغريب على العراق وأهله، أن يكونوا كذلك، وهم وراث أعظم الأديان والحضارات، كما أنهم أبناء رموز الإشعاع الروحي والفكري الذي غمر العالم بأنواره، وأدهشه بأسراره

إننا بحاجة ماسه إلى التذكير بمواصفات العراقي الأصيل، والمقارنة باستمرار بينهما وبين مواصفات أدعياء الإنتساب إلى العراق، وهو منهم براء

إننا مدعوون إلى وقفة متأمله مع الذات، ومراجعة دقيقة لكل الحسابات، قبل أن تنزل بنا نقمة الجبّار، ولعنة التاريخ، فقد تكاثرت الأصفار، على أكثر من صعيد ومضمار



شتان بين الاخوين

نشر فى الصباح بتاريخ ٢٩/ ٣/ ٢٠١١

شتان بين الأخَوَيْن

النسب المشترك لا يعني بالضرورة، المزاج الموحّد، والسلوك الواحد، والأداء المتماثل، والأخلاقيه المتطابقة، والمسار المتشابه. وقد تجد الشقيقين يختلفان كلياً في الاسلوب، والذوق، والسلوك، والاتجاه، والأخلاقيات، والعادات والطبائع ..!!

إنهما ابنا أب واحد، وأم واحدة، عاشا في منزل واحد، وفي بيئة واحدة، وظروف واحدة، وأقتسما الرغيف الواحد مّن الخبز، ومع ذلك كله، كان هذا في واد، بينما أصبح أخوه في وادٍ أخر ...

وأسطورة التشابه التام بين التوأميْن، لا محل لها من التصديق ...

إن كل إنسان، يختص بجملة سمات، وصفات، ينفرد بها، ويتميّز بها عن الآخرين

نعم ربما كانت هناك صفات مشتركة بين الأخويْن في بعض الأحايين، إلا أن أحدهما ليس نسخة من الآخر بكل تأكيد ...

وقد لا يكون هناك رابط نسبي بين شخصين، ولكنهما يتقاربان إلى حد كبير، في الأسلوب، والتعامل

ذلك ما دلّنا عليه الواقع المعاش، بكل تضاريسه وألوانه، وبكل شخوصه وأفراده ....

وأصحاب المناقبية الحميدة، هم الذين يدخلون القلب بدون استئذان، وينالون من حب الناس وتقديرهم، ما يجعلهم يستقرون في أعماق الوجدان والضمائر

ولا شيء أثقل في الميزان من الخُلق الكريم، بكل ما يعنيه من صفاء، ونبل، ونكران ذات، وايثار، وتواضع، وسخاء، وشجاعة ....

الى آخر ما قيل في القاموس، من خصال حميدة ومزايا فريدة ...

طريفة

حدثني أحد العلماء الأعلام أن رجلا سُئِل:

مَنْ مِنَ المراجع تقلّد؟

فأجاب:

أقلد الشيخ الفلاني

فقيل له:

كيف تفعل ذلك، وهناك من الفقهاء في البلد من يفوقه بكثير؟

فقال: إنه الأعلم

قيل: وكيف علمت ذلك؟

قال: حين أسلّم عليه يجيبني قائلاً: عليكم السلام سيدي ورحمة الله وبركاته

فهو الأعلم

وهكذا كانت الأخلاق سلّما لارتقاء أعلى الدرجات عند الناس، وإن لم تكن الموازين العلمية تتطابق مع تلك النتائج

والتاريخ لا يُسقط من الحساب شيئاً

إنه يذكر المحسن، ويثني عليه ويُشيد به، كما أنه يذكر بسهام النقد، مَنْ حاد عن ذلك النهج المستقيم

قضيتان:

في الشهادة التي أدلى بها صديقنا الأديب الاستاذ الشاعر محمد جواد الغبان - حفظه الله - عن عصره - والتي كان الاعلامي المعروف الاستاذ توفيق التميمي قد دعاه اليها، في حلقات أربع، نشرت قبل أسابيع في جريدة الصباح الغرّاء:

ذكر أن الرئيس الراحل عبد الرحمن محمد عارف، لم يزر المدارس الجعفرية، وكان الاستاذ الغبان مديرها إلاّ بعد أن غادر ابنه مقاعد الدراسة فيها، خشية أن يكون لزيارته آثارها الايجابية الخاصة، على أوضاع ولده الدراسية، بما قد يدفع، بعض المدرسين إلى محاباته مثلاً ..

وهذه احدى النقاط المضيئة في ترجمة الرجل، لا سيما ونحن نعيش فترة التكلّس الرهيب في المشاعر والإحساس بالمسؤولية، ازاء عموم المواطنين، من قبل معظم المتصدين للمناصب العليا، في حين يحظى الأبناء والأقرباء والاصدقاء بكل ضروب العناية والتفضيل على سائر

المواطنين الآخرين، في واحدة من أبشع صفات الانحياز اللامشروع، للروابط على حساب الضوابط .!!

هذه هي القضية الأولى، مع واحد من الأخوين المختلفيْن، طبعاً وسلوكاً

أما الثانية:

فهي قضية، ذكرها الاستاذ أمين المميز في كتابة (بغداد كما عرفتها) عن العقوبة التي وجهها اليه عبد السلام محمد عارف حين أصبح، رئيساً للجمهورية، وتقاضاه بها عن دَيْن قديم، يوم كان عبد السلام طالباً عند المميّز وقد عاقبه على بعض تصرفاته (راجع ص ٤٦٧) من الكتاب المذكور

وخلاصة العقوبة هي الفصل من الخدمة، مما اضطره إلى اللجوء للقضاء العراقي لرفع الحيف عنه، وقد حكم القضاء لصالحه

إن عبد السلام محمد عارف لم ينس قضية استاذه الذي عاقبه، وإنما بقي ينتظر الفرصة المواتية للرد عليه، وحين حانت تلك الفرصة، انتقم منه شر انتقام، ولكن (المميّز) سجّل القضية برمتها في كتاب يطلّع عليه الناس جيلاً بعد جيل

وليس في ذلك ما يخدم صاحب النزعة الانتقامية بحال من الأحوال

وكما قال الشاعر:

وإنما المرء حديثٌ بَعْدَهُ فكن حديثاً حسناً لمن روى

ومن الأخوين الرئيسيْن في العراق، إلى الأخويْن في (اليمن)، السعيد بقائد الجيش المستقيل المتضامن مع الجماهير، خلافاً لأخيه المتشبث بالكرسي، ولو أدى الأمر إلى حرب أهلية، تحرق الحرث والنسل، وتدمّر البلاد والعباد

الفرق بين الأخويْن هو الفرق بين الجنة والنار، وبهذا فليعتبر أولوا الأبصار



من المهارة الخطابية
إلى الاتكاء على العاميّة

نشر في الزمان بتاريخ ٧/ ٤/ ٢٠١١

من المهارة الخطابية إلى الإتكاء على العاميّة

البراعات والمهارات لا يؤتاها كل الناس

إن ثمة مَنْ يُمَنُّ الله عليهم بنعم خاصة وبمواهب متميزة، فتظهر آثارها بارزة جليّة، في مضامير العلم والأدب والفنون والثقافة والخطابة والصحافة .... فيعلو نجمهم ويحتلون مواقعهم الشامخة

قد يجمع بعض هؤلاء، بين الدراسة الأكاديمية وبين الفطرة السلمية، والسليقه الأصيلة، فيكون المزيج (مُحسَنًا) .

وقد لا يتوفر بعضهم إلاّ على قسط من الثقافة والمعرفة، يناله بجهده الخاص، ومتابعاته الشخصية، ودراساته على بعض أعلام عصره، ويكون ذا ذهن وقّاد، يلتقط، روائع الأفكار، ويكتنز عيون الأخبار، لتكون الحصيلة النهائية، رصيداً ثميناً للصولات الأدبية، والطروحات العلمية أو الفنية

وأغلبُ الشعراء الكبار المبدعين من الطراز الثاني، وقد تفوقوا على أقرانهم من أصحاب الدراسات الحديثة

أين الحاج عبد الحسين الأزري كشاعر، من الدكتور مصطفى جواد مثلاً؟

إن الشاعرية الأزرية، لا يصح أن تقارن بما كان ينظمه الدكتور مصطفى جواد من قصائد ومقطوعات وما يترجمه من رباعيات، رغم أن الدكتور مصطفى جواد يعتبر من أعظم الأعلام في اللغة والأدب والتاريخ

إن عباس محمود العقاد، لم يكن من أصحاب الشهادات الجامعية، ولكنه دخل التاريخ، كواحد من أبرز الكتاب المؤلفين

وربما رجع الكثير من الجامعيين إلى دراساته وكتبه

والسرّ في كل ذلك، هو الإستعداد الفطري الذي يمثّل الأرض الخصبة، التي تحتضن البذور الطيّبة فتحليها إلى أروع الثمار ..

ومن هؤلاء الذين منحهم الله العديد من المواهب الأدبية والخطابيّة والفكرية المرحوم الدكتور محمد مهدي البصير

لقد أصيب الرجل بمرض الجدري في صباه ففقد بصره، ولكنه كان نافذ البصيرة، فأقبل على حلبات الأدب والخطابة، وتفاعل مع الأحداث، حتى عدّ خطيباً مُبّرزاً من خطباء ثورة العشرين المجيدة

وكان يعتمر العمامة، ويمتهن الخطابه الحسينية، قبل أن يلج إلى عالم الدراسات الحديثة، ويُرسل إلى فرنسا، لنيل شهادة الدكتوراه من احدى جامعاتها

ولقد اجتمعت في شخصه عناصر عدة: الموهبة الفطرية، والقدرة الأدبية، والممارسة الخطابية، والقدرة على استيعاب المفاهيم والأفكار، فدفعت به إلى الواجهة، كرجل من رجال العراق الأفذاذ، الذين عشقوا العراق، وتغنّوا بأمجاده، وعملوا من أجل استقلاله، ورفعة مكانته، وخير أبنائه وبناته

يحدثنا الصديق الأستاذ رفعت مرهون الصفار في كتابه (محلات بغدادية قديمة في الذاكرة) - وهو جهد مشكور يستحق عليه الثناء والتقدير - في سياق حديثه عن محلته صبابيغ الآل، وعن الجانب الأدبي فيها تحديداً، فيقول في ص ٢٦

(هناك حادثة طريفة، تبيّن جانباً من جوانب النشاط الثقافي في هذه المحلة:

ان وفداً مصرياً زار القطر أواخر العشرينات وأستفسروا عن شخصية سمعوا بها، اقترن اسمه بالدكتور (طه حسين) فاصطُحبوا إلى

(جامع الحاج داود أبو التمن، حيث كان الشيخ محمد مهدي البصير آنذاك يلقي المواعظ الحسينية هناك)

وحين تم التعارف بين الوفد والشيخ، اعتلى الشيخ البصير المنبر، وساح سياحة طويلة في الأدب والشعر، والسياسة، مما أثار دهشة أحد المستمعين البغداديين البسطاء فتساءل:

شيخنا أين صار الحسين؟

بينما بهر الوفد المصري وأعجب بالشيخ البصير لغزارة علمه وأدبه)

ولنا هنا وقفتان

الأولى:

أن الدكتور البصير قورن بالدكتور طه حسين وهناك قواسم مشتركة عديدة بينهما

منها:

أن كلاً منهما هو أحد أساتذة الأدب العربي المرموقين ومنها

أن كلاً منهما شق طريقه إلى عالم الأدب ولم يقف فقدان البصر، حائلاً أمام طريق تقدمه، وفي هذا درس بليغ للأجيال الصاعدة

إلاّ أن الدكتور البصير، أضاف إلى نبوغه الأدبي، براعة خطابية لم يكن يملكها عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين

الثانية:

أن سر سؤال المطروح من أحد المستمعين البغداديين البسطاء بقولهم

(ابن صار الحسين)، هو أنه لم يكن بمستوى مواكبة حديث الشيخ البصير، وقد خاض تلك الأفاق الرحبة في حديثه المفعم بالعلم والأدب والسياسة، فأطلق عفيرته بتوجيه السؤال المذكور

والقضية على اختصارها، قضية مُوحية بالعديد من الإيحاءات والدلالات، التي تزيد من إعجابنا وتقديرنا لرجال العراق الأفذاذ، من أمثال الدكتور محمد مهدي البصير - رحمه الله -

ولا يفوتني أن أشيد بالصديق الصفّار الذي أهدى الكتاب إلى والده، وجاء في ديباجة الإهداء قوله:

(تحية لذكرى المرحوم والدي الحاج مرهون الصفار، الذي ربانا، فأحسن تربيتنا، وغرس في نفوسنا محبة الوطن، وخدمة أبنائه، ووضعنا على سلّم الثقافة والأدب والمبادئ الوطنية الحقه

وأوصانا بنكران الذات، وبالحفاظ على صداقة الناس، والدفاع عنهم، ومؤازرتهم، والكتابة عنهم، وعن أحيائهم الشعبية الأصيلة)

هذا الإهداء المشبع بروح البنوه البارة، يعتبر لفتة أخلاقية موجبة للحمد ..

إنها تتضمن معاني الوفاء والبر، وهما من المفردات الأخلاقية المهمة التي تستوجب التقدير والرضا

ثم إن والده الدكتور المرحوم الحاج مرهون الصفار لامس هو الأخر الفضاءات الأخلاقية والوطنية في منهاجه التربوي، ووصاياه لأولاده ومن الموقع المتقدم لبراعات الدكتور البصير الخطابية، نقف على محطة من محطات العقوق والجحود للغتنا العربية الأصيلة، وآفاقها الرحبه، حيث شاعت في بعض الأوساط مؤخراً، ظاهرة الاتكاء على العاميّة، تهرباً من الفصيح، الحافل بالروعة والتأثير العميق

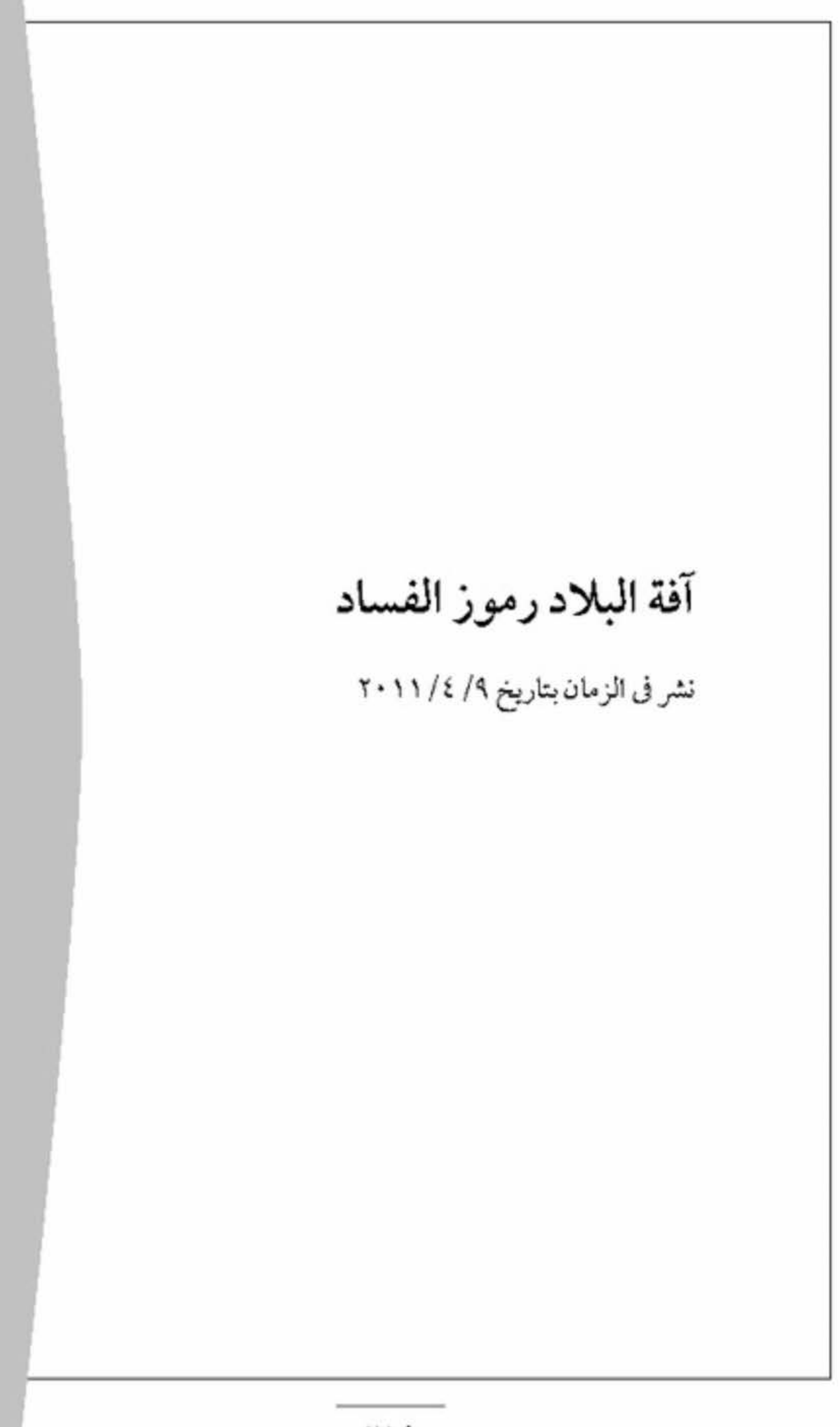
إن الخشية من الوقوع في الأخطاء اللغوية والنحوية، لا تبرر اعتماد

«العامية» لغة في الخطب والمحاضرات ذات الطابع الأدبي والعلمي.

إن رجال التربية والتعليم بمقدورهم استخدام أية لغة يريدون لتوضيح الغامض من المفاهيم، ولكن العلماء والأدباء لا يسمح لهم بتجاوز الخطوط الحمراء في مقالاتهم ومحاضراتهم وخطبهم .

واضيعة اللغة العربية عند أبنائها الذين يُصخرون على ممارسة ألوان لا تغتفر من الجفاء بحقها، وهم يستعيضون عنها بلغة الأميين

إننا ندعو إلى العناية الفائقة بلغتنا الجميلة، لغة القرآن العظيم، والنهج القويم.



آفة البلاد رموز الفساد

نشر في الزمان بتاريخ ٩/ ٤/ ٢٠١١

آفة البلاد رموز الفساد

لم يخل تاريخ العراق، لا في ماضيه البعيد، ولا في عهده الحديث من مصائب وويلات، يقف في طليعتها الفساد، وهو أكبر آفة في البلاد

والفساد الأخلاقي، هو جذر الفساد المالي والإداري، وهما مشكلتنا العويصة، التي أرجعتنا عقوداً إلى الوراء، وعاثت بثروتنا الوطنية نهبا، الأمر الذي كانت له انعكاساته الخطيرة على العملية التنموية برمتها

وهكذا بقيت البنى التحتية المدّمرة، بفعل حروب الدكتاتورية المقبورة البائدة، وبفعل الإحتلال والإرهاب، بعد زوال كابوس الدكتاتورية، تهدّد كيان الوطن، وتعجز عن اشباع حاجات مواطنيه، حتى الأساسية منها

وهنا تُكمن الطامة

ويبدو أن هذه الحالة، حالة النهب للمال العام، كانت معروفة في العهود البائدة بأسرها، ولكنها يقيناً، لم تصل إلى ما وصلت اليه اليوم

يقول المرحوم العلاّمة الشيخ محمد علي اليعقوبي - وهو شيخ خطباء عصره، ومن شعراء العراق البارزين ومؤرخيه المعروفين:

يا زمرة للشعب قد أدركتْ	جل أمانيها وأغراضِها
تشكو بنوه نهبَ أموالها	منكم وتبكي هتك أعراضِها
خفتم عليها مرضا ساريا	وأنتمُ أعظمُ أمراضِها

وهكذا يتضح أن زمرة من الحكاّم، تتمرس بنهب أموال الشعب، وتضيف إلى ذلك هتك أعراضه أيضاً

ومع ذلك كله، ترفع شعارات الحرص على المواطنين، والخوف عليهم من الأمراض السارية، في أنها تشكّل أخطر الأمراض الفتاكة بالشعب

ولا أدري ما الذي كان الشيخ اليعقوبي يقوله، لو شهد ما شهدنا، في مرحلتنا الراهنة، من صفقات مشبوهة، وثرواتٍ مريبة، وحسابات عجيبة، وأرقام فلكية، واستثمارات في الداخل والخارج ...؟!

ومع ذلك كله فالنغمة واحدة، والمعزوفة تتكرر، والأبالسة يتناسلون ويتكاثرون، وتستمر المعاناة والمكابدة، كأبشع ما تكون .!!

ومن جميل شعره، قصيدة له بعنوان (انتخاباتنا) يقول فيها:

للإنتخابات قامت	معاركٌ ومعامِغ
لكل حزبٌ هتاف	تصطك منه المسامغ
فللشباب طموح	وللشيوخ مطامع
سوق الضمائر فيها	مابين شارٍ وبايغ
ذرائع القوم شتى	والمال بعض الذرائغ

والمصيبة أن المال السياسي اليوم، لم يدخل إلى حلبة الإنتخابات فقط، وإنما دخل إلى عالم المواقع والمناصب، كبيرها وصغيرها، فتهدلت كروش من التخمة، وأُبعد البائسون دون رحمة، في سياق من الإضطراب، البعيد عن كل الضوابط والقيم الشرعية والقانونية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية

ومن قصيدة له بعنوان (نَكرات) يقول:

ومن البلية أنْ نعيش بموطن	يُدعى دنيُّ القوم فيه شريفاً
ويُصيبُ عِرضَكَ قاذفا متهجما	مَنْ عاش ما بين الورى مقذوفاً
يجزيك أنْ شيّدتَ مجدَ بلاده	في هدم مَجدِكَ تالداً وطريفاً
جاءت بهم صحف الليالي غلطة	لا تقبل التصحيح والتصحيفا

إن حجم (النكرات) اليوم، لا يمكن أن يُقاس مع أحجامهم في العهود السالفة

والسر في ذلك هو المحاصصات الحزبية والطائفية والقومية والمناطقية، وما ألمعنا اليه قبل قليل، من دور محموم للمال السياسي، والأمتدادات النسبية الأفقية والعمودية، إلى أخر ما تحفل به القائمة من أسباب معروفة

وهكذا يعيد التاريخ نفسه، ويضيف الراهن إلى الماضي، فصولاً مرعبه، لاتكاد تنتهي عجائبها

والسؤال الأن:

متى تنتهي هذه المأسي المرّة ويُسدل الستار على هذا المسار؟ !.



اللذائذ المعنوية

نشر فى الزمان بتاريخ ٢٣/ ٤/ ٢٠١١

اللذائذ المعنوية

قرأت في بعض الكتب الأدبية، قصة طريفة، خلاصتها، أن عالماً من العلماء، كانت الكُتُب تحيط به من كل جانب، ولا بُدّ أن تفاعله مع تلك الكتب وانهماكه في مراجعتها، يستهلك أغلب أوقاته، وهذا ما كان يثير زوجته، لإحساسها انه لم يعد يمنحها ما تستحقه من الإقبال عليها والتفرغ لشؤونها، فخاطبته قائلة:

«ان هذه الكتب أشقّ عليّ من ثلاث ضرائر» .!!

ونحن وأن كنا مع حق المرأة في أنْ تحظى من زوجها بالإقبال والعناية، إلا أننا نلمس في كلمات زوجة العالم المذكور، لوناً من السطحية، والأنانية، حيث أنها تُريده لها، وهو يريد أن يكون للعلم والبحث والتأليف، وليس لها وحدها .!!

وشتان ما بين الإرادتين:

إرادتها، لا تخرج عن حدود ذاتها، المتعطشة للانفراد بزوجها، والإستئثار بأوقاته،

وإرادته النابعة من حب عميق، للعلم والمعرفة والمتابعة، لقضايا الثقافة والأدب في أن يكون له نصيبٌ ملحوظ في مدارج العلم، ليصب في النهاية، في بحرٍ متلاطم الامواج، تسبح فيه الانسانية وينتفع به الناس

وتُثرى به العقول ..

تلك هي بالتحديد دوافع العالم المتبع وزوجته الناقمة عليه

ولكنني اليوم، أشعر بارتياح ونشوة، لما أقرأه في مقدمات بعض الكتب التي يصدرها الباحثون المعاصرون، فقد تغيّرت الأحوال، وتبدلت الأطوار

يقول أحدهم:

إن زوجته كانت قد نذرت نذراً خاصاً، من أجل أن يرى كتابه النور ..

وإنها وفت بنذرها بكل سرور، حينما طبع الكتاب

أين هذا الاحساس الواعي بأهمية الكتاب من إحساس زوجة العالم، التي بلغ بها الضيق من كتبه أقصاه؟ فعادت الكتب أشق عليها من الضرائر؟ !!

ويقول مؤلف أخر:

إن زوجته باعتْ أساورها الذهبية، من أجل أنْ تمكّن زوجها من طبع كتابه

وهذه المبادرة تكشف عن إيثار واضح، وتفاعل كبير مع عالم الكتابة والتأليف يدفعنا لتقديرها والإعتزاز بموقفها، وبكل موقف مشابه من أية امراة أخرى

ولست الأن بصدد الحديث عن «ثوابت» لا تتغير في مواقف «النساء» إزاء الكتب والمؤلفات، حين ينشغل بها الأزواج، حيث أني أميل إلى أن المسألة لا يحكمها قانون عام، يسري على كل العصور والأقطار، على حد سواء، وإنما تختلف بإختلاف الموارد والطباع والبيئة والمستوى الثقافي للمرأة

ومما يتصل بموضوعنا اتصالاً وثيقاً: اللذاذات المعنوية التي قد تفوق عند العارفين كل اللذاذات المادية

ان الانسان - بوجه عام - صاحب نزعة حسيّة، وتوّاق إلى اللذائذ المادية، وقلّ أن يشعر باللذة المعنوية

إن عامة الناس تشعر بلذة الأكلة الشهية مثلاً وتتوق إليها، في حين أنها جامدة الاحساس ازاء انعاش عائلة بائسة متعبة .!!

لان اللذة الاولى ماديه والثانية معنوية

إن العلماء والباحثين والمؤلفين والمبدعين والفنانين والأدباء يشعرون بلذة لا تعادلها لذة وهم ينتجون ويبدعون

إن اللذائذ المعنوية هي الوسائل الحقيقية لرقي الانسان وتكامله الروحي والاخلاقي والمعرفي

إنّ هذه اللذائذ المعنوية هي التي تميّز الانسان عن باقي المخلوقات وإلاّ فان الحيوان يتلذذ ماديّاً كما يتلذذ الإنسان بالجنس، والطعام، وغيرهما

إنك حين تسعد بأنقاذ غريق، تصبح مشروعاً إنسانياً واعداً

وهكذا تتعاظم الحاجة إلى فتح باب الإحساس باللذاذات المعنوية في حياتنا، لأنها مفتاح التقدم والرقي الحضاري والانساني

أين هى المعارضة

نشر فى جريدة الزمان بتاريخ ٣٠/ ٤/ ٢٠١١

أين هي المعارضة؟

في ٢٩/ ٣/ ١٩٤٧ كلف الأمير عبد الإله - الوصيّ على ملك العراق فيصل الثاني - المرحوم صالح جبر بتشكيل الوزارة، بموجب الأرادة الملكية ذات الرقم(١٥٣)،وفي ١٠/ ٤/ ١٩٤٧، قدّم صالح جبر منهاج وزارته، وكان منهاجا ضافياً، تناول الشؤون الخارجية والداخلية وشؤون الدفاع والعدلية والمالية والتموين والشؤون الاقتصادية والثقافية، وشؤون الري والمواصلات والأشغال، والشؤون الصحية والإجتماعية وشؤون الأوقاف

فكان من الطبيعي أن تكثر مناقشات النواب لفقراته واستمرت المداخلات لمدة تزيد عن ست ساعات متواصلة

وبعد ان أستمع صالح جبر إلى آراء النواب والوزراء وشكرهم على اهتمامهم بالمنهاج، قال:

(نحن نرحب بكل ما سمعناه، من خطب وبيانات وانتقادات واعتراضات،

كما أننا نرحب بصورة خاصة بالمعارضة، لعقيدتنا إن المعارضة لابد منها، ولا يجوز أن يخلو منها مجلس نيابي)

جرى هذا قبل أكثر من ٦٠ عاماً

ولقد كان الرجل مصيباً في تشخيصه لوجوب وجود المعارضة في مجلس النواب

والملاحظ أن مجلس النواب الحالي لا يضم بين صفوفه من يمثل المعارضة، وكثيراً ما تطلق التصريحات والكلمات الفضفاضة عن نية بعض النواب وعزمهم، على تشكيل كتلة معارضة، ولكنها تبقى مجرد وعود ...

إن المعارضة الصادقة التي لا يحرّكها إلاّ حب الوطن والحرص على الشعب ومصالحه العليا، تضع يدها على الجرح، وتؤشر إلى مواطن الخلل والخطأ والتقصير والإهمال في عمل الحكومة وبالتالي تقود إلى تصحيح الأوضاع وتقويمها وبهذا تسدي للوطن وللشعب وللحكومة خدمة كبرى، ويكون لها عن هذا الطريق شرف الإسهام، بدفع العجلة نحو الأمام، بدلاً من أن تراوح مكانها أو تنكفأ راجعة إلى الوراء

ولا نعهد في الدول الديمقراطية مجلساً للنواب لا يحتضن إلاّ الموالين، ويخلو من المعارضين

وأحب هنا أن ألفت النظر إلى أن المرحوم صالح جبر رحّب بالمعارضة بصورة خاصة، كاشفاً عن إيمانه العميق بدورها الايجابي الكبير في نقاء العملية السياسية نفسها

ونحن لا نجد في الأجواء ترحيباً حقيقياً بالمعارضة والمعارضين، لا بل نجدأن الهواجس والشكوك تحوم حولهم وتضيق الصدور من مجرد ابداء رأي مخالف..!!

إن إلغاء الرأي الآخر، والإصرار على استبعاده مسلك وخيم العواقب، لا ينتج في النهاية إلاّ الإستبداد والإستئثار الكريهينْ

إن على الكتل السياسية أن تدرك أن الحقيبة الوزارية، في وزارة مترهلة، لا تعني شيئاً مهماً، وهي ليست بأغلى من المواقف الوطنية المعارضة داخل قبة البرلمان، وأنها بهذه المواقف الشريفة تستطيع أن توسع قاعدتها الجماهيرية وتكسب ثقة الجماهير في الحاضر، وأصواتها في المستقبل

إن المعارضة الصادقة لا تنطلق من أحقاد شخصية أو مصالح فئوية أو رواسب تاريخية، بمقدارما تنطلق من مواكبة جادة لكل القرارات التنفيذية ومراقبة دقيقة لكل ما يجري في الساحة، وهي بهذا تعبّر عن أنها الأقرب لفهم نبض الشارع، وتوجهات الجماهير، ومطالبها، وطموحاتها، وهمومها، ورغباتها وحاجاتها ...

وحين تحمل هذه الراية، يصدق عليها وصف التمثيل الحقيقي للمواطنين، بينما يظل هذا الوصف مجازياً بعيداً عن الحقيقة كلما انعدم التماس مع الجماهير، وبعدت الصلة بين الطرفين إن مسؤولية النواب لا تقل عن مسؤولية الحكومة في مضمار ما يجب أن يُقدّم للشعب من خدمات، وما يزاح عنه من أزمات



فقهاء ووعاظ السلاطين

نشر في جريدة الزمان بتاريخ ١/ ٥/ ٢٠١١

فقهاء البلاط ووعاظ السلاطين

من أشد المصائب التي أبتليت بها الأُمة عبر التاريخ، مصيبة الإنحياز اللامشروع، لحفنة من المرتزقة، يتسترون بالدين والعلم، ويلتحمون بالكامل مع السلاطين، ويفصلّون لهم الثياب حسب المقاييس المطلوبة من قبلهم دون وجل أو حياء، لا من الله، و لا من الناس، ولا من التاريخ

هذه الطبقة من علماء السوء، يطلق عليها وصف وعاظ السلاطين، وهؤلاء موجودون في كل البلدان ومختلف الأزمان

يرى أحدهم المهدي العباسي وقد جيء له بطير

فيقول: (لا سبق الا في خف أو حافر أو جناح)

وحين يخرج، يأمر المهدي العباسي بذبح الطير

ويقول: من أجله كُذب على رسول الله !!

أنظر الى الدناءة في صنيع هذا الخبيث المتسمي باسم العلماء، كيف وضع حديثاً ونسبه إلى الرسول الكريم (ﷺ) مجاملة للسلطان إلا أن السلطان نفسه

بادر إلى أفهام الحاضرين بالكذبة الكبرى، والفرية الشنعاء على الرسول الأعظم (ﷺ) ...

ويلاحظ هنا أن السلطان لم يعنّف الكذاّب المذكور، ولم يتعرض لمساءلته من قريب أو بعيد

إنهم يريدون هذا اللون من الدَجَل الذي يوظف عند الحاجة، لخدمة مصالحهم على حساب المصالح العليا للدين والناس أجمعين

إنها المعاهدة السرية المعقودة بين الطرفين، بين السلاطين، ووعاظهم المحترفين ....

يقدّم الطرف الأول، كل ألوان التكريم المعنوي، والدعم المالي، للطرف الثاني الذي يعمد إلى حَبْك الكلمات، وصياغة المواقف، بما يخدم به الحكّام، حتى مع اللجوء إلى أخس الوسائل، والأساليب النتنة، الخالية من روح الاعتصام بحبل الله المتين، وصيانة شريعته عن أضاليل الدجالين المنحرفين ...

ويختلف الرشيد مع زبيدة زوجته في (الفالوذج)و(اللوزينج) أيها أطيب، فيدخل عليهما واحد من علماء البلاط العباسي، فيسأله الرشيد عن ذلك

فيقول: لا يُقضى على غائب، فأحضرهما، فأكَلَ حتى اكتفى فقال له الرشيد:

أُحكمْ، فقال:

قد أصطلح الخصمان

فضحك الرشيد وأمر له بألف دينار، فبلغ ذلك زبيدة، فأمرت له بها يقارب من ذلك المبلغ ..!!!

وهكذا تحاشى القاضي إغضاب زبيده، ونال جائزتها !!

وهكذا كان السلاطين يبذرون أموال المسلمين بمثل هذه التفاهات ....

واليوم، وقد اشتدت عمليات الحراك الشبابي الجماهيري السلمي للتغيير المنشود، اجتماعياً، وسياسياً، واقتصادياً، يستعين بعض الحكّام بورثة تلك النماذج الساقطة، لإصدار الفتاوى بتحريم التظاهرات، والمنع المطلق لكل ألوان الاحتجاجات السلمية .!!

ومثل هذه الفتاوى لا قيمة لها ولا اعتبار، حيث لا تستند إلى الكتاب أو السنَّة

إنها القبيح بعينه

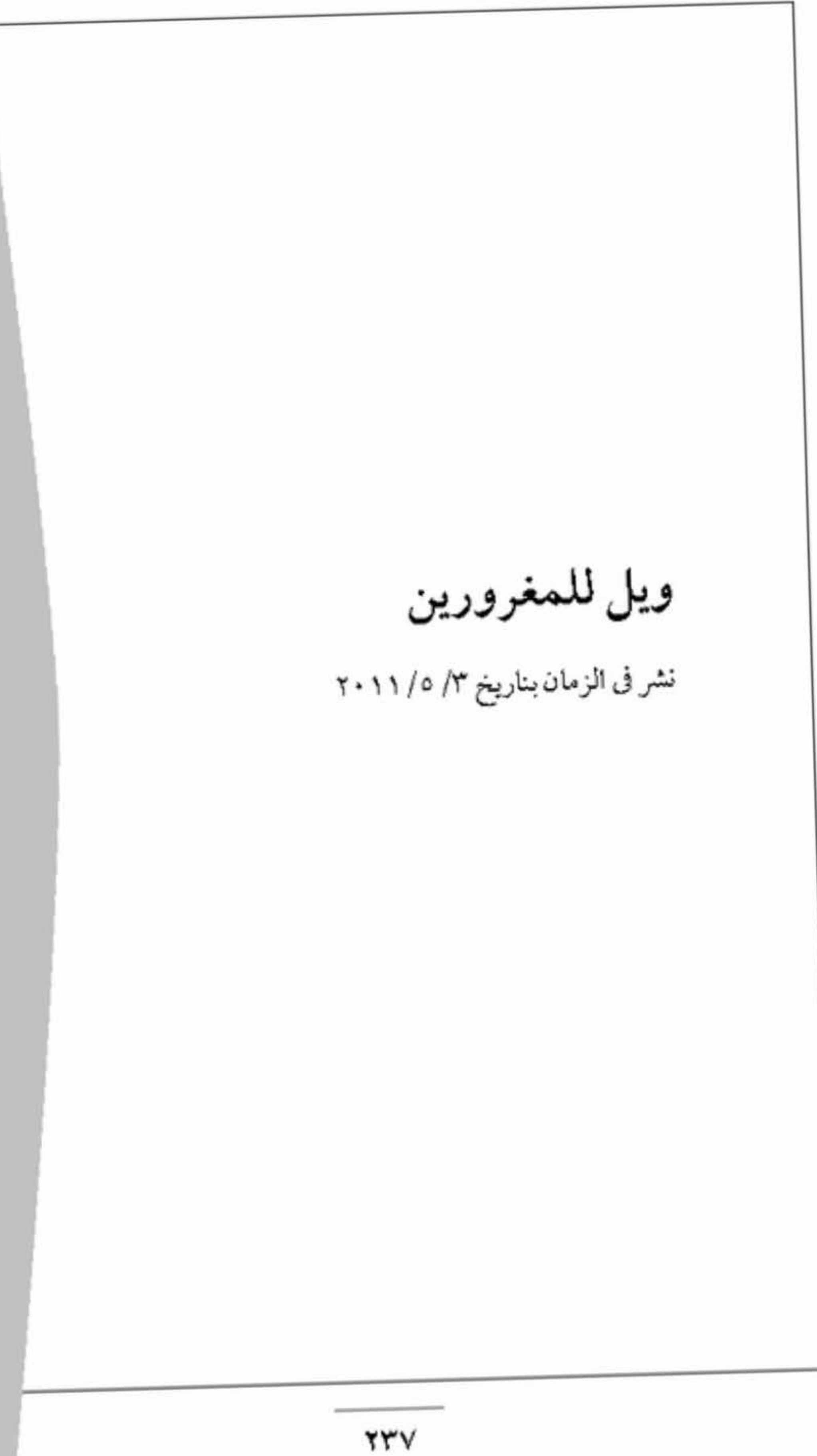
وأنها الكذب الصريح على الله ورسوله

إن أولئك المُفتين قد ينكرون الخروج على الحاكم الظالم بالسيف، ولكنهم كيف ينكرون الدفاع عن النفس، وهو حق مشروع، لا سيما وأنه يأتي في سياق سلمي مدني، لرفع الضيم والأذى عن المظلومين المصادرة حقوقهم دون وجه شرعي مقبول؟

إن الفتاوى المنحازة للجبابرة، هي من أفتك السرطانات، وأكثرها إمعاناً في تعذيب الحرائر والأحرار، من أبناء هذه الأمة المجيدة

والرياح العاتية الهابة على المنطقة، أعتا وأقوى من ان توقف مسارها، مثل هذه المحاولات البائسة، التي لا تجد من يُصغي إليها، في ظل الأجواء الساخنة، المشحونة، بروح الاصرار على انتزاع الحقوق المشروعة مهما كانت الأثمان

إن عصرنا لم يعد يهضم تلك المناورات فضلاً عن تقديسها والاسراع لتنفيذها



ويل للمغرورين

نشر فى الزمان بتاريخ ٣/ ٥/ ٢٠١١

ويل للمغرورين

عِشْقُ الذات، والامعان في حبها، والمبالغة في سماتها وصفاتها، ومواهبها ولياقاتها، وبطولاتها وانجازاتها، شأن يتميز به المسحورون بأنفسهم، حتى لكأنّهم يرونها من طينةٍ أخرى .!!

يستوي في ذلك المغرورون في قديم الزمان وجديده ..

ذلك أنّ العلّة واحدة

إن العلة باختصار: هي الخطأ في التشخيص فبدلاً من أن يعرفوا أنفسهم معرفة حقيقية، عمدوا إلى المبالغات التي أخرجتهم عن الحدود المقبولة،

فأصبحوا مرضى لداء وبيل ولمرض خطير وهو داء الشعور (بالفوقيه)

والنظر إلى الآخرين نظرة (دونية)

لقد جاء في الحديث الشريف أن من عرف نفسه فقد عرف ربه

ولكن أين هم الذين عرفوا أنفسهم، على حقيقتها، ودون زيادة ومبالغة؟

قصة طريفة:

جاءني في السبعينات رجلٌ يرجوني التدخل لحل مشكلته، مَعَ من كان يمنعه من ممارسة عمله في الوعظ والخطابة ..

وعلّل المنع بأنهم يحسدونه، وآثرتُ الاستماع إلى خطابته للوقوف على حقيقة قابلياته وملكاته، قبل الشروع بمفاتحة مَنْ منعه من القراءه

وحين قرأ، كانت قراءته توجب الاشفاق، وكانت ضعيفة هزيلة، حقها أن تمنع، لأنها لا تسمن ولا تغني من جوع

وهكذا خيّل لهذا المسكين، أنه من الوعاظ البلغاء المبدعين، في حين أنه معدود في البسطاء الأميين !!

وأخرى:

واذكر أن زميلاً لنا كان يقول:

حينما ابتدأت بنظم الشعر، كان يخيّل لي أنني أشعر من مشاهير الشعراء المعروفين

غير أنّ هذا الزميل، أدرك فيما بعد، أنه جانب الصواب، في تلك التقديرات وأنّ بينه وبين الشعراء الكبار بوناً شاسعاً

وينقل في بعض كتب الأدب أنّ (ابن ظبيان) خطب في البصرة خطبه، أوجز فيها، فنادى الناس:

كثّر الله لنا مِثْلكَ

وفي هذا من الثناء والاعجاب، ما فيه، فما كان منه إلاّ أنه قال:

«لقد كلفتم الله شططا»

وبهذا التعليق السمح، كشف عن غروره، وعن زيف معدنه الرخيص

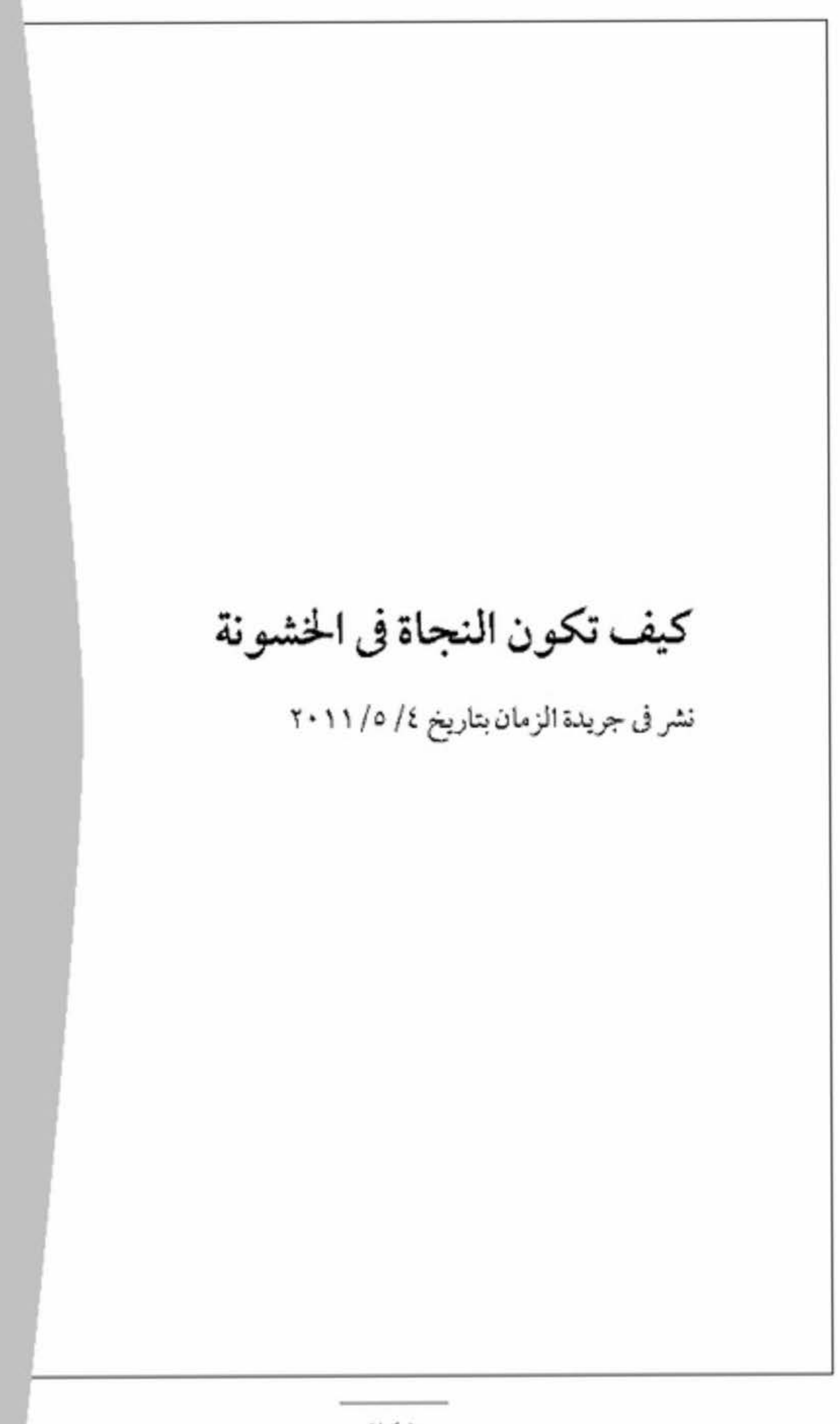
والسؤال الآن:

هل هناك حقل خاص يزدحم فيه المغرورن من عشاق الذات، أم أن كل الحقول الأدبية السياسية والأجتماعية والفنية، يمكن أن تشهد العديد من النماذج المنتفخة المغرورة؟

والجواب: أن نطاق الغرور لا يقتصر على جانب معين دون سواه، والعراق الجديد اليوم، مبتلى، بنماذج كثيرة من المغرورين، الذين يمنّون على الشعب العراقي المظلوم، بانجازاتهم وفتوحاتهم، وليست تلك الأعمال المدعّاة، إلاّ سبباً من أسباب طول معاناة العراقيين وعذاباتهم

إنّ أحسن علاج لهذه الحالة - حالة الغرور والانتفاخ - هي الاصغاء إلى أصوات المواطنين العراقيين المعبرين، بكل صراحة وصدق، عن آرائهم، في واقع ما قدمّه أولئك المغرورون من خدمات، وعليهم أن يعتمدوا هذا المعيار الشعبي لمعرفة الحقيقة، المجرده عن الأخيله والأوهام

وحين يعتمدون هذا المعيار، سيجدون الحاجة الكبرى إلى مضاعفة الجهود، ومواصلة الليل بالنهار في مضمار تقديم الخدمات للمواطنين، وإشباع الحاجات الانية الكثيرة، وتقليل المتراكم من الأخطاء والتقصيرات



كيف تكون النجاة فى الخشونة

نشر فى جريدة الزمان بتاريخ ٤/ ٥/ ٢٠١١

كيف تكون النجاة في الخشونة؟

الخشونة في الأخلاق، مرفوضة على الإطلاق، حيث لا معنى لها إلا الغلظة والجفاف، ولا أحد من العقلاء يمكن أن يوصي الناس بإتخاذ الغلظة والجفاف أسلوباً في التعامل مع الناس، درءً للأخطار عن نفسه والإبقاء عليها ..!!!

ولكنَّ الخشونة، في العيش، تقابل (الليونة) وهي الترف، والعيش الناعم الرغيد

وقد دلّت التجارب، تجارب الأمم والشعوب، أن المترفين والناعمين، هم أول مَنْ تصرعهم الأزمات، وتودي بهم النكبات، وتقضي عليهم الظروف الصعبة، بكل ما تحمله من متغيرات

من هنا قال الشاعر أحمد الصافي:

إنْ رُمتَ في الدهر أنْ تبقى فَكُنْ خَشِنَاً فَمنخلُ الدهر لا يُبقي سوى الخَشِن

والسياسيون المترفون هم أول الساقطين

إنه يشير بإختصار إلى أن الدرع الواقي من التفتت والانحلال، هو الخشونة، ذلك أن منخل الدهر يُسقط ما كان (ناعماً)، ويُبقى ما كان (خشناً) عصيّاً عليه

وفي هذه الوصية الشعرية، دعوة صريحة إلى تحمّل المشاق والصعاب، والى الصلابة المتناهية إزاء، الكوارث والحوادث، والى امتشاق؛ الصبر في مواجهة الأعباء

غير أنَّ عامة الناس لا يميلون بطبعهم إلى التقشف والزهد، وتطليق اللذاذات التي توفرها الحياة الناعمة، بل يسعون بكل طاقاتهم للوصول إلى مرافئ السعادة الوردية، المضمخة بعطر الاقتدار على ارتشاف كؤوس النشوة بعيداً عن المنغصات

ومثل هذه الحياة الناعمة أصبحت مفقودة، عند معظم العراقيين، في ظل الأزمات الخانقة، للوقود، والبطالة، وسوء الخدمات، وما أسسته

المحاصصات من صراع، يكاد لا ينتهي بين الكتل السياسية العراقية

ربما يخيّل لبعض السذج، أن بيوت المسؤولين المعفاة من انقطاع الكهرباء،

وما يتقاضونه من رواتب ضخمة، ومخصصات فخمة، تجعلهم دون غيرهم، مؤهلين للحياة الناعمة الكريمة، وهم قد اعتادوا على نسيان معاناة الملايين من المواطنين

إن أصحاب هذه النظرة واهمون ومخطئون في حساباتهم، ذلك أن قسماً كبيراً من هؤلاء، مهددون فعلاً بالإقصاء، لا سيما أن المدة الممنوحة لاختبارهم لم يبق منها إلاّ أيام معدودات، وبالتالي فإن هناك مستقبلاً غامضا ينتظرهم لا يدرون ما سيلاقون فيه .!!

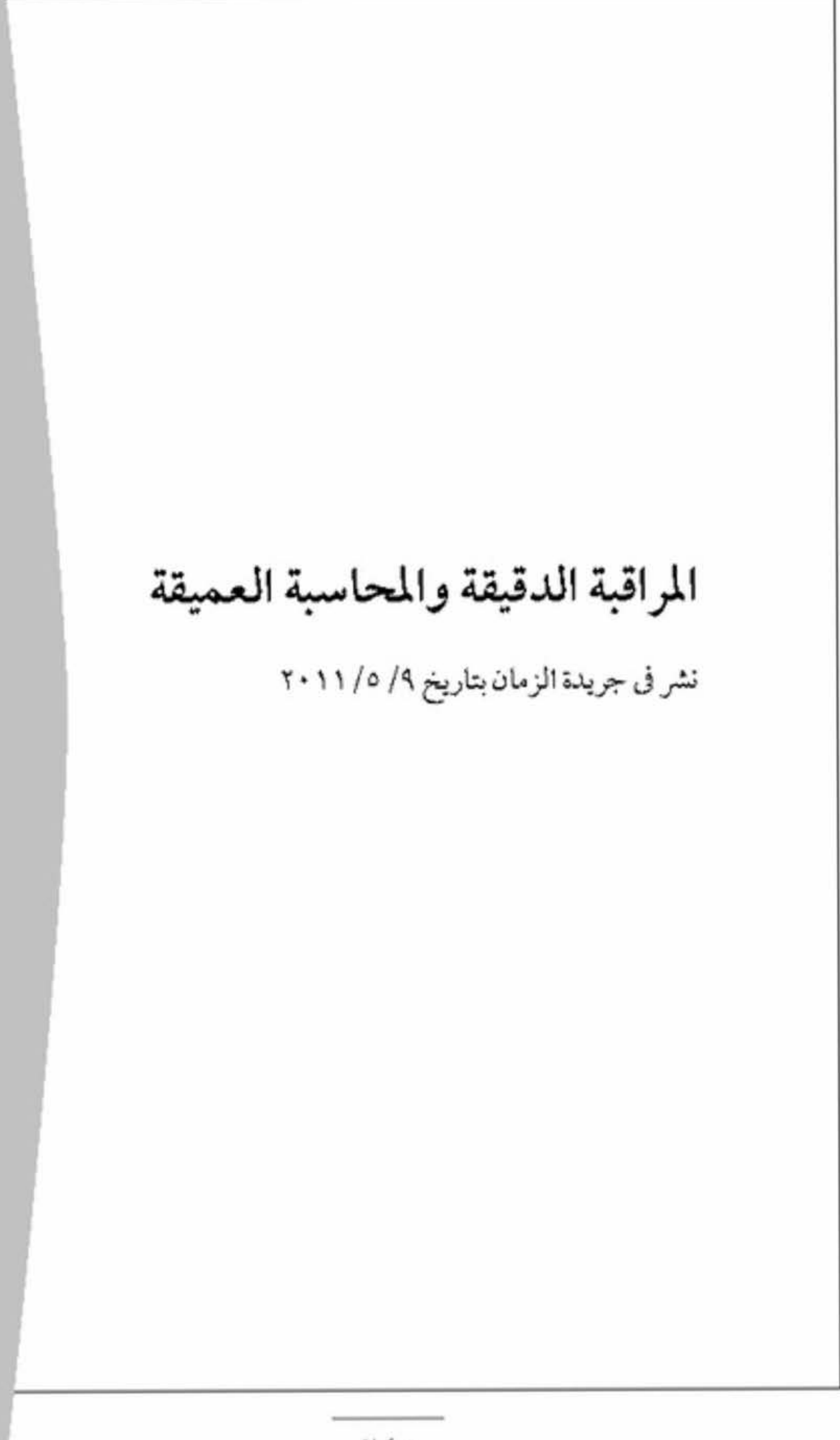
إن الغموض لا يلف مستقبل هؤلاء وحدهم، بل يلف العملية السياسية برمتها، حيث أن الفشل سيفتح بوابات التغيير، التي قد تصل إلى سحب الثقة من الحكومة كلها، وقد تصل إلى حل البرلمان أيضاً، وإجراء انتخابات مبكرة.

وهكذا قد ينقلب السحر على الساحر

وقد يدفع الكثير ممن حملتْهم المحاصصات، والصفقات، إلى مواقع ومناصب ليسوا جديرين بها ثمن ما اعتبروه انتصاراً ونجاحاً ..!!!

إن النجاح الحقيقي لا يكون بالقفز على المعايير الموضوعية، ولا بنسيان المصالح العليا للبلد، ولا بالإستهانة بمشاعر المواطنين وحاجاتهم ..

وهكذا تعود مسألة « الخشونة » إلى الواجهة مرة أخرى لينجو بها أصحاب الإستقامة والنزاهة والإخلاص ممن لم يمدوا أيديهم إلى المال العام، ولم يتورطوا بأي عقد فاسد، فيما يتساقط الآخرون واحداً بعد واحد، خصوصاً مع التأكيدات الأخيرة على محاسبة المفسدين والمقصرين دون هوادة، أياً كانت هوياتهم أو انتساباتهم الحركية



المراقبة الدقيقة والمحاسبة العميقة

نشر في جريدة الزمان بتاريخ ٩/ ٥/ ٢٠١١

المراقبة الدقيقة والمحاسبة العميقة

يقول الشاعر:

النفس راغبةٌ إذا رغّبتَها   وإذا تُردُّ فعن قليلٍ تقنعُ

ليست النفوس البشرية، على نمط واحدٍ، من الجشع أو القناعة، وليست على درجة واحدة في مقاومة المغريات، والترفع عن الممنوعات، حتى إنك لتجد الشقيقين يختلفان في نزعاتها وأطباعهما اختلافاً كبيراً، رغم أنهما في بيت واحد، وبيئة واحدة، وظروف واحدة !!

إنها مسألة لا ترتبط بالنسب، وإنما ترتبط بالعوامل النفسية والأخلاقية والروحية، أكثر من ارتباطها بأية مسألة أخرى

ولا ينبغي أن يغيب عن البال، أننا في ساحة اختبار حقيقي، ليس في حالات السعة والبحبوحة فحسب، بل حتى في حالات الضيق والحرمان

إن صاحب المنصب الكبير ينتظره هذا الإمتحان الصعب، فإذا أدّى واجباته ومهماته، بكل تفانٍ وإخلاص ونزاهة، نجح في هذا الإمتحان، واستحق المدح والثناء، بموازين السماء والأرض، أما إذا استغل منصبه، للتجاوز على المال العام، والحصول على العمولات لقاء ما يبرمه من عقود، فقد فشل فشلاً ذريعاً في هذا الإختبار، ولا بدَّ أن يحاسب حساباً عسيراً يكون فيه عبرة للمعتبرين..

والمحرومون هم، ممتحنون أيضاً، ذلك أنَّ بعضهم ينطلق من الحرمان إلى العدوان، ويجمع الأصفار في هذا الإمتحان ...

إنها عملية صراع داخلي، بين الضمير النقي، الذي يأبى الدنس، وبين النهم والعطش، للإستحواذ على الأموال، التي تُمكّن أصحابها في الغالب من إشباع حاجاتهم وطموحاتهم، ورغباتهم، أيا كانت ماهيتُها وأشكالها

وإذا كان الأمر كذلك، فلا يسوغ أن نُلقي الحبل على الغارب، بل لا بُدَّ من رصد دقيق، وتتبع عميق، لمجمل فعاليات وممارسات العاملين في مختلف أجهزة الدولة ومؤسساتها، لنكافئ الأمناء، ونحاسب من خانوا أماناتهم، وانحدروا إلى قاع سحيق ومسلك وخيم العواقب

ولا نريد لهذه المقالة أن تكون مجردة عن بعض الشواهد التاريخية، التي تعكس بوضوح، أن الإثراء غير المشروع، لم يكن ليمر، من دون مساءلة مرّة، ومحاسبة شديدة

جاء في العقد الفريد ج١/ ص٤٥

« كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص، وكان عامله على مصر:

من عبد الله عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص

سلام عليك

أما بعد:

فإنه بلغني أنه فَشَتْ لك فاشيه (أي كثرت) من خيل، وإبل، وغنم، وبقر، وعبيد، وعهدي بك قبل ذلك أن لا مال لك

فاكتُبْ إليّ من أين أصلُ هذا المال ولا تكتمه»

وهكذا يتّجلى عنصر الرصد والمراقبة، والمقارنة بين مرحلة ما قبل تولي المنصب، والمرحلة التي أعقبتها، ومع هذه المقارنة، ينشط السؤال، وتشتد المحاسبة

وجاء في جواب عمرو بن العاص:

«أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه ما فشا لي، وأنه يعرفني قبل ذلك لا مال لي

وإني أُعلم أمير المؤمنين أني بأرض السِعر فيه رخيص

وإني أعالج من الحرفة والزراعة ما يُعالج أهله وفي رزق أمير المؤمنين سعة

والله لو رأيتُ خيانتك حلالاً ما ختتك، فأقصر أيها الرجل .....!!»)

وهكذا تذرع برخص الأسعار من جانب، وضخامة الراتب من جانب اخر، وأقسم على البراءة

فكتب إليه عمر:

« أما بعد:

فإني والله، ما أنا من أساطيرك التي تُسطر .. وما يغني عنك، أن تزكي نفسك، وقد بعثتُ إليك محمد بن مسلمة، فشاطره ما لَك ..))

لقد ضُربت عرض الجدار، كُل الذرائع التي تذرع بها ابن العاص، وصدر القرار بمشاطرته المال

«فلما قدم علية محمد بن مسلمة، صنع له عمرو طعاماً كثيراً، فأبى محمد بن مسلمة أن يأكل منه شيئاً

فقال له عمرو:

أتحرّمون طعامنا؟

فقال:

لو قدّمت إليّ طعام الضيف أكلتُه، ولكنك قدّمت إلي طعاماً هو تقدمه شر

والله لا أشرب عندك ماءً

فاكتب لي كل شيء هو لك، ولا تكتمه»

بهذا المنهج الصارم، البعيد عن المجاملات، والرافض لكل الإغراءات، تم التعامل في هذه القضية

فماذا كانت النتيجة؟

لقد (شاطره ما له بأجمعه)

لقد اختصرنا الكثير من فصول هذه القصة، واكتفينا باللباب

والسؤال الأن:

هل قدّم كل المسؤولين في الدولة كشفاً بذممهم المالية؟

ولماذا السكوت عن التأخير؟

ومَنْ من كبار رجال الدولة حوسب وفق هذا المنهاج الصارم؟

إن مسؤولاً في إحدى الوزارات، متهم باختلاس ٥٠ مليون دولار، رُشح أن يكون سفيراً للعراق؟ !!

إن قضية الفساد المالي والإداري، وصلت إلى حد تواطؤ بعض الكبار (...)،

في تهريب عتاة المجرمين من القصور الرئاسية في البصرة - وهي محل اعتقالهم - في تهاون صريح، بأرواح الناس وأمنهم وسلامتهم، ناهيك عن الإهتزازات الكبيرة التي يتعرض لها الأمن الإجتماعي بأسره..

وقرأت خبراً يقول بأن مجموعة من الكبار (...)، صدرتْ قرارات قضاة النزاهة باعتقالهم، في قضية العملات المزورة..!!!

وهكذا تمتد يد الفساد إلى كل الجوانب الأمنية والإقتصادية والصحية والعسكرية، دون أن نشهد حتى اليوم، المنهج الصارم، الكفيل بقطع دابر هذا الفساد، وإنقاذ العراق من براثنه الرهيبة.



الصغير والخطاب المثير

نشر في جريدة الزمان بتاريخ ١٠/ ٥/ ٢٠١١

الصغير والخطاب المثير

ليست مسألة العمر، هي الفيصل في تقدّم الكبير على الصغير، وإنما يكون التفضيل بمعايير موضوعية، في طليعتها العلم، والعقل الراجح، والقدرة الفائقة على الأداء المتميز ..

إن الكبار يحلو لهم، أن يحسموا المسألة لصالحهم، لمجرد تقدمهم في السن على الأخرين، وهذه مسألة فيها نظر

ثم إن الكثير من كبار السن، يُعيقون عملياً حركة الشباب لخلافتهم عند بلوغ سن التقاعد

وليست هذه الصفة من الصفات الممدوحة يقيناً

إنّ عليهم أن يدركوا أنّ للشباب دوراً مهماً لا يجوز الحيلولة بينهم وبينه، وأنهم استوفوا نصيبهم، وبقي أن يستوفي الشباب نصيبهم أيضاً ..

وقليلاً ما تُعنى كتب التاريخ والأدب، بذكر الشواهد النابضة بترجيح كفة الصغار على الكبار، وليس ذلك مستنداً إلى مجاملة ومحاباة، بمقدار ما هو مرتبط بما درج عليه الناس من مشاهد، وحوادث، وقضايا، ومناظرات، تكون الغلبة فيها للكبار على الصغار

ومن هذه القلة، التي انتصر فيها الصغار على الكبار، لنسوق الحكاية التالية:

أصاب البادية قحط شديد، أيام هشام بن عبد الملك فدخلت عليه العرب، وهابوا أن يكلموه، وكان بينهم درواس بن حبيب، وهو صبيّ، فوقف بين يديه وقال:

(إن للكلام نشراً وطيّاً

وإنه لا يعرف ما في طيّه إلا بنشره

فان أذِن لي امير المؤمنين، أنْ أنشره نشرتهُ

فأعجب هشام بكلامه وقال:

يا أمير المؤمنين:

إنه أصابتنا سنون ثلاثة:

سنةٌ أذابت الشحم

وسنة أكلت اللحم

وسنة أدقت العظم

وفي أيديكم فضولُ مال:

فإن كانت لله ففرّقوها في عباده

وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم؟

وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فإن الله يجزي المتصدقين

فقال هشام:

ما ترك لنا الغلام في واحدة من الثلاث عذراً، فأمر للبوادي بمائة ألف دينار وله - أي للصبي - بمائة ألف درهم

ثم قال له

أما لك حاجة؟ فقال:

ما لي حاجة في خاصة نفسي، دون عامة المسلمين، فخرج من عنده وهو من أجلّ القوم)

ولنا هنا وقفتان

الأولى:

إذا كانت الخطابة هي فن الإقناع، فقد برع هذا الصبي الرجل في خطابه إلى حد بعيد، حتى اضطر هشام للقول:

«ما ترك لنا الغلام .. عُذراً»

وهذا الخطاب البليغ، دلّ على وفور عقل هذا الصغير الكبير، واستحضاره لكل مفردات التأثير الإيجابي لصالح الوفد الذي ضمّه

وتجلّت قدرته الخطابية بشكل واضح في تصوير ما فعلته سنوات الجدب فيهم، وحين تصل القضية إلى (العظم) فلا بد من حل عاجل، وإسعاف فوري، وهكذا كان ....

ثم إن التشقيق الجميل، الذي أورده في خطابه، للأموال:

فهي إما لله، وإما لعباده، وإما للحكام، وعلى التقديرات الثلاثة، فقد أقام الحجة على (هشام) ولم يدع له مجالاً للتنصل من ردهم بحال من الأحوال وهنا تكمن الروعة

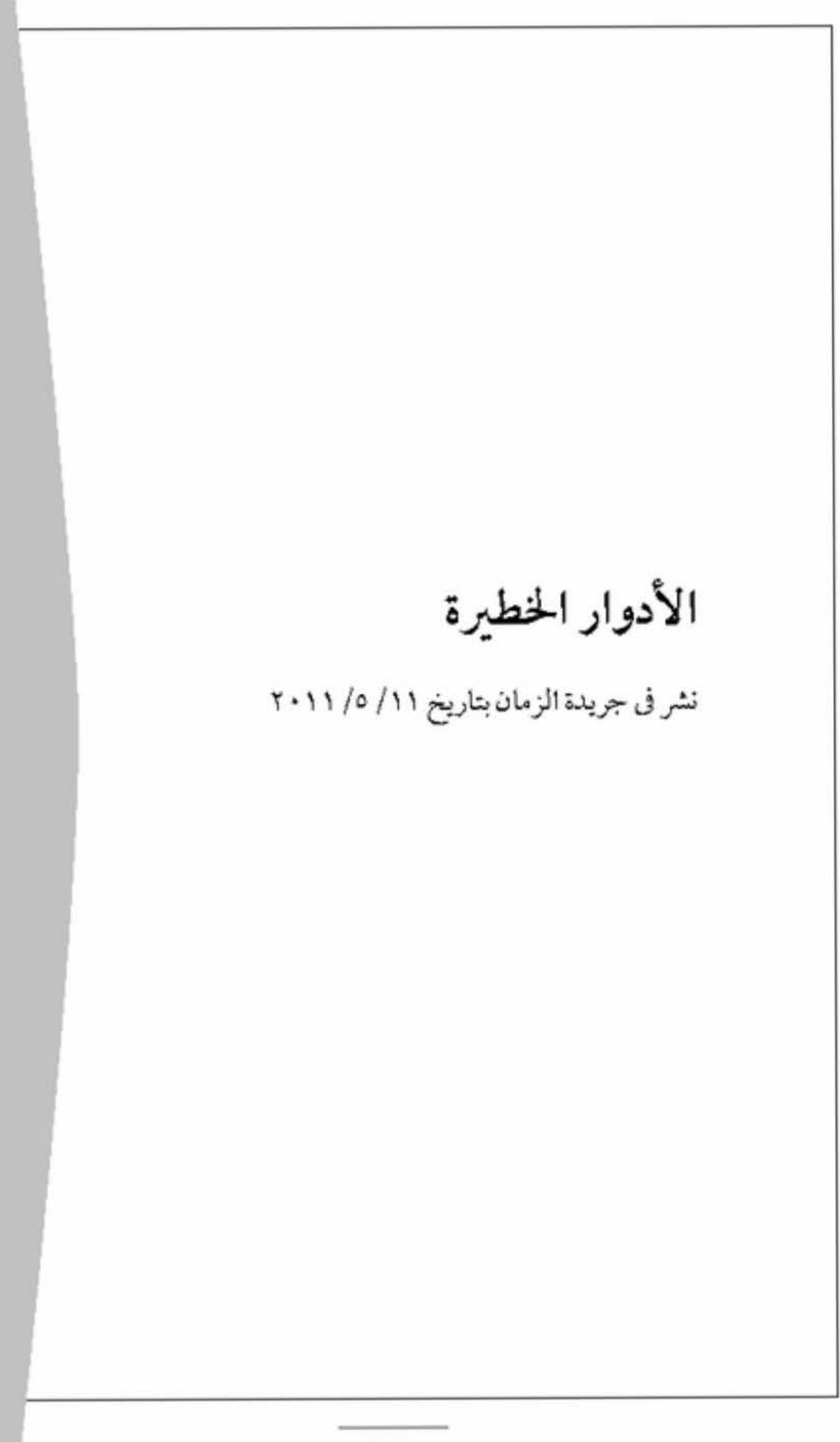
إن خطاب (درواس بن حبيب) يصلح أن يكون نموذجاً للخطاب الناجح، المستوفي لكل شرائط الخطاب الفاعل الجدير بالتقدير

الثانية:

علو النفس، ونكران الذات، والموضوعية، التي اصطبغت بها شخصية الصبي - الرجل، فلم يكن يريد حاجة لنفسه، بعيداً عن عامة المسلمين، وهكذا حطم أسوار الذات، والمصلحة الخاصة، وتجاوزها إلى آفاق إنسانية، ورسالية رحبة شملت المسلمين جميعاً

وهو هنا يقفز إلى مستوىً يؤهله إلى أن يكون القدوة، والمثال الذي يُحتذى

وحريّ بالسياسيين المحترفين، المتصارعين فيما بينهم على مصالحهم، بعيداً عن هموم الناس وآلامهم، أن يفتحوا قلوبهم وأسماعهم لهذا الخطاب البليغ وأن يتدارسوه ويعيشوا أجواءه ومضامينه، فلقد بزهم هذا الصبي بروحه الخيّرة، ومواقفه الأصيلة المؤثرة



الأدوار الخطيرة

نشر في جريدة الزمان بتاريخ ١١/ ٥/ ٢٠١١

الأدوار الخطيرة

يلعب بعض الأشخاص أدواراً خطيرة، عبر رحلاتهم الطويلة في دروب الحياة، وتضاريسها ومنعرجاتها، وعبر صلاتهم الوثيقة برجال الحكم، ويؤدون مهمات كبرى من خلال صدقهم في تقديم الخلاصات الوافية من تجاربهم

وفي طليعة أولئك النفر، المستشارون، الذين هم موضع الثقة والإعتماد، وربما محل الإطلاع على الخفي من الأمور ..

وهؤلاء ليسوا على منهج واحد، وطريقة واحدة:

فمنهم الصادق المخلص النصوح، ومنهم من يوثر رضاً المُستَشِير إبقاءً على مصالحه ومنافعه فهو الخائن الكذوب

والفريق الثاني هو الأكثر، على امتداد الزمان والمكان

وإذا كان التاريخ مرآة الحياة، فإن في صفحاته، العبر والعظات النافعة، التي لا يُستغنى عنها بحال

ومن بليغ ما قرأتُ في موضوع الإستشارة، قصة كان طرفاها عبد الملك بن مروان ومستشاره الذي لم نعثر على اسمه ولا ندري هل غُيّب لصدقه وإخلاصه أم لكثرة أعدائه وحسّاده؟ !-

إن عبد الملك بن مروان كان قد كتب لعمرو بن سعيد أماناً أشهد عليه شهوداً،

ولكنه لم يفِ بعهده، وقتل عمرو بن سعيد في قضية معروفة في التاريخ والمهم أن عبد الملك سأل مستشاره قائلاً:

«ما رأيك في الذي كان مني»

إن عبد الملك بن مروان هو طاغية بني مروان، ولم تكن تعجبه الجرأة على مجابهته بالحقيقة يقيناً، لأنها تظهر جوهره، وتجاوزه الخطوط الحمراء في شؤون الدين والدنيا

وبإمكانك أن تتصور الطاغية المقبور يسأل أحد رفاقه عن رأيه في غزو الكويت، ماذا سيكون الجواب؟

فإن كان بالإستحسان فلربما قلّده الأنواط والأوسمة، وإن كان بالشجب والإستنكار أطفئ منه شعلة الحياة، وأرسله إلى ظلمات رمسه

إلا أن مستشار عبد الملك - البطل المجهول - كان له موقف اخر يقطر شجاعة وصدقاً

إنه حاول ابتداءً أن يصرف عبد الملك عن سؤاله

حيث قال له:

(أمرٌ قد فات ...)

ولكّن عبد الملك بادرة قائلاً:

(لتقولنّ)

فما كان منه، إلاّ أن صارحه بمّر الحق، بعيداً عن كل المجاملات الرخيصة،

وما يمكن اختراعه من مبررات فقال:

((حَزْمٌ لو قَتَلْتَه وحييت))

قال عبد الملك:

(أولستُ بحيّ)؟

فقال المستشار:

(ليس بحّي مَنْ أوقف نفسه موقفاً لا يُوثَقَ له بعهد ولا بعقد) وهي كلمة بليغة للغاية، فقد أخبره أنّه لم يقتل خصمه وحده، وانما قتل نفسه أيضاً، فما قيمة الإنسان إذا كانت الثقة به منزوعة من قبل الناس؟ !

إن عبد الملك علق على رأي المستشار بالقول:

(كلامٌ لو سبق سماعهُ فِعلي لأمسكت)

وهو مجرد تعبير بارد، لا يُراد منه إلاّ تزكية النفس بالباطل، وإلاّ فلماذا لم يسأل عبد الملك مستشاره قبل الشروع بقتل من كتب له الأمان وأشهد الشهود؟ !!

إن الجرأة في إزهاق الأرواح، لا تبقى عند الطواغيت موضعا للرشد، والإنضباط بالحدود الشرعية والأخلاقية

وما أكثر المستشارين اليوم في العراق الجديد

ولكن ما أقلّ الصادقين منهم، وما أقلّ أصحاب العقول الراجحة والتجارب

الغنيّة والرؤى الصائبة

إن منصب المستشار لم يعد مشروطاً بتلك الشروط الموضوعية، وإنما أصبح

مرتبطاً بالصلات الشخصية، والعائلية، وربما الحزبية والمذهبية والقومية

ومن هنا كثر المحتجون؟

وقل المقتنعون ...!!

ليس المهم أن نخصص للمستشار من راتباً، ومكتباً، ومخصصات، .. فهذه عملية قشرية، المهم أن يستفيد المسؤولون في الدولة من أصحاب الخبرة والدراية والتجربة والقدرة على تقديم الحلول، ولو بأن يسعى المسئولون إليهم، وطرق أبوابهم ليحصدوا منهم ثمار عقولهم وتجاربهم

إننا على يقين أن العراق غني برجاله وعلمائه وخبرائه، ولكن المحاصصات التي ما أنزل الله بها من سلطان في جانب، واستكبار من أخذته العزة بالإثم من جانب أخر، حرما البلد من بركات هذا النهر الكبير المتدفق بالعطاء



كيف نتعامل مع الموهوبين

نشر فى جريدة الزمان بتاريخ ١٢/ ٥/ ٢٠١١

كيف نتعامل مع الموهوبين؟

قال السيد جعفر الحلي (١٢٧٧هجرية - ١٣١٥هجرية):

مَـلَـكَـتْ فـكـرتي بـكـار المـعـاني ... وإلى الآن مـا مـلـكـتُ كـتـابـاً

استطاع الشاعر الكبير السيد جعفر الحلي، أن يختصر الحديث عن معاناته الكبيرة، ببيت واحد من الشعر، عبّر به عن الضيق الشديد الذي كان يحاصره، ولا يجد معه السبيل إلى شراء كتاب واحد !!

هذا وهو الشاعر المحلّق العملاق الذي ذاع صيتهُ وانتشر شعره في الأفاق

وأنه، من خلال هذه المعاناة، استطاع أن يوقفنا على مجمل الحالة الصعبة التي كان يعيشها طلاب وأساتذة الحوزة العلمية في النجف الأشرف

لقد كانوا يصارعون الأزمات الخانقة، بجلد عجيب، وصبر نادر، وعزم لا يلين، لا يعبأون بالمصاعب والمشاق، يدفعهم عشقهم للعلم أن يتحملوا من أجله الأهوال

وهكذا خرجّت جامعة النجف الأشرف أفواجاً من العلماء الأفذاذ، وغطّت بالمبلغين المخلصين كل الشواغر في شرق الأرض وغربها

كان السيد جعفر الحلي، شاعراً مطبوعاً، سريع البديهية، وقد ضاع كثير من شعره الذي كان يرسله على السجية ودون كبير توقف

وقد طبع ديوانه (سحر بابل وسجع البلابل) بعد وفاته، ولقد كان (عالماً) قبل أن يكون (شاعراً)

اسمعه يقول:

ولـسـتُ بـشـاعـر بالشعر فخري ... ولـكـنْ لـيـس لي عـنـه محـيـصُ
وبـحـرُ الـعـلـم يشهد أنّ فكري ... عـلى اسـتـخـراج لـؤلـؤه يـغـوصُ

وهو ظريف لطيف، صاحب دعابات ومزاح

كان يسكن محلة (الحويش) في النجف الأشرف، وكان يسكنها أيضاً جملة من العلماء، منهم الشيخ عباس خميس والشيخ علي رفيش، فقال مازحاً:

إنّ عيشي بالحويش ضيّقٌ أقبحُ عيشْ
بَينَ (عباس خميس) و(علي بن رفيش)

وحين عاتبه السيد محمد سعيد الحبوبي حيث لم يذكره - رغم أنه من سكنة محلة الحويش - قال فوراً:

لكنْ المولى (سعيدٌ) لم يَزلْ كهفَ قُريشْ

ومن الواضح أن السيد جعفر الحلي قد أضاف البيت الثالث حين عوتب، مما يدل على توقد ذهنه، وسرعة البديهة عنده

وأراد أحدهم أن يمزح معه - لكن بمزاح ثقيل - فخاطبه قائلاً:

من العذارات ساداتُ العِذارِ

(والسيد جعفر الحلي عذاري من الحلة) فباغَتَهُ السيد الحلي، قبل أن يكمل البيت بالقول:

أتسمعُ ما يقولُ ابنُ الحمارِ !!

فذهبتْ مثلاً

ومن طرائفه أنه مازح أستاذه الشيخ الفاضل الشربياني فقال:

للشربياني أصحابٌ وتلمذة تجمعّوا فِرَقاً من ها هنا وهنا
ما فيهم مَنْ له بالعلم معرفةٌ يكفيك أفضل كلِ الحاضرين أنا

فلم يسلم من النقد أحد، حتى نفسه.

وحين يتزوج أحد أصدقائه، يتخلف السيد جعفر عن زيارته وتهنئته بقرانه فيكتب له صديقه معاتباً:

شروط الحب نحن بها وفينا وأنتم ما وفيتم بالشروطِ
صددتَ فلم تُبارك لي بعرسٍ لخوفك سوء عاقبه النقوط

ولعل التخلف عن التهنئة، وتقديم الهدية، كان عن قلة ذات اليد، ولم يكن عن توانٍ أو إعراض، وعلى كل حال فقد أجاب السيد جعفر قائلاً:

ألا قـل لـلـذي قـد قـال فينا ... بـأنـا مـا وفـيـنـا بـالـشروطِ
ولم يُعـهـد لـنـا ذنـبٌ إليه ... سـوى تـأخـير إرسـال الـنقـوط
نـقـوط الـطـفـل إرسـال الهـدايـا ... لـه والـشـيـخ إرسـال الحـنـوط
ألا فـاقـنـط فـما لـك يـا ابـن ودي ... نـقـوطٌ عـنـدنـا غـير الـقـنـوط

وهكذا أحل القنوط محل النقوط، وأنهى المسألة بإغلاق هذا الباب، لكنْ بلغة مفعمه بالأدب والحفاظ على الود

ولقد شاع على الألسنه ما قاله في السيد محمد الطباطبائي والسيد محمد القزويني:

شـتـان بـين محـمـد ومحـمـد ... ذا طـبـطـبـائـيٌّ وذا قـزويـنـي
أنـا أعـرف الـرجـل المـهـذب منها ... بـالله لا تـسـأل عـن الـتـعـيـينِ

هذا العالم الشاعر، المملوء رقةً وظرفاً وطيبة، يخترمُه الموت وهو لم يكمل عقده الرابع، مات عن ٣٨ سنه، تجرعَ فيها من العيش غصصاً كبرى، وعانى فيها ألواناً من الضيق والشدّة والحرمان

والسؤال الآن:

لماذا تكلّست المشاعر، وطبع الشحُ بصماته القاسية على صفحات حياة هذا الشاعر العالم المبدع؟

ألم يكن جديراً أن يكون موضع العناية والرعاية من قبل عارفي فضله ممن لم يكونوا عاجزين عن تحسين أوضاعه؟

وقديما كان يقال: أدركته حرفةُ الأدب

إنها حرفة متعبة، وربما كانت قاتله !

إننا نتحدث عن شاعر يفصلنا عن يوم وفاته أكثر من قرنٍ من الزمان، ولكنْ ماذا عن الشعراء المبدعين المعاصرين؟

هل تم التعاطي معهم وفق منهج، يحتضنهم، ويفي بإكرامهم وتجنيبهم مرارة العيش وصعوباته؟

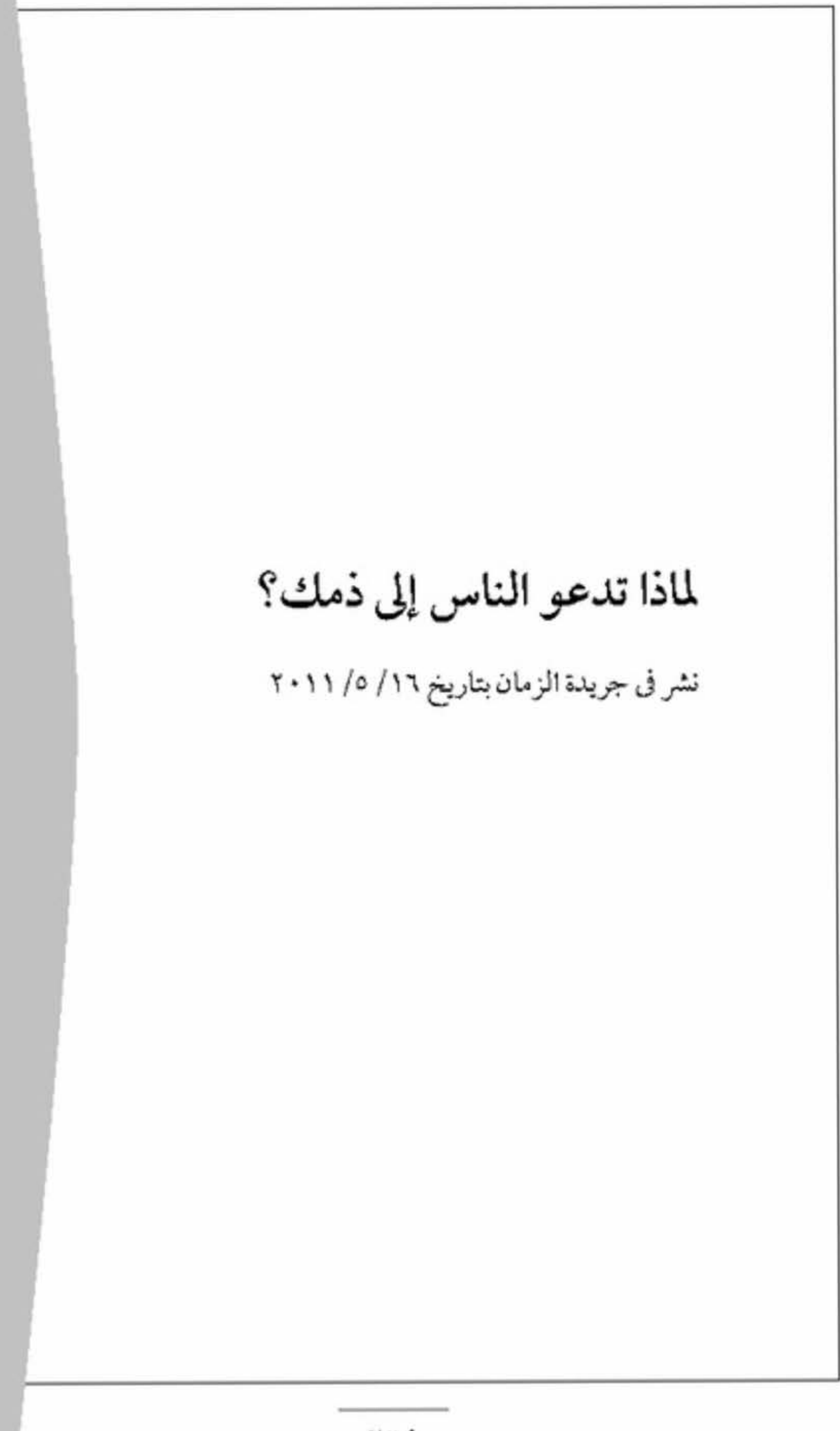
إننا لا نولي النوابغ منّا في حياتهم ما يستحقونه من عناية ورعاية، ولكننا نكثر البكاء عليهم حينما يموتون

وكما قال الشاعر:

تـرى الـفـتـى ينكر فـضـل الفتى ... مـا دام حَـيـاً فـإذا مـا ذَهَـبْ

لـجّ بـه الحـرصُ عـلى نُـكـتـةٍ ... يـكـتـبُـهـا عـنـه بـماء الـذَهَـبْ

إن مسؤولية العناية بالموهوبين، لا تقتصر على الحكومة وحدها، وإنما هي مسؤولية المجتمع بكل جمعياته، ومؤسساته، ووجوهه، ومثل هذا الإهتمام هو المؤشر الحقيقي لرقيه الحضاري



لماذا تدعو الناس إلى ذمك؟

نشر في جريدة الزمان بتاريخ ١٦/ ٥/ ٢٠١١

لماذا تدعو الناس إلى ذَمّك؟

قال الشاعر:

ومـــن دعـــا الـــنـــاس إلى ذَمِّـــهِ ذمّـــــوه بـــالحـــقِ وبـــالـــبـــاطِـــلِ
مـــقـــالـــةُ الـــســـوءِ إلى أهـــلـــهـــا أسرعُ مـــن مُـــنْـــحـــدرٍ ســـائـــلِ

السؤال - اللغز:

كيف يدعو الإنسان الناس إلى ذمّه؟

إن الانسان بالفطرة، حريصٌ على أن يكون موضعَ التقدير والتكريم والثناء بعيداً عن كلّ ما يخدش شخصيته أو يوهنها، فهل ثمة استثناءات مُعيّنه من هذه الحالة العامة، بحيث يصبح الإنسان وكأنه هو الداعي لذمّه والإنتقاص منه .!!!

والجواب:

ليس مبرراً عند العقلاء جميعاً، أيُّ فعلٍ شائنٍ، يُقدم عليه المرء باختياره، ليكون سبباً لذمّه، واستعراض القبيح من صفاته وأعماله

إنك حين تتحدى الناس، وتتجاوز الخطوط الحمراء، وتستسيغ مقارفة الممنوعات، وتهشيم كل ما يعصم الشخصية الإنسانية، من التدحرج إلى الهاوية، إنما تجني على نفسك، وتوردها مورد الهلكة، وتدفع بها إلى القاع..

فالولد العاق لأبويه، لا يلومَنَّ إلاّ نفسه، إذا كثر الساخطون عليه، ولم يكفّوا عن ذمّه وإمطاره بوابلٍ من الكلمات الساخنة، التي تعبّر عن سخط الناس وغضبهم عليه، لا لإساءة منه إليهم، ولكنّ لإساءة منه إلى أبيه أو أمه أو إليهما

إن هذا التردي الأخلاقي هو المنشأ في عاصفة النقد التي هبّت عليه

إذن:

فبالإمكان القول أنّ هذا العاق هو الذي فتح النار على نفسه

وهو الذي فتح البوابات على مصاريعها لتنفذ من خلالها أكوام من الحجارة، ترمى عليه وربما تُدميه أو تُرديه.!

هو الذي سبّب اندلاع هذه القذائف، ومهّد الطريق لكلّ ناقم ومخالف وموازين الناس، ليست بالضرورة، تقف عند الحدود الدقيقة المتناسبة مع السلبيات المجترحه، دون زيادة أو مبالغة

إنهم قد يذمّون بالحق

وإنهم قد يذمّون بالباطل أيضاً

ولكنهم في الحالتين، لا ينطلقون من فراغ، وانما تحرّكهم مواقف داكنة، وأعمال شائنه وتصرفات نابيه، وأقوال بعيدة عن التهذيب، فيبدأون مشوار الذمّ الذي قد يمتد بهم طويلاً ودون انقطاع ...

وكل هذه الحلقات المتواصلة من النكد، يمكن استبعادها، وطردُها كليّا، بالإستقامة ولزوم الإعتدال ومراعاة القيم، والأعراف والآداب، والتمسك بأهداب الأخلاق والفضيلة والسموّ الإنساني

والآن:

من هي أكثر الشرائح تعرضاً لذم الناس ونقدهم الموجع؟

إنهم السياسيون المحترفون

إن المواطنين العراقيين لا يُطيقون مثلاً، أن يسمعوا، بأنّ المسؤول الأمني الكبير هو الضالع في تهريب عتاة المجرمين من السجن، وبالتالي فهم لن يدخروا وسعاً لا في ذم صنيعه فقط، وإنما يوسعّون دائرة الذم لتشتمل مَنْ اختاره، ومن سكت عن جريمته، ومن عتّم على أخباره، وهل ينتظر منهم

- وهم المستاءون الغاضبون - غير هذا؟

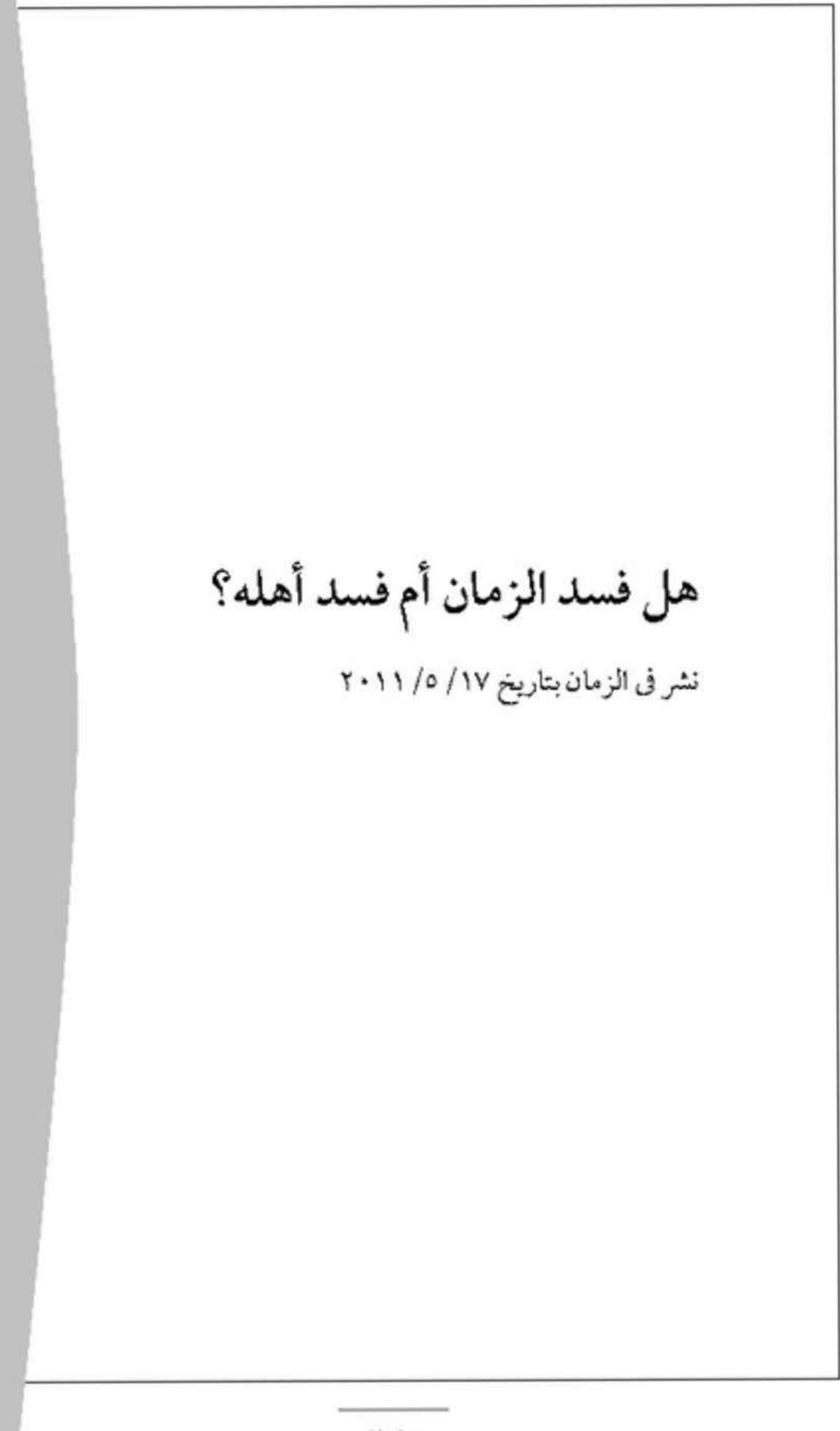
وحين تُثبت التحقيقات، أنّ هناك عناصر معيّنه، قد اخترقتْ أجهزة مكافحة الإرهاب فسبّبت الكارثة، لا يملك المواطنون إلاّ توجيه الإدانة والإستنكار الشديدْين، لهذه المفارقة المحزنة، التي ملأت القلوب ألماً وفجيعة .

وإذا كان المسؤولون عن مكافحة الإرهاب لا يستطيعون حماية أنفسهم فكيف يحمون غيرهم من المواطنين ..؟

وأيًا كان المتهاون في الشأن العام، وأيا كانت درجة قرابته من أكبر المسؤولين، لابُدّ من المسارعة إلى محاسبته، وأحالته إلى القضاء، لينال جزاءه العادل، وليكون عبرة للآخرين

ولابُدَّ من اطلاع الشعب على كل ما يتصل بهذه الملفات الخطيرة من أسرار ليقف بنفسه على الحقائق

إن بقاء الأمور غامضة عائمة، يشكل عاملاً سلبياً كبيراً في الأمن الإجتماعي.



هل فسد الزمان أم فسد أهله؟

نشر في الزمان بتاريخ ١٧/ ٥/ ٢٠١١

هل فسد الزمان أم فسد أهله

وفد أبو ميّاس الشاعر على جماعة من أصحابه فسألهم قائلاً:

ما أنتم فيه وما تتذاكرون؟

فأجابوا:

نذكر الزمان وفساده

قال:

كلا، إنما الزمان وعاء، وما أُلقي فيه من خير أو شر، كان على حاله

ثم أنشأ يقول:

أرى حُـلَـلاً تُـصـان عـلى أُنـاس ... وأخـلاقـاً تُـداس فـما تُـصـانُ
يـقـولـون الـزمـانُ بـه فـسـادٌ ... وَهُـمْ فـسـدوا ومـا فسد الـزمـانُ

وصدق الشاعر، فالزمان وعاء، مستوعب، ما يقع فيه من أحداث، مهما كانت طبيعتها، ولا دخل للزمان فيها، أو في صانعيها

الوعاء يمكن أن تضع فيه العسل، كما يمكن أن تضع فيه السم

ولا دخل للوعاء في هُوية الواضع، فقد يكون في غاية الطهر والنقاء كما يمكن أن يكون في غاية الخبث والدهاء

هذه هي الحقيقة

إلا أنّ الكثير من المتحذلقين، الذين يريدون طرد الشبهات عنهم، وإبعاد أنفسهم عن المسؤولية، يتحدثون عن الزمان (الرديء)، وعن الزمان (الفاسد)، ويحمّلون الزمان نفسه تبعه الإنهيارات والإنحدارات الإجتماعية والسياسية والإقتصادية والثقافية

إنّ هذه النزعة، نزعة إلقاء التبعات والمسؤولية على الآخرين، ملحوظة في العديد من المواطن، على المستويين الرسمّي والشعبي، بينما لا تصمد هذه الإدعاءات، أمام التمحيص والتأمل الدقيق على الإطلاق

مَنْ الذي تهالك على المناصب والإمتيازات، هل هو الزمان أم بعض أبنائه العاشقين لذواتهم ومصالحهم؟

ومَن الذي استنزف ثروات الوطن، ومارس عمليات السطو والنهب والإختلاس، هل هو الزمان أم بعض المتسلطين بغير وجه حق على معاقد الأمور؟

مَنْ الذي حَرَمَ خُمس العراقيين من الماء الصالح للشرب، هل هو الزمان أم أبناؤه المهملون المقصرون؟

مَنْ الذي هرّب عتاة الإرهابيين من مواقع اعتقالهم، هل هو الزمان أم بعض أبنائه المستهترين بحرمة الأنسان والأوطان؟

مَنْ الذي سبّب انتشار المزورين في مختلف أجهزة الدولة ومؤسساتها، هل هو الزمان أم أبناؤه المتمردون على الضوابط والمعايير الموضوعية؟

مَنْ هو المسؤول عن الإختراقات في الأجهزة الأمنية، هل هو الزمان أم بعض أبنائه المحرومين من نعمة الحب للأوطان؟

مَنْ هو المسؤول عن الفوارق الكبرى في الرواتب، بين كبار المسؤولين وموظفي الدولة الآخرين، هل هو الزمان أم الساعون إلى احتلاب المكاسب على حساب الشعب والوطن؟

من هو المسؤول عن تعاطي الرشوة في الدوائر الرسمية، هل هو الزمان أم الناشطون في أكل السحت؟

من هو المتلذذ بنهب المال العام، عبر كل الوسائل المتاحة، هل هو الزمان أم أولئك اللصوص المحترفون؟

من هو المسؤول عن تعذيب المعتقلين الأبرياء، هل هو الزمان أم أولئك المتمرسون في الإيذاء والجريمة؟

وتطول سلسلة التساؤلات إذا ما أردنا الإسترسال

إن كل ما جرى، يمكن وراءه سبب واحد:

لقد دسيت الأخلاق، ولم تتم صيانتُها، فشاعت (الرذائل) وضمرت (الفضائل)، فانتهينا إلى هذا الوضع البائس .....

وهكذا تتضح معالم طريق الخلاص من المحنه

إنّه لن يكون، إلاّ حين تزدهر الأخلاق، ويشيع الإخلاص، والصدق، والمحبه، والعدل، والوطنية، محل الغش، والأكاذيب، والرواسب والمحاصصات، والإستقواء بالخارج ......



كيف نتعامل مع أصحاب الدنيا

نشر في جريدة الزمان بتاريخ ١٩/ ٥/ ٢٠١١

كيف نتعامل مع أصحاب الدنيا؟

قال الشاعر:

ما الناس إلاّ مع الدنيا وصاحبها ... فحيثما انقلبت يوماً به انقلبوا
يعظّمون أخا الدنيا فإنْ وثبتْ ... يوماً عليه بما لا يشتهي وثبوا

الراصد لأوضاع المجتمعات البشرية، عبر امتداداتها الزمنية والجغرافية، لا يستطيع أن يغمض عينيه عن ظاهرة الإحتفاء والعناية بمن تُقبل عليهم الدنيا من خلال احتلال «المناصب» الكبرى أو امتلاك الثروات المالية الملحوظة ...

فالسلطة والثروة، هما أهم العناصر الدنيوية، التي تدعو الناس للتعامل مع أصحابها، على نحو متميّز

ويسدل الستار عادةً على كلّ الملفّات والخلفيات التي تحيط بأصحاب الدنيا، وتصبح نسياً منسياً ..!!!

وإذا كانت البلدان المتقدمة حضارياً، لا تتيح تبوء المناصب العليا، لغير الأكفاء، والخبراء المؤهلين، فإنّ بلداننا ليست كذلك

ومن هنا استطاع الكثيرون ممن لا يحملون المؤهلات الحقيقية لتسنم المناصب العليا من الوصول إليها، عبر الشهادات المزورة حينا، وعبر المحاصصات حيناً اخر، وعبر «التوريق» في أحايين أخرى

و (التوريق) يعني باختصار: دفع المبالغ المالية اللازمة لتمرير ما يريدون على حساب الموازين والمعايير الموضوعية !!

ولو أنّ الناس نظروا إلى هؤلاء المتلاعبين بالصالح العام، والشرائط الأساسية المطلوبة في تبوء المناصب العليا، نظرة سليمة وتعاملوا معهم بطريقة تُشعرهم بالإحتجاج الشديد على انتهاكاتهم للموازين، وتمردهم على القيم والضوابط، لما استمر تهالك هؤلاء على تبوء تلك المواقع المهمة إن الشعور (بالدونية) يدعوهم إلى البحث عن الغطاء والساتر لتلك الحالة، ولا غطاء أكبر من الاستحواذ على المناصب المهمة، للعبور إلى ضفة الجاه المطلوب، والحظوة المبتغاة

إنّ الجانب السلطوي له بريقُه الخاص، وامتيازاتُه الكثيرة، الضارّة النافعة، وهذه الأمور بالذات، هي التي تعمي أبصار وبصائر أشباه الرجال، من المنبطحين أمام البراقع الخادعة، والمواقع الزائفة

إن من الخيانة للوطن والشعب، أن يتم التعامل مع المزورين والفاسدين، كما يُتعامل مع أصحاب الكفاءة والنزاهة والإخلاص والوطنية ..

كيف يستوي الطرفان في التعامل؟

وأين الظلمة من النور؟

وأين العلم من الجهل؟

وأين الصدق من الزيف؟

إنّ هناك مسؤوليةً وطنية تدفع كل الوطنيين الشرفاء إلى إعلان موقفهم الصريح من كل محاولات الإلتفاف الزائف على الضوابط والقوانين، وكل أولئك الذين ركبوا موجات التزييف والتضييع لقيم العدالة، والمصالح العراقية العليا

إن هؤلاء هم السبب في تدني مستوى الخدمات، وشيوع الفساد، والبطالة، والثغرات الكبيرة في جدار الأمن والإستقرار الإجتماعي، وهم الذين أوصلوا البلد إلى حالات متأزمة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً وصحياً وأخلاقياً

وأما أصحاب المال والثورة، فهم يملكون المفاتيح السحرية التي تمكنهم من الولوج إلى ما يريدون الوصول إليه، بما في ذلك المناصب الوزارية والمقاعد النيابية ..

وعن الأموال قال الشاعر:

فهي اللسان لمن أراد فصاحةً ... وهي السنانُ لمن أراد نزالاً

وقال الأخر:

أرى كل ذي مالٍ يُبرُّ لمالِهِ ... وإنْ كان لا أصلٌ هناك ولا فَضْلُ

وقال أخر:

أجلّك قـومٌ حين صرتَ إلى الغنى   وكــلُّ غـنـيٍّ في الـعـيـون جليلُ
ولـو كنتَ ذا فَقْر ولم تُـؤتَ ثـروةً   ذللتَ لديهم والفقــــــير ذليلُ

وقال أخر:

وكنتُ إذا خاصمتُ خصماً كببتُه   على الوجه حتى خاصمتني الدراهمُ
فلما تنازعنا الخصومة غُلّبتُ   عليّ وقالـــــــوا قمْ فأنك ظالمُ

والمشكلة في العراق اليوم أن هناك الملايين من أبنائه وهم تحت خط الفقر، وقد يضطرهم هذا الوضع البائس إلى مصانعة هذا أو ذاك من أصحاب الثروة

ولو من باب الإضطرار ..!!!

وأعجب العجائب أنّ بلد النفط والثروات المعدنية، يضم الملايين من أبنائه الجياع دون أن يكون لهم نصيب من ثروات وطنهم !!

وأعجب من ذلك أنَّ ثروات العراق، ما زالت تنهب، لتتهدل كروشُ المفسدين على حساب البائسين والمحرومين دون رادع أو عقاب صارم .!!



المكرهون قديماً وحديثاً

نشر في جريدة الزمان بتاريخ ٢١/ ٥/ ٢٠١١

المكروهون قديماً وحديثاً

قال الطائي متبرماً:

يا مَنْ تبرمت الدنيا بطلعته	كما تبرّمتِ الأجفانُ بالرَمَدِ
يمشي على الأرض مختالا فأحسَبُه	لبُغْض طلعتهِ يمشي على كبدي
لو أنّ في الأرض جزءً من سماجته	لمْ يقدم الموتُ إشفاقاً على أحد

كما أنّ في الناس، من تهفو القلوب إليه، وتتطلع العيون لرؤيته، وتشتاق النفوس لِعَذْب حديثه وحلاوة مجالسه، وترتاح لذكر مآثره، ومحاسن أعماله

كذلك هناك من تفّر منه، فرارها من البؤس، ولا تحب أن تتطلع إلى صورته ولا تطيق الإستماع إلى كلماته، لفرط ما تحمل في أعماقها، من تبرم، وشدة ما تراكم في أصقاع النفس من مراراته وسلبياته

صورتان متقابلتان

الأولى: للرجل المنفتح على الناس، والذي لا يكف عن حبهم، وخدمتهم، والإحسان إليهم، في سيرة نابضة بمكارم الأخلاق، من تواضع ونبل، وبَذْل وصدق في التعامل، وبُعد عن ألوان الدجل، والزيف، والمواعيد الكاذبة ....

هذا المزاج الإنساني الودود، يرسل أشعته الذهبية، فتستقبله الجماهير بفيضٍ من مشاعرها النديه، وتبادله وداً بود، وتطوي ضلوعها، على حبه وتقديره

والثانية: صورة المتفخ، المتغطرس، صاحب الإدعاءات العريضة، والوعود الكاذبة، والمتهرب من إسداء المعروف، وقضاء الحاجات للناس، والذي لا تزيده الأيام إلاّ تكلّساً، وتقوقعاً على الذات وعلى العناية الفائقة بكل ما يتصل ما بها من مصالح ومكاسب وامتيازات، بعيداً عن هموم الناس وآلامهم ومشكلاتهم

ومثل هذا الأناني المقيت، يمشي على الأكباد - كما صوّره الطائي حبيب -، وتلفعه ثياب النرجسية الشوهاء، فتبعده عن كل مواضع التقدير والتكريم.

وأصحاب هذين المزاجين - مزاج الإنسانية ومزاج الأنانية - موجودان في كل عصر ومصر تلهج الألسنه بمدح الأول منهما، وقدح الثاني

وإنه لغَبْنٌ كبير أن يحشر الإنسان نفسه في زمرة المكروهين المنبوذين، الذين ليس لهم في الدنيا إلاّ مقت الناس وليس لهم في الآخرة إلاّ الحساب الشديد

ومن نافلة القول، التأكيد على أنَّ الإنسان يصنع بنفسه مواقفه، كما يخط مساراته، فهو ليس مجبوراً على شيء، وإنما مَنَحه الله حق الإختيار، ليقرر بنفسه ما يريد، وعلى ضوء قراراته يكون الحساب

والسؤال الآن:

لماذا يختار فريقٌ من الناس أن تكون براعاتُه سلبية لا إيجابية؟

ولماذا السباحة ضد التيار؟ !!!

وعلام يكون موهوباً في مضامير الإختلاس بدل أن يكون نفّاعاً للناس؟

ولماذا يوّظف طاقاته، لخدمة نفسه فقط، دون أن يصرف شيئاً منها في خدمة المجتمع، والوطن؟

ولماذا يبحث دائماً عن (الإمتيازات)، بدلاً من البحث عن سبل تقديم أفضل (الخدمات) لشعبه وأمته؟

ولماذا لا يكون - في الأقل - متوازناً في حساباته، بين المصالح العامة والخاصة؟

إن جذر هذه الأمراض كلها، هو الإستجابه للنداءات الشيطانية

هذا من جانب

ومن جانب آخر

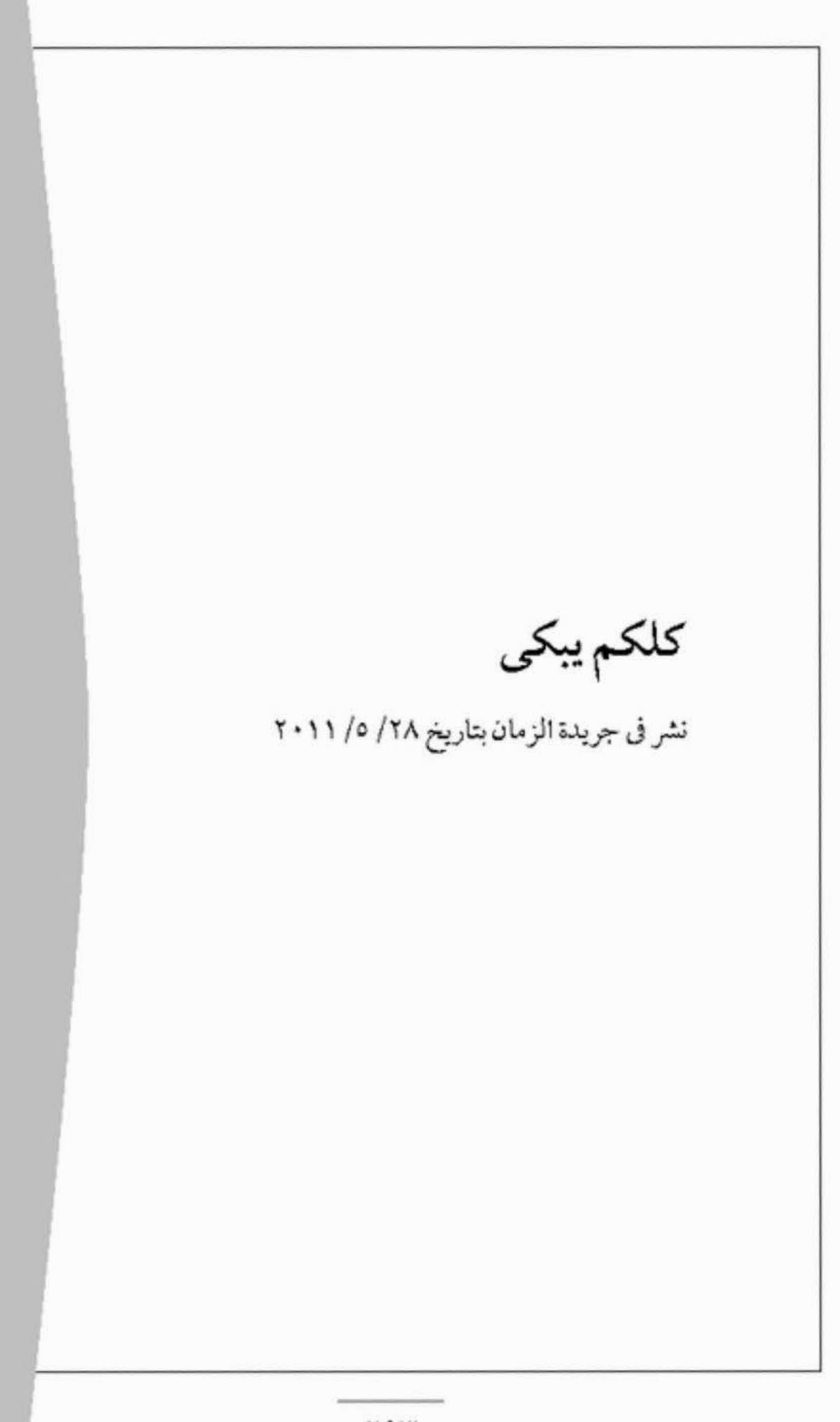
فإن ضعة النفس وانحطاطها، وراء كل تلك الإنحدارات الأخلاقية والسلوكية

واذا كانت هذه النزعة الممقوتة لا تطاق في عامة أفراد المجتمع، فإنها تُستهجن وتستنكر بشكل أكبر، في أصحاب المواقع الحساسة في الدولة لأنهم المستأمنون على مصالح الشعب

والوطن، فإذا نكصوا عن أداء المهام الموكلة إليهم أغرقوا البلد بالأزمات، والمشكلات، والكوارث.

وهذا ما ابتلي به (العراق الجديد) .!!

لسنا مع التعتيم، فثمة جنود مجهولون نزجي لهم التحية والإكبار، ولكنّ المؤسف أن ما يطفو على السطح، من أرقام ووقائع، قد أفسدت النظرة الإيجابية إلى الكثير الكثير ممن أردنا لهم المكانه العالية لكنهم تدحرجوا إلى القاع السحيق.



كلكم يبكى

نشر في جريدة الزمان بتاريخ ٢٨/ ٥/ ٢٠١١

كلكم يبكي

جاء في العقد الفريد / ج ٢ ص ٩٤

(تكلّم مالك بن دينار فأبكى أصحابه ثم افتقد مصحفه، فنظر إلى أصحابه وكلهم يبكي فقال: كلكم يبكي فمن أخذ المصحف !؟)

في هذه الحكاية، أمران ملفتان للنظر

أولهما: بكاء السُرّاق

وثانيهما: أن بعض الباكين لا يتورع عن سرقة القرآن

وما لك بن دينار - بشهادة حال الباكين - ليس ممن يُلقي الكلام على عواهنه، ويثير الإتهامات والطعون بشكل عشوائي، ولو كان كذلك، لما أثّر فيهم كلامُه

إذن: فالإتهام صحيح

وهنا تكمن الطامة

وتذكرني هذه الحكاية، بمن جاء بعد مصرع الإمام الحسين (عليه السلام)

ليسلب طفلة من أطفاله حليها، وهو يبكي، فسألته:

لماذا تبكي؟

قال:

كيف لا أبكي وأنا أسلب بنت الحسين؟ !

قالت:

إذن لا تسلبني

قال:

أخشى أن يأتي غيري ويسلبك ..!!!

والبكاء ليس دليلاً على البراءة فأخوة يوسف جاءوا أباهم عشية يبكون !!

ونحن نشهد في هذه الأيام، المثقلة بما يُفجع ويُرهق، شتى المسرحيات، التي يجهد ممثلوها في حمل الناس على الإعتقاد بنزاهتهم وبراءتهم، ولكنهم في الحقيقة، إخوان أولئك السراق الباكين

إنهم من طينة واحدة ومدرسة واحدة ....

وما (بكاؤهم) إلا ضربٌ من ضروب (الضحك) على الذقون ...

إنه الختل والخديعة والزيف ....

ولكن هيهات ...

هيهات أن ينخدع الشعب بالأباطيل، أو يكف عن المطالبة بمحاسبة المفسدين

إننا سمعنا الكثير عن (الأمراض المُعْدِية)، ولكننا لم نر، مرضاً معدياً، يرقى إلى مصاف ما تفشى مؤخراً في العراق، من أمراض النهب والإختلاس للمال العام

وإنما اعتبرناه (مرضاً معدياً) لأنه تحّول إلى وباء فتّاك، يعيش في معظم الدوائر في هذه المؤسسة أو تلك، وفي هذا الجهاز الحكومي أو ذاك، فيلوث بجراثيمه، حتى من كان ترتعد فرائصه هلعاً من ذكر الإختلاسات، فضلاً عن التفنن الشخصي في مقارفتها وممارستها

إن الموظف النزيه تنتقل إليه العدوى من زميله، المصاب بتلك الجراثيم، وفي هذا ما يفسّر شيوع هذه الجرائم على نطاق عام، مما كبّد العراق، ألوانا من الخسائر الفادحة، وأعاق عمليات التنمية والإعمار، ومما سبب الإنكفاء والتراجع على أكثر من صعيد وفي معظم المجالات ....

والغريب أن بعض أعضاء مجلس النواب يندفعون بحماسة شديدة ويلوحون بكشف ملفات معينة من الفساد المالي والإداري، الضارب بأطنابه في شتى المواقع والمراكز الحساسة في الدولة، ثم سرعان ما يتراجعون، وتهدأ العاصفة، وكأنّ شيئاً لم يكن

إن الإحساس العام، لدى عامة المواطنين العراقيين، أن لوناً من التدابير الخجولة، تكتنف مسار الملاحقة وخاصة الكبار منهم وأن المفسدين حتى الأن، لم يشعروا بخطر الملاحقة الفاعلة الجدّية العابرة للمحاصصات الفئوية والمذهبية والقومية

لقد تناقلت بعض وسائل الإعلام خبراً مفاده هروب بعض أولئك إلى الخارج، والهروب حتى الأن متاح لهم، حيث لم تحتجز جوازات سفرهم، ولم يمنعهم أحد من السفر .!!

والسؤال:

لماذا تأخرت إجراءات ملاحقتهم حتى حانت لهم فرصة الهروب؟

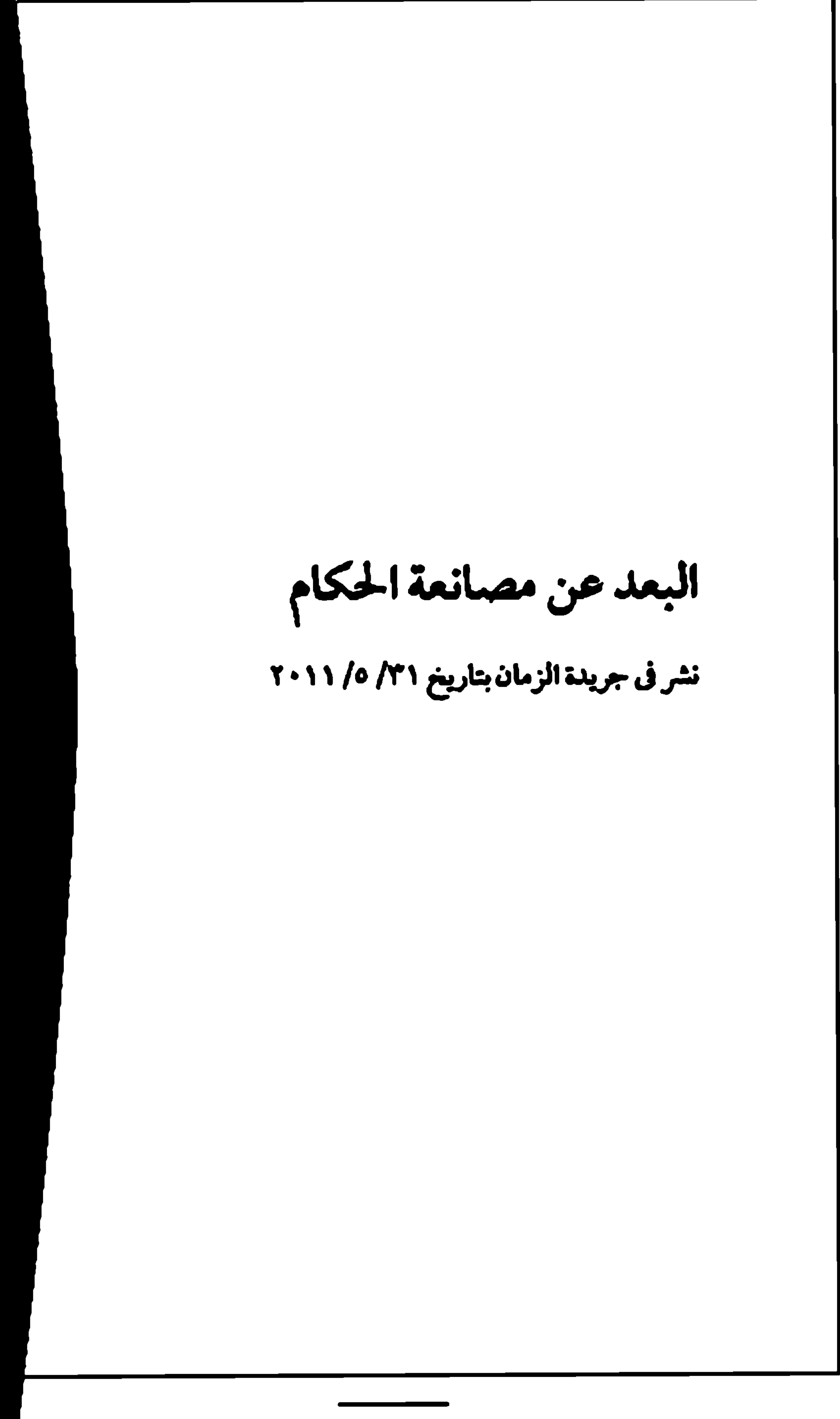
إن الجدية في الملاحقة، تعني إصدار مذكرات اعتقال لهم، عبر - الإنتربول- حتى لو غادروا الوطن، واستقروا في هذا البلد أو ذاك

ألم تُعتقل في لبنان، مَنْ هربت من العراق، بعد أن كانت قد اختلست مبالغ كبيرة من أمانة بغداد؟ !!!

وخلاصة القول:

أننا مللنا من الإستماع إلى الخطب الرنانة، من قبل هذا المسؤول أو ذاك، وهي تقطر حرصاً، على الوطن والمواطنين، كما أنها تتسم بكل معاني الشفافية والنزاهة، ولكنها بقيت مجرد أقوال، تنتظر أن تصدّقها الافعال،

والأفعال حتى الأن لا تتطابق مع الأقوال، وهذه هي المصيبة الكبرى.



البعد عن مصانعة الحكام

نشر في جريدة الزمان بتاريخ ٣١/ ٥/ ٢٠١١

البعد عن مصانعة الحكّام

في غمرة نشوةِ الحكام، بأبهة السلطة وعنفوانها وما يتاح لهم من فرص في الأمر والنهي، والتقديم، والتأخير والتخطيط والتنفيذ، والنفع والإضرار، والسلب والايجاب، تبقى عيونهم مشدودة إلى العلماء والمفكرين والمبدعين أملاً في انتزاع كلماتٍ منهم تدعم أوضاعهم وتثني عليهم، وتشيد بأدوارهم ...

والغريب أن الحكام هم الذين يوزعون الأوسمة على الناس، ولكنهم يتطلعون إلى الأوسمة التي يمنحهم إياهم العظماء والأفذاذ، لأنهم يوظفونها في مضمار الحفاظ على كراسيهم، ويعتبرونها صكوكاً، ثمينة تعزز أرصدتهم .. وتغمر صحائفهم بعطرها الفوّاح

ومحاولات الحكّام في استمالة العلماء إليهم، تكاد لا تفتر، عبر امتدادات الزمان والمكان

إنها في العمق، حلقات متواصلة من الجهد المكثف، لإسناد أوضاعهم السلطوية، وترسيخ دعائمها، وليست نابعة من مجرد الحب للعلم والفكر والإبداع .!!

يحدثنا التاريخ أن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ - ١٧٠ هجرية)

- وهو علم من أعلام الأمة، ألفّ المعجم اللغوي الأول في اللغة العربية وأسماه «كتاب العين»، كما أنه واضع علم العروض، وهو أستاذ اللغويين والنحويين فهو أستاذ سيبويه النحوي ....

قال النضر بن شميل: ما رأى الراؤون مثل الخليل

- استدعاه بعض ملوك عصره

جاء رسول السلطان، فوجده يبلّ كِسرة الخبز بالماء ويأكلها، فقال له:

أجبْ أمير المؤمنين

فقال الخليل:

ما لي إليه حاجة، فقال له مبعوث الخليفة:

إنّه يغنيك، فقال الخليل:

ما دمتُ أجد هذين، أي كسرة الخبز والماء، فإني لا أحتاج إليه

وهكذا عاد مبعوث السلطان خائباً

إنه كبرياء العلم، والترفع عن مصانعة السلطان، والزهد بكل ما يقدمون

قال تلميذه النضر بن شميل:

[أقام الخليل في خُصّ، من أخصاص البصرة، لا يقدر على فلسين، وأصحابه يكسبون بعلمه الأموال]

والخصُ: هو البيت من القصب

وقد قرأتُ لتوفيق الحكيم - الأديب المصري المعروف - موقفاً متميزاً يشكر عليه

لقد كان (عبد الناصر) يدعوه باستمرار لمقابلته ولكنه لم يكن يلبي الدعوة

لماذا؟

يقول الحكيم:

(لعلمي أن الحكام لا يقدرون الفكر، وإنما يقدرون الفكر الموالي)

وهكذا استطاع الحكيم أن ينجح في الإمتحان، حين رفض أن يكون موالياً للحكام

إن أولئك الذين يسيلُ لعابهم، ويكثر لهاثهم، ولا يدخرون وسعاً من أجل وصولهم إلى الحكام، ويزعمون أنهم من المفكرين والمبدعين، إنما يبخسون العلم والفكر حقهما، ويبخسون المواهب حقها

إن من واجب الحكام، البحث الجاد، عن رجال العراق الموهوبين، في مختلف مناحي العلم والثقافة والمعرفة والفنون والإبداع، لا من باب استمالتهم السياسية إلى صفوفهم، فذلك قصد مرفوض، وإنما من باب أستثمار طاقاتهم وكفاءاتهم في خدمة الشعب والوطن

إنه واجب وطني، وليس فضلاً ومنّة

والواقع اليوم، يزخر بالعديد من الشواهد على أن المواهب العراقية لم تُنْصف، وأن الموهوبين من العراقيين مهملون منسيون ..

حيث لم تَعُدْ الموهبة بحد ذاتها كافية لتبوء صاحبها، مكانه اللائق به ولا تفسح له المجال في الميدان العمليّ ما دامت محكومة بفرقعات المحاصصة !

وهكذا ضاعت المواهب وابتلينا، بالكثير من الأزمات والمصائب.

الأيام صحائف

نشر في الزمان بتاريخ ١/٦/٢٠١١

الأيام صحائف

قال الشاعر:

ومـا هـذه الأيــامُ إلاّ صحائفٌ   يُــؤرَّخُ فيها ثُــمَّ يُمحى ويُمحقُ

ليست أيامنا جاريةً على نَسَقٍ واحد، من الراحة والتعب، والسعادة والشقاء، والإطمئنان والقلق، والنجاح والإخفاق، والصعود والهبوط ..

إنها لاشك، متفاوته، في كل ما انطوت عليه من وقائع وأحداث وأرقام ..

وليس ذلك بالعجيب

إنه طَبْعُ الأيام، الساخنة حيناً، والموّارة بِبردِ العافية حيناً آخر، وبين هذه وتلك نقطع العمر في رحلة معلومة النهاية ...

وتشبيه الأيام بالصحائف لا يخلو من لطف، فكما أن الصحائف تشتمل على كلّ ما يكتب فيها، فكذلك الأيام تنطوي على الحلّو والمرّ، والنعماء والشقاء، والباسم والعابس ....

ثم إن هذه الصحائف التي أحصت الوقائع والحوادث، بتفاصيلها، يؤول أمرها إلى أن تُطوى، وتُطمر .!!

قل لي بربك:

أين مَنْ كان يستعبد الناس ويذيقهم ألوان العذاب، وكأنه الفارس الذي لا يقهر، والإمبراطور الذي لا يدنو الإضطراب والإهتزاز إليه؟ !

أين الطاغوت الذي حكم بالنار والحديد، وفاق الطغاة بظلمه، فلا يقاس به قديم أو جديد؟

إنه ارتضى لنفسه أن يختبأ في جحر من الجحور النتنة، ثم كان بعدها ما كان، وأصبح عبرة للمعتبرين

وهكذا حاكم (تونس)، صاحب القبضة الفولاذية والأجهزة القمعية المعروفة، يسارع إلى الهروب ويؤول نجمه إلى الأفول والغروب

ولا تنس حاكم (مصر) السابق الذي لم يسمّ نائباً له طويلة عقود من الزمن تمهيداً لتوريث المنصب لولده، ها هو اليوم، يعيش بين جدران السجن خائباً مدحوراً ....

والمصير الأسود ينتظر الباقين من الطغاة، الذين لا يريدون أن يفهموا طبيعة المرحلة ومتغيراتها

إنهم يرفضون أن يتعلموا فن الإصغاء للجماهير، بعد أن هبت رياح التغيير وبكل قوة لترسم الخرائط الجديدة، وتطرح المعادلات العتيده التي تُثبتُ حق الجماهير، في الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية، والمشاركة الحقيقية في صنع القرار السياسي، بعيداً عن محاولات الإلتفاف على الإرادة الشعبية وبعيداً عن كل مؤامرات التزييف للأفق السياسي والاجتماعي المنشود

والسؤال الكبير الأن:

ما الذي يُمحى ويُمحق؟

هل يمحق التاريخ؟

أم يُمحى ويُمحق صاحبُ تلك الصحائف؟

إن التاريخ لا يُمحى ولا يُمحق على الإطلاق

صحيح أنه يُزوّر، ويُتلاعب بكثير من مفرداته، ولكنه لا يُمحق

إننا نقرأ عن أمم وحضارات، سادتْ ثم بادتْ، دون أن تمحق تلك الصحائف والأثار ناهيك عن العصور الأخرى المتالية

وبقاء التاريخ عامل ضاغط، باتجاه ردع الحكّام عن اجتراح ما يمكن أن يعرضهم للعنات الأجيال كلها كما أنه من جانب اخر، عامل محفّز لكل المبادرات الطيّبة التي تستتبع الثناء العاطر، والذكر الجميل لأصحابها

إذن لسنا مع الشاعر إنْ كان يؤمن بمحق التاريخ

أما إذا كان المراد من المحق، انطفاء شعلة الحياة في مَنْ يُدوّنُ التاريخ أخبارهم وأعمالهم، فهو شيء أخر، حيث أننا جميعاً راحلون، ولكننا لا نعلم على وجه التحديد متى يحين الموعد؟

على أن الموت ليس محقاً وانتهاءً، وإنما هو رحلة إلى العالم الأخر، المختلف كلياً عن عالمنا المشهود

والقبر كما ورد:

إما روضة من رياض الجنان

أو حفرة من حفر النيران

يسألون ويغضبون

نشر في الزمان بتاريخ ٢/٦/ ٢٠١١

يسألون ويَغْضبون .!!

جاء في معجم الأدباء / ج ٢٠ / ص ٤٢ في ترجمة يحيى بن يَعْمرُ - التابعي البصري، العالم بالقراءة والحديث والفقه والعربية المتوفي سنة ١٢٩ هجرية -

« أن الحجاج قال له:

أَتجدُني أَلحنُ؟ فقال:

الأمير أفصح من ذلك

حاول ابن يعمر التهرب من الجواب، والتهرب من الكذب أيضاً

فقال الحجاج:

عزمتُ عليك، أتجدني أَلْحنُ؟

فقال يحيى:

نعم

فقال الحجاج له:

في أيّ شيء؟ ، فقال:

في كتاب الله تعالى

فقال الحجاج:

ذلك أسوأ، ففي أيّ حرف من كتاب الله؟

قال ابن يعمر:

(قرأتَ: قلْ إنْ كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادَها، ومساكنُ ترضوْنَها (أحبُّ) إليكم

فرفعْتَ أَحبَّ، وهو منصوب

فغضب الحجّاج وقال:

لا تساكني ببلدٍ أنا فيه

ونفاه إلى خراسان .!!

إن السلطة تدفعُ في كثير من الأحيان أصحابها إلى أوضاعٍ غريبة من التضخم، وتجعلهم لا يُطيقون الإستماع إلى الحقائق، متى ما كانت تصطدم بهم

وهكذا عزَّ على الحجاج الطاغيه ان يجابهه [ابن يعمر] بإحدى سماته السلبية، وهي الخطأ في قراءة القرآن

إن الحجاج لو كان يُحسن قراءة القرآن ولا يخطأ فيها، فالقرآن يلعنُه، حيث ورد في الحديث ما مؤداه:

«كم من قارئ للقرآن، والقرآنُ يلعنُه»

لأن القراءة لا تعني شيئاً مع تضييع أحكام القرآن وحدوده، كما ضيعها الحجّاج وتجاوز في ذلك كل الحدود

إلاّ أنَّ الملفت للنظر هنا: هو إصرار الحجّاج على يحيى بن يعمر أن يخبره بالحقيقة، حيث لم يكن يحيى راغباً بذلك، ومع ذلك كله، يعتريه التأثر، ويعاقب المجيب الصادق - ابن يعمر - بنفيه إلى خراسان، وهي عقوبة قاسية على صدقه وجهره بالحقيقة ليس إلاّ

هذا هو الطغيان في بعض مظاهره المقيته

والملاحظ أنَّ الحكاّم عموماً، لا يقبلون النقد، ولا يرتاحون إلى ذِكْر ما يشعرهم بأيّ لونٍ من ألوان الإنتقاص، فكأنهم الكاملون، البالغون الذروة في الأعمال والأقوال .!!

وفي ذلك، ما يبعدهم عن التكامل الإنساني والإجتماعي والأخلاقي

وهي جناية منهم على أنفسهم، قبل أن تكون جناية على الآخرين

والملاحظ أيضاً سريان هذه الروح، روح التململ والتأثر من ذكر الحقائق، إلى حواشيهم وبطانتهم وأنصارهم ....

فهؤلاء أيضاً يغضبون ويتذمرون من كلّ كلمةٍ حقّ تقال في مضمار الكشف عن الواقع الراهن

وربما كانت كلمات الحق التي تطرق أسماعهم، موجعة لهم، لأنهم أعتادوا ان يسمعوا باستمرار، كلمات المدح الزائف، والثناء الكاذب، والتملق الرخيص

إن الإنتهازيين والنفعيين لا تهمهم الحقائق وانما مصالحهم الذاتية

ومن هنا، فهم يصلون عن طريق الملق، والتزلف، إلى قلوب المسؤولين

والعجيب أن الكثير من الحكاّم يبحثون عن هذا النمط ...

يبحثون عن «الأمّعات» الذين يوافقونهم على ما يريدون دون تحفظ، وعلى طول الخط، ويترددون كثيراً في إسناد المهمات لأصحاب الشخصيات القوّية، البعيدة عن المجاملات الرخيصة

وكبش الفداء، في كل الأحوال، هو الوطن، ومصالحه العليا، والمتضررون دائماً هم أبناء الشعب الذين لا يَدَ لهم في كل تلك النزعات والحسابات ....

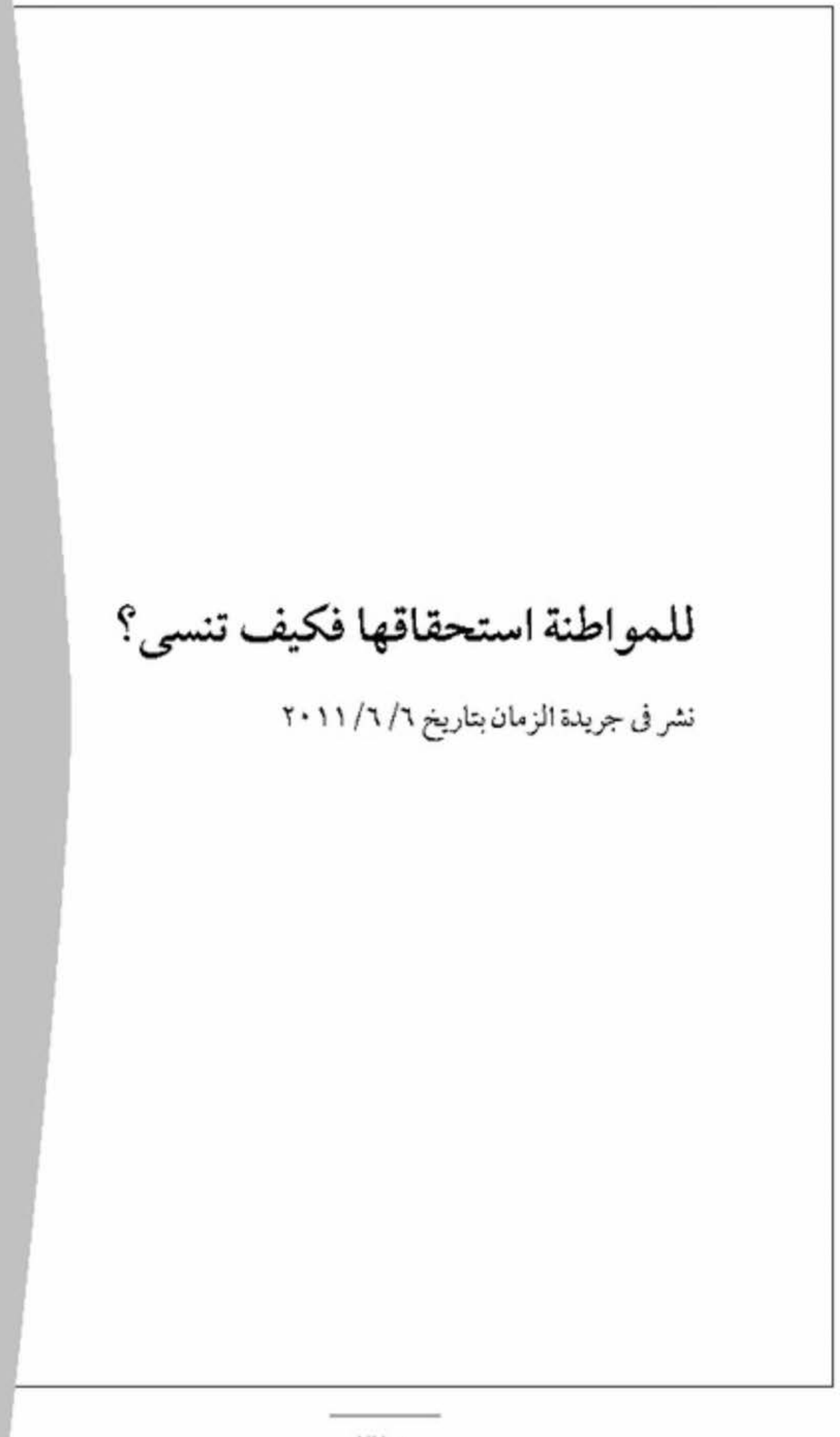
راقبْ المسؤولين، تجدهم يتنشون غاية النشوة، بالقوافي الكاذبة، والأماديح الملأى بالدجل

إنهم يعوضون بهذه المقاطع الرخيصة، عما فاتهم من، صور الجمال والكمال وصالح الأعمال

ولكن هيهات ....

لن يصبح الفحم دُرّاً مهما تفنن الدجالون،

ولن يكون الهبوط مساوقاً للتألق والسموّ، مهما حاول المخادعون ....



للمواطنة استحقاقها فكيف تنسى؟

نشر في جريدة الزمان بتاريخ ٦/ ٦/ ٢٠١١

للمواطنة استحقاقها فكيف تُنسى؟

قال الشاعر:

قُلْ للذي بصروف الدهر عيّرنا ... هلْ عاندَ الدهرُ إلاّ مَنْ له خَطَرُ
أما ترى البَحْرَ يطفو فَوْقَه جِيَفٌ ... ويستقر بأقصى قَعْرِهِ الدُّرَرُ
فإنْ تكن عَبَثَتْ أيدي الزمانَ بنا ... ونالنا من تأذّي بُؤسه ضررُ
ففي السماءِ نجومٌ غيرُ ذي عَدَدٍ ... وليس يُكْسفُ إلاّ الشمسُ والقَمَرُ

من النادر جداً، أنْ يعثر المتتبع لمسارات الناس الإجتماعية، على مقطع زمنيّ، خالٍ من الاجحاف والتقصير، بحق العديد من رجال الفكر، والعلم، والمعرفة، والأدب، وأصحاب، الطاقات والمهارات الفائقة في شتى الفنون.

ان هذا اللون من الظلم، لا تقتصر آثاره السلبية على أفراد معينين تم تهميشهم رغم براعاتهم، وإنما هو في الحقيقة ظلم فادح للبلاد، وحرمانٌ للشعب والوطن من استثمار مواهب أبنائه الذين تضافرت عوامل شتى، لإبعادهم عن مواقعهم التي يفترض ألاّ يُغيّبوا عنها، متى ما كانت قرارات النصب والتعيين مستندةً إلى المعايير الموضوعية، ومتى ما كانت النفوس صافية بعيدة عن التحزب والإنحياز لفريق معّين على حساب الآخرين

لقد أُبعد آية الله الشيخ عبد الحسين الحلّي (ت ١٩٥٥)، وهو من الأعلام البارزين في الفقه والأدب، عن القضاء الشرعي، وقُدّم عليه من لا يصلح لأن يكون واحداً من تلاميذه .!!

لقد أدّى امتحاناً خاصاً لاختيار المتقدمين لشغل منصب القضاء الشرعي، وأُخبر بأنه لم يجتزْ ذلك الإمتحان بنجاح ..!!!

وهكذا تمتّ حكاية الإقصاء المنقوعة بسم الإنحياز

وإذا كان (المجتهد) لا يستطيع أن يجتاز الإمتحان بنجاح فكيف ينجح من لا يُحسن من علوم الفقه شيئاً؟ !!

فاضطر الرجل إلى الإغتراب ليكون قاضي القضاة في بلد آخر

ولقد كان ساطع الحصري يضّن بتعيين «الجواهري» معلّماً في المدارس الإبتدائية، بداعي أنه ليس عراقياً .!!

في قضية معروفة

جرى ذلك في ظل العهد الملكيّ (١٩٢١ - ١٩٥٨)

واستمرت على هذا المنوال، فصول الإساءة إلى كثيرٍ من النابهين واللامعين

من أبناء العراق، إمّا بدواعي طائفية، أو بدواعي شخصية، ورواسب وأحقاد

أما في ظل العراق الجديد، وخلال الأيام الراهنة بالذات، فحدّث ولا حرج، عن ركام هائل من المفارقات والقضايا، التي أثخنت بجراحاتها قلوب أصحاب المواهب والكفاءات، ممن لم يشاءوا أن يكونوا من هذه الجهة أو تلك، وأصروا على الحفاظ، على ولائهم للوطن، وبعدهم عن التبعية لأية جهة من الجهات السياسية المتصارعة في الميدان، فعوقبوا بالحرمان، والتهميش وعطلت - للأسف - طاقاتهم وإمكاناتهم الكبيرة دون وجه حقّ

وفي ظل المحاصصات الراهنة التي ما أنزل بها من سلطان، اختلط الحابل بالنابل، وقدّم على العالم الجاهل، ونهبت الرواتب بالباطل .!!

وحين يُقدّم مَنْ لا يملك شيئاً من الكفاءة على الكفوء، ومَنْ لا يملك الخبرة على مَنْ يملكها، فلن تسير العجلة إلاّ في طريق وعر شائك، تكثر فيه العثرات، وتكتنفه الأزمات وتحيط به المشكلات

أما المعاناة النفسية، والغَبْنُ الفاحش الذي يحس به المهمشون في أوطانهم وفق قواعد تقاسم المغانم بين المتصارعين السياسيين، والتجميد الغريب لأوضاعهم، والحالات الإقتصادية الصعبة التي يعانونها فما هي إلاّ مفردة مُحزنة، من مفردات الملف العراقي، الحافل بالأرقام والوقائع، التي يشيب لهولها الصغير

إن اللآلئ تستقر في قعر البحار، وبالتالي فهي محجوبة عن الناس

أما ما يطفو على السطح فهو شيء آخر ....

إنه ليس كاللؤلؤ الثمين، وإنما هو الغَثُّ، الذي لا يُعنى به الناس جميعاً

إن فوز بعض الكتل السياسية في الإنتخابات النيابيّة لا يعني، أن بيدها تفصيل المواقع والمناصب على مقاساتها ....

وإن الشارع العراقي اليوم، ليضج بالنقمة على كل المستغلين، والمفسدين والمقصرين والمنغمسين إلى الأذقان في تكريس ذواتهم ومصالحهم، بعيداً عن ملايين العراقيين المسكونين بأوجاع سوء الخدمات، وتردي الأوضاع الأمنية، ناهيك عما يتطلعون إليه من إصلاحات سياسية، واقتصادية، وعمرانية ....

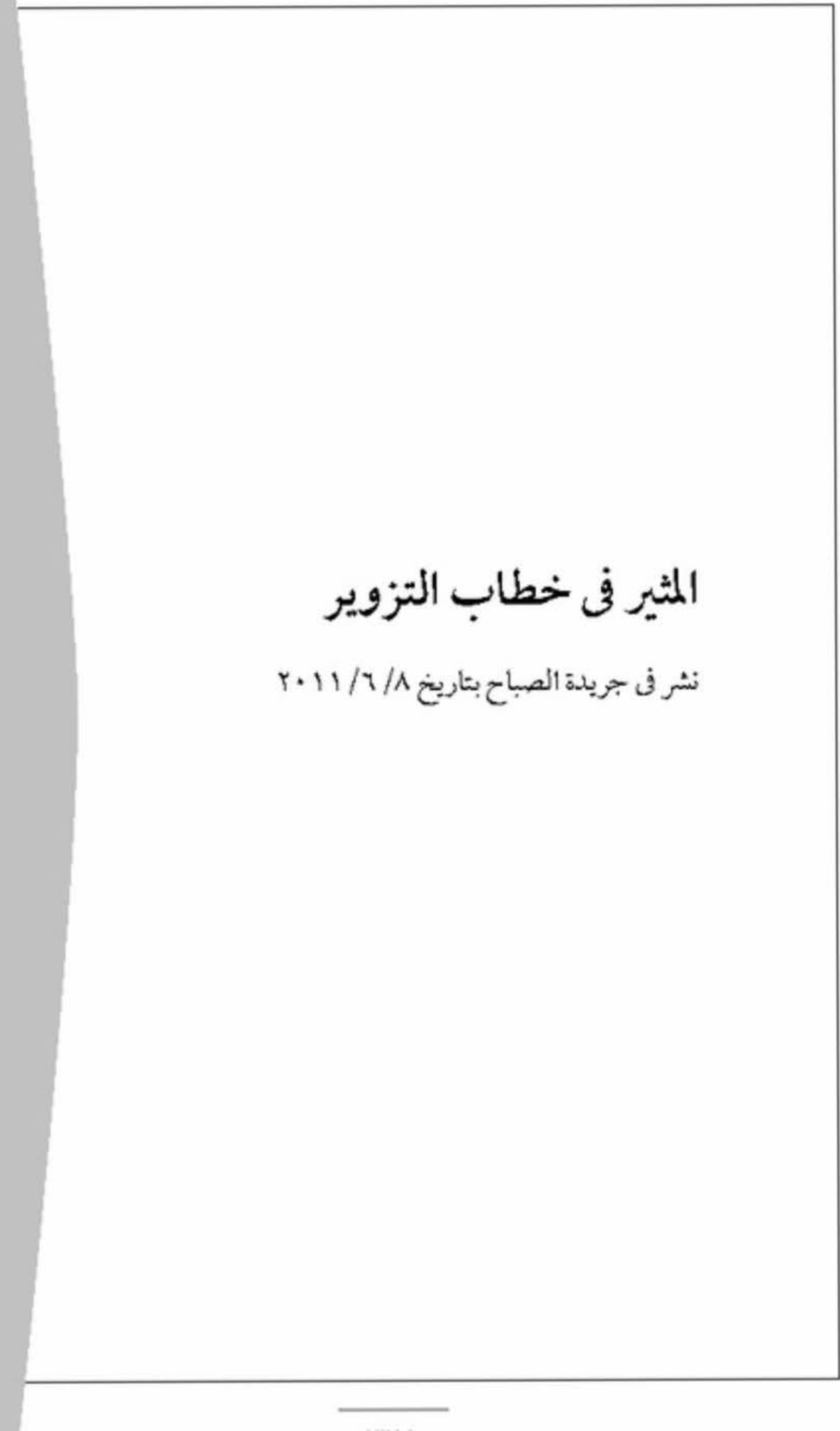
وصدق الشاعر حين قال:

إنَّ المناصبَ لا تدومُ طويلاً　　　وأعزُّ ما يبقى ودادٌ دائمٌ

وقديماً قيل للسلطويين:

[لو دامتْ لغيرك لما وصلتْ إليك]

وهكذا يجب أن يكون المسؤولون في سباق مع الزمن، لتلبية مطالب الجماهير، والمبالغة في تقديم أكبر حجم ممكن من الخدمات لهم، منطلقين من مفهوم (المواطنة) واستحقاقاته، لاسيما، وقد لاحت في الأفق، بوادر صيف ساخن، مفتوح على احتمالات عديدة، قد لا ترضي السلطويين.



المثير فى خطاب التزوير

نشر فى جريدة الصباح بتاريخ ٨/ ٦/ ٢٠١١

المثير في خطاب التزوير

ليس «التزوير» من مبتدعات مرحلتنا الراهنة، وإنْ كان قد كثُر فيها إلى حد بعيد .!!

فللتزوير تاريخه الطويل، وصورُه العديدة، وأساليبه الغريبة، وفرسانُه البارعون

إن أبرز أمثلة التزوير اليوم، هو تزوير الشهادات والوثائق الدراسية، لمختلف مراحل الدراسة، وتقديمها في طلبات التعيين في مختلف دوائر الدولة

وقد اكتُشف من هذه الشهادات المزورة الآلاف المؤلفة، والباب مفتوح أمام الإكتشافات الأخرى المستمرة

وما دام المزورون يحظون بقوانين العفو، مرة بعد مرة فلن تكون هناك نهاية حاسمة، لهذا المنحى الرهيب

والغريب أن المزورين، هم أحسن حالاً من غيرهم

وهكذا يتقدم (الكاذب) على (الصادق) في حلبات، ضاعت فيها الموازين، ونجح فيها جند الشياطين ..!!!

وقد وقفتُ على حكاية أوردها القاضي أبو الحسين عبيد الله بن عيّاش، أحاول أن ألخصها، وأشير إلى أهم ما ورد فيها، وهي تصلح أن تكون الجذر التاريخي، لما نشهده في أيامنا من مكافئة المزورين ..!!!

لقد زوّر أحدهم كتاباً عن الوزير (أبي الحسن بن الفرات) موجّهاً إلى (أبي زنبور المادرائي) عامل مصر، يتضمن الوصاية به، والتأكيد في الإقبال عليه والإحسان إليه

وخرج إلى مصر، فلقيه به

وارتاب (أبو الزنبور) بالكتاب، فأرسله إلى الوزير بن الفرات ببغداد، بعد أن استبقى الرجل عنده، ووصله بصلة قليلة

وحين وصل الكتاب المزوّر إلى الوزير، وجد فيه ذكر الرجل، وأنه من ذوي الحرمات والحقوق الواجبة عليه ....

وعرض الوزير الكتاب، على أصحابه وكتّابه، ووضعهم في صورة ما وقف عليه، وسألهم عن رأيهم في ما يجب اتخاذه مع الرجل المزور:

أشار بعضهم إلى وجوب تأديبه وسجنه

وقال أخر: لابُدَّ من قطع إبهامه لئلا يعاود مثل هذا، ولئلا يقتدي به غيره

وقال أحسنهم: يكشف لأبي زنبور - عامل مصر - عن الحقيقة، مع التوجيه بطرده وحرمانه

فلم يقبل الوزير أقوالهم

وقال - في جملة ما قال -:

« رجل توسل بنا، وتحمل المشقة، إلى مصر، في تأميل الصلاح بجاهنا، واستمداد صنع الله عز وجل بالإنتساب إلينا

ويكون عند أحسنكم محضراً تكذيب ظنه، وتخييب سعيه

والله لا كان هذا أبداً»

ثم إن الوزير أخذ القلم، ووّقع على الكتاب المزوّر:

«هذا كتابي

ولست أعلم، لِمَ أنكرتَ أمره .»؟

ورده إلى «أبي زنبور»

ثم إن المزور، بعد مدة طويلة، وفد على الوزير ابن الفرات، وهو يدعو له ويثني عليه فقال له ابن الفرات:

من أنت؟ بارك الله فيك، فقال:

أنا صاحب الكتاب المزوَّر إلى أبي زنبور عامل مصر، الذي صححه كرم الوزير ....

فضحك ابن الفرات وقال:

كم وصل إليك منه؟

فكان الجواب أن ما وصله بلغ عشرين ألف دينار

فقال ابن الفرات:

الحمد لله

ثم إنه أبقاه عنده، واستخدمه، وأكسبه مالاً جزيلاً

إنّ مِعْدةَ ابن الفرات، معدةٌ هاضمة، ولم يثر هذا التزوير في نفسه، أي لون من ألوان الغضب، بل إنه كافئ المزور وأحسن معاملته ...

إن هذه القصة، ارتبطتْ بشخص معّين فهانت

وأما ظاهرة التزوير المتفشي عندنا فهي ليست محدودة في نطاق ضيق يسهل التغاضي عنه كما أنها ليست مسألة شخصية على الإطلاق

إنها مسألة تزوير للعقود الوهمية

وتزوير للموّاد المستوردة

وتزوير للوثائق والمستندات الخاصة بتلك العقود والصفقات

وتزوير للشهادات الدراسية ....

وكل ذلك يرتبط بالمال العام، والثروة الوطنية، والإخلال بالمصالح العليا للوطن وللشعب

ومع كل هذه الإمتدادات الرهيبة للتزوير، لا تُقبل على الإطلاق، المبررات الواهية، والحيثيات التي يذكرها أنصار الدفاع عن المزورين

لقد كتب الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في عهده العظيم لمالك الأشتر - حين ولاّه مصر:

(ولا يكونّن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، لأنّ في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في إحسانهم، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة)

والحق مع ما قاله الإمام (عليه السلام)

فالمحسن، والمسيء، لا يستويان لا في حكم الشرع، ولا في حكم العقل، ولا في حكم الأخلاق

ولا بُدَّ أن ينال المسيء عقابه، كما أنه لا بُدَّ أن يكافئ المحسن

وحين يكافئ (المسيء) ويترك (المحسن) فتلك هي الكارثة

ولا يمكن للعراق أن يشق طريقه نحو التقدم والرقيّ، في ظلّ المعادلات الخاطئة، والحسابات البعيدة عن الصواب.



الشكوى من الزمن

نشر في جريدة الزمان بتاريخ ١١/ ٦/ ٢٠١١

الشكوى من الزمن

الشكوى من الزمان، ظاهرة معروفة، تركتْ بصماتها على الشعر العربي، قديمة وحديثة

والزمان في الحقيقة بريء مما يحملونه من أوزار .!!

إنّ الزمان ليس إلاّ وعاءً مستوعباً للحوادث والوقائع، وليس الصانع والمحرك لما يقع فيه

- ولقد تعرضنا في مقالة سابقة إلى هذه المسألة بالذات -

إنّ مَنْ يُحرمُ السعادة من الشعراء لن يجد متنفساً له، إلاّ في ذمّ الزمان، وتحميله المسؤولية، وكأنّ الزمان هو الذي حال بينه وبين ما يريد،

والسؤال الآن:

هل إنه الهروب من تسميه المسؤول الحقيقي عن معاناته، أم خوفاً من بطشه، أو إيثاراً للسلامة من أية مضاعفات محتمله

أم أنه الإعتقاد بأن الجاني هو الزمان نفسه، ولهذا يفرده بالتقريع والتوبيخ والذمّ؟

أم انه تقليدٌ لمن سبقه من الشعراء، الذين أكثروا التبرم والشكوى من الزمان؟

الراجح عندي، أن ذمّ الزمان عند الشعراء، لا يأتي بعد تأمل فكريّ دقيق، أو قناعة راسخة لا تقبل النقاش، وإنما أصبح ذلك بمثابة العادة المألوفة التي يسير عليها الكثير منهم، وبشكل تلقائي بعيد عن التمحيص ..

ومن أبرز الشعراء الذين أكثروا الشكوى من الزمان وأهله، الشاعر البصري المعروف (بابن لنكك)، - وهو معاصر للمتنبي، ومن خصومه والمكثرين من هجوه، حيث لم يستطيع أن يبلغ ما بلغه أبو الطيّب من شهرة وتقدّم، فتصاعدت في نفسه الإنفعالات، إلى الحد الذي شكلّت فيه، سمة بارزة في نتاجه الشعري -

وعلى كل حال، فإنّ (ابن لنكك محمد بن محمد البصري) من الشعراء الموهوبين الذين امتلكوا من رهافة الحس، ومن الأدوات الفنيّة، ما جعلهم في عداد الشعراء اللامعين، ولكنّ ذلك لا

يعني أنه استحق إمارة الشعر، لاسيما مع وجود القمم الشعرية الشامخة والقامات المتميزة فيه كأبي الطيّب المتنبي

ونحن سنورد جملة من النصوص والشواهد الشعرية التي اشتهر بها (ابن لنكك) في مضامير التذمر والتشكي من الزمان وأهله ..

ولعلها تكون السلوى، لمن لا يقّل عن (ابن لنكك)، تذمراً من الزمان وأهله، ممن اصطلى بنيران المحاصصات والمزايدات والصفقات التي ما أنزل الله بها من سلطان

النصوص والشواهد

قال ابن لنكك

نحنُ واللهِ في زمانٍ غَشوم	لو رأيناه في المنام فَزِعْنا
يُصبح الناس فيه من سوء حالٍ	حقَّ مَنْ مات منهم أنْ يُهَنا

إن بعض المشاهد يفزع الإنسان منها إذا ما رآها في (المنام) فكيف إذا تجسّدت في (اليقظة)، بكل ما تحمله من سوء؟ !!

وقد تضطرب الأحوال وتسوء إلى درجةٍ، يُهنا فيها الناس الموتى، الذين أنقذهم الموت من تلك المعاناة .!!

وقال في موضع آخر:

يعيب الناس كلهم الزمانا	وما لزماننا عيبٌ سوانا
نعيب زماننا والعيب فينا	ولو نطق الزمان اذاً هَجانا
ذئابٌ كلنا في زيّ ناسٍ	فسبحان الذي فيه برانا
يعافُ الذئب يأكل لحم ذئبٍ	ويأكل كل بعضنا بعضاً عيانا

ونبرة النقد في هذا المقطع شديدة الحدّة

إن الذئاب يمتنع بعضها عن أكل بعض، في حين أن الناس لا يتورعون عن ذلك

وقد صرّح (ابن لنكك) هنا، بأن العيب ليس في الزمان، وإنما العيب في الناس .!!

ومن هنا، فلو أتيح للزمان أن ينطق، لانحدر في سيل متدفق من الكلمات، المملوءة بذم المتلاعبين، والمفسدين، والمزورين، والمختلسين والمعطّلين للضوابط والقيم الموضوعية بأسرها...

ونختم بقوله:

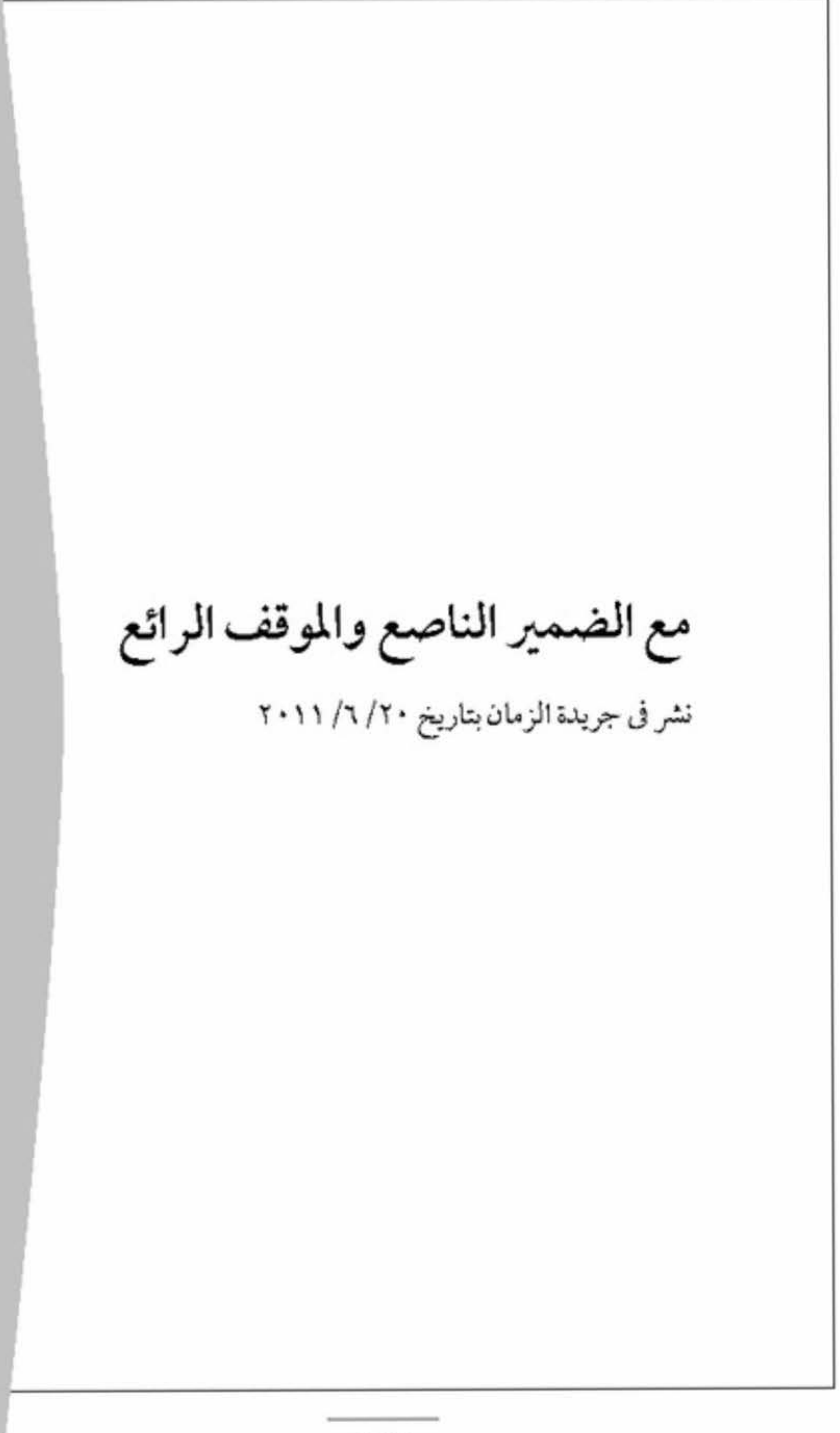
زمـــانٌ قــد تَــفَــرّغ لـلـفـضـولِ	وســوّد كــلّ ذي حُمْــقٍ جَـهـولِ
فـــإنْ أحــبــبــتُــمُ فـيـه ارتـفـاعـاً	فـكـونـوا جـاهـلـين بِــلا عُـقـولِ

وتكمن المرارة هنا في تقديم الجهل على العلم، والحماقة على الحصانة والكياسة

إنها صورة قاتمة، لأبشع ما تنحدر إليه بعض المجتمعات .!!

ولا يسلم عصرٌ من العصور من مثل تلك المفارقات،

ولسنا بدعاً من تلك المفارقات والصور ...



مع الضمير الناصع والموقف الرائع

نشر في جريدة الزمان بتاريخ ٢٠/ ٦/ ٢٠١١

مع الضمير الناصع والموقف الرائع

تلوح في تاريخنا الإسلامي صورُ النزاهة الباهرة، عبر مواقف ناصعة، كُتبت سطورها بحروف من نور، لتكون دروساً للأجيال الصاعدة، يستلهمونها في مساراتهم، ويستوحون منها العظة والحافز

إنَ الأفعال لا الأقوال لها وقعها الكبير في النفوس ..

إنّ مكارم الأخلاق تشيع ثقافة الإحساس بالمسؤولية، وتدفع الأفراد والجماعات إلى عوالم السمو والرفعة والإنسانية والتألق

ومن القصص التاريخية الرائعة، قصة زيد بن أرقم، خازن بيت المال، أيّام عثمان ونحن نسوقها هنا لما لها من دلالات بليغة:

منح عثمان زوج ابنته يوم عرسه مائتيْ الف درهم

- وهذا مبلغ كبير قياساً إلى ما كان يُقدّم إلى الأصهار من هدايا -،

ثم إن هذا المبلغ، لم يقدّم إلى (العريس) من خزانة عثمان الخاصة، وإنما أُمر زيد بن أرقم بدفعه من بيت المال

ومعنى ذلك أن أموال المسلمين قدّمتْ إلى صهر الخليفة دون استحقاق

وهنا تكمن المفارقة

والمهم أنّ (زيد بن أرقم) جاء إلى (عثمان) باكياً، يستعفيه من عمله

وما كان من عثمان إلاّ أن يُبدي استغرابه الشديد مما رآه وسمعه من زيد، فقال له:

« أتبكي يا ابن أرقم إنْ وصلتُ رحمي؟

فأجابه زيد قائلاً:

لا، يا أمير المؤمنين ولكن أبكي لأني أظنك أخذتَ هذا المال عِوَضاً عما كنتَ انفقتَهُ في سبيل الله في حياة رسول الله

والله لو أعْطَيْتَهُ مائة درهم لكان كثيراً»

فغضب عثمان من هذا القول، وقال له:

«الق بالمفاتيح ياابن أرقم، فإنا سَنَجِدُ غيرك»

ولا بد لنا هنا من وقفات:

الأولى: ان استقالة زيد بن أرقم، تحمل معنى الإحتجاج الرسمي الشديد، على التصرف بأموال المسلمين لدواعٍ خاصة، حيث أن ثمة فوارق كبيرة بين المال الخاص والمال العام

بمقدور الحاكم أنْ ينفق ما يشاء من أمواله الخاصة في شتى المناسبات والميادين، ولكن ليس من حقه أن يَمُدَّ يَدَه إلى المال العام لِيُنْفِقَهُ في غرض شخصي بحت

الثانية:

إن الصدمة التي عاشها خازن المال، كانت من القوة، بحيث إنها أجرت دموعه، فذرفها حزيناً، لِمَا رأى من خرق واضح، لحرمة المال العام،

وهذه الحالة، تكشف عن خَلْفية لا يقوى الناس على التعامل معها إلاّ بالتقدير والإحترام

إنها الامانه بأعلى صيغها ودرجاتها

وإنها تعبّر عن الإحساس العالي بالمسؤولية في شأن يرتبط بمصالح المسلمين

الثالثة:

الجرأة والصراحة في مواجهة الحاكم بالواقع المرّ، بعيداً عن الملق والمجاملات الرخيصة، ودون خوف أو وجل من بيان الحقيقة

وهذه هي النّبْرة المطلوبة في مثل هذه المواطن

إنها نبرةُ الصدق، والحرص على مصالح المسلمين

الرابعة:

إنّ «زيد بن أرقم» كان يرى أن الحاكم ربما جعل الغطاء الشرعي لمثل هذا العمل إنفاقه الكثير من الأموال قبل أن يتسلم السلطة، وحيث أنَّ ذلك لا يعتبر مُبرّرا مقبولاً، فقد قرر بيان ذلك، وبكل وضوح

الخامسة:

وبهذه الإستقالة أعلن (زيد) أنه ليس مستعداً على الإطلاق، لتنفيذ الأوامر الصادرة إليه، إذا كانت تنطوي على مثل هذه المفارقة

إنّ زيد بن أرقم كان المثال الناصع للمسؤول الحريص الأمين، على مصالح المسلمين، وفي ذلك ما يدعونا إلى مزيد من التقدير والتثمين لموقفه

والخلاصة أنه لم يشتر رضا الحاكم بسخط الله، وهو موقف له صَداهُ المدّوي عبر التاريخ ...

وفي العراق الجديد، تجري المحاولات تلو المحاولات، في العديد من الدوائر والأجهزة والمؤسسات للإلتفاف على المال العام بشتى الصور والالوان

ومن أنجح الوسائل لمنع هذه الظاهرة - بعد الفشل الذريع الذي مُنيت به الأجهزة الرقابية - هو الرفض لتمرير هذه المحاولات من قبل الموظفين المخلصين الذين يأبون أن يكونوا في عداد اللصوص والمفسدين، وبمقدورهم في كثير من الاحيان، إجهاض تلك المحاولات الخبيثة

إن رموز الفساد يسعون إلى تلويثهم والتستر على جرائمهم ما وسعهم ذلك، ولا ينبغي لهم أن يقعوا في تلك الأفخاخ المنصوبة لهم، مهما كان الثمن باهضاً

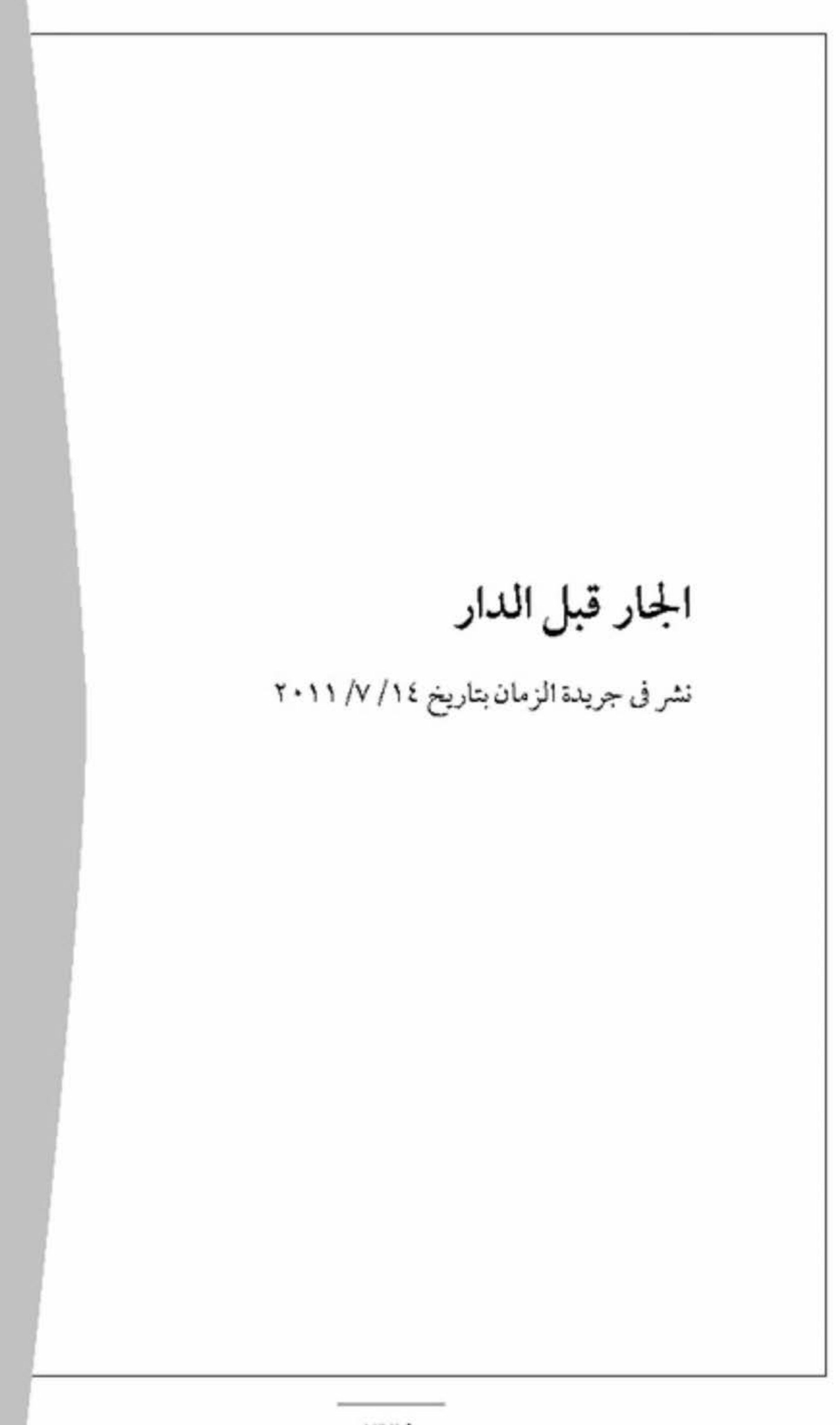
إن باب الإيفادات إلى الخارج، وبشتى الذرائع والعلل المصطنعة، يستنزف الكثير من ثروات العراق دون جدوى

إنها إحدى طرق اصطياد المال العام، وتحويله إلى فرص للمتعة والإستجمام والمنفعة الشخصية ...

وليس صعباً على عموم الموظفين المخلصين اكتشاف مثل هذه الحالات والحيلولة دون وقوعها

إننا ندعو إلى اليقظة والحزم والمتابعة الدقيقة، والمراقبة المستمرة لكل ما يجري في الكواليس، هنا وهناك، بغية وأد الفساد في مهده

ان ليل المعاناة من الفساد المالي والإداري مهما طال فلا بُدّ أن يطلع فجر الخلاص من براثنه، ويُساق اللصوص والمفسدون، والمتلاعبون إلى القضاء العادل، لانتزاع ما نهبوه من ثروات البلاد، وليحاسبوا على ما سببوه من كوارث للوطن والمواطنين.



الجار قبل الدار

نشر في جريدة الزمان بتاريخ ١٤/ ٧/ ٢٠١١

الجار قبل الدار

من القيم التي حرص عليها الإسلام، وحثَّ على رعايتها، احترام الجار، والإهتمام به، والتعايش معه بكل وئام ومودة وسلام، بعيداً عن المشكلات والمزعجات ....

ومَنْ منا لم يسمع بالقول المأثور لنبي الرحمة (ﷺ) بما مؤداه:

«مازال جبريل يوصني بالجار حتى ظننتُ أنّه سيورثه»

فاللحمة بين المرء وجاره تكاد ترقى إلى لُحمه النسب، في الحقوق، وهذه غاية الغايات، في بيان عمق الأواصر والصلات والروابط المتينة، الداعية إلى تبادل المشاعر الإنسانية النبيلة، وإشاعة روح التفاهم والإنسجام والتعاون والتكافل ...

ولقد روي عن سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسن الزكي (عليه السلام) أنه رأى أمّه الزهراء البتول فاطمة سيدة نساء العالمين، تقوم في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة، حتى اتضح عمود الفجر

وكان يسمعها تدعو للمؤمنين والمؤمنات ولا تخص نفسها بدعاء

وحين سألها عن ذلك، قالت:

(يابُنيَّ الجار قبل الدار)

وهنا تكمن العظمة

إنها عظمة الأخلاق السامية، التي تُقدّم الجار على أهل الدار، في إشارة واضحة، إلى «نكران الذات» وإلى (الإيثار)، في أروع صوره وسماته

إنَّ للجار حقوقه عليك، حتى إذا خالفك في الدين والعقيدة، فضلاً عن جارك الذي تربطك به آصرة العقيدة الواحدة، والدين الواحد

إنها نزعة إنسانية اجتماعية، تجعل النسيج الإجتماعي - على اختلاف مكوناته، وتعدد روافده - متماسكاً متلاحما، إلى أبعد الحدود

وعاشت الأمة هذه المعاني الفاضلة، والقيم العالية جيلاً بعد جيل، بعد أن غرس الإسلام في النفوس ثقافة المحبة والوئام والسلام

اسمع ما قاله الدارمي (ت ٨٩ هجرية)

نــاري ونــار الجــار واحــدةٌ	وإليــه قَبْـلي تَـنـزِلُ الـقِـدْرُ
مــا ضَرَّ جــاراً لي أجــاورُهُ	ألا يــكــون لــبـيـتـه سـتْرُ
أُغــضي إذا مـا جــارتي بَــرَزَتْ	حــتـى يُــواري جــارتي الخِــدْرُ
ويُــصِــمُّ عــما كــان بَـيْـنَـهـما	سَـمْـعي ومــا بي غَــيرةٌ وَقْــرُ

(والوقر: ثقل السمع أو ذهابه)

إنَّ الصورة التي رسمها الشاعر، خلاّبةٌ ساحرة، تعبق بأروع ألوان النبل الإنساني وأحلاها....

لا يأكل من طعام قطّ، قبل أن يُقدمّه للجار، إيثاراً ومحبة ورعاية، وكأن الجار أحقّ به منه !!

ولا حاجة للحواجز والقواطع بين الجارين، ما دامت كل تلك الفواصل الماديه قد فقدت أهميتها، حين اتجهت النّيات إلى التلاحم والتفاهم، والصفاء والإخاء، بعيداً عن المنغصات والمكدّرات ....

وتبلغ العفّة بالجار، أن يغض الطرف عن جارته، إذا ما برزت ذاهلةً عن سترها المعهود، حتى تؤوب إلى خدرها

ويرقى السمّو إلى درجة الإعراض الكامل عن كلّ ما يطرق السمع من أحاديث الجار وحكاياته، حتى لكأنَّ الجار السامع فاقدٌ لحاسة السمع، خشية أن يكون فيها ما لا يريد جارُه أن يسمعه الآخرون

إن رباعية الدارمي، لخصت فصولاً طويلة من الأدب، والأعراف، والقيم الأخلاقية في تعاملات الجيران القائمة على أسس راسخة من الأصالة والشمم

ومما يحّز في النفس أنَّ الكثيرين منّا، في هذه الأيام، لا يعرفون جيرانهم، ولا يتطلعون إلى معرفتهم، وإقامة أوثق العلائق معهم، حتى لكأنّهم ليسوا أبناء اولئك الأبرار الذين ذوّبوا كل الحواجز بينهم وبين جيرانهم وعاشوا وكأنهم أبناء بيت واحد

إنها خسارة اجتماعية أفقدتنا الكثير من الأمن الإجتماعي

وإنها مفارقة أخلاقية جعلت البون شاسعا بين أبناء هذا الجيل وأسلافه

إنّ ظاهرة المهجّرين العراقيين من بيوتهم ومحلاتهم، والذين هاموا على وجوههم في البراري والقفار، في صحراء، هذه المحافظه أو تلك، إنما هم ضحايا الإنتهاك الصريح لحرمة الجوار، والإستخفاف بحقوق الجار وكرامته.

إن أخطر الفتن التي تعرّض لنيرانها العراق الجديد هي فتنة الطائفية والقتل على الهوية بعيداً عن كل القيم الدينية والإنسانيه والأخلاقية والإجتماعية

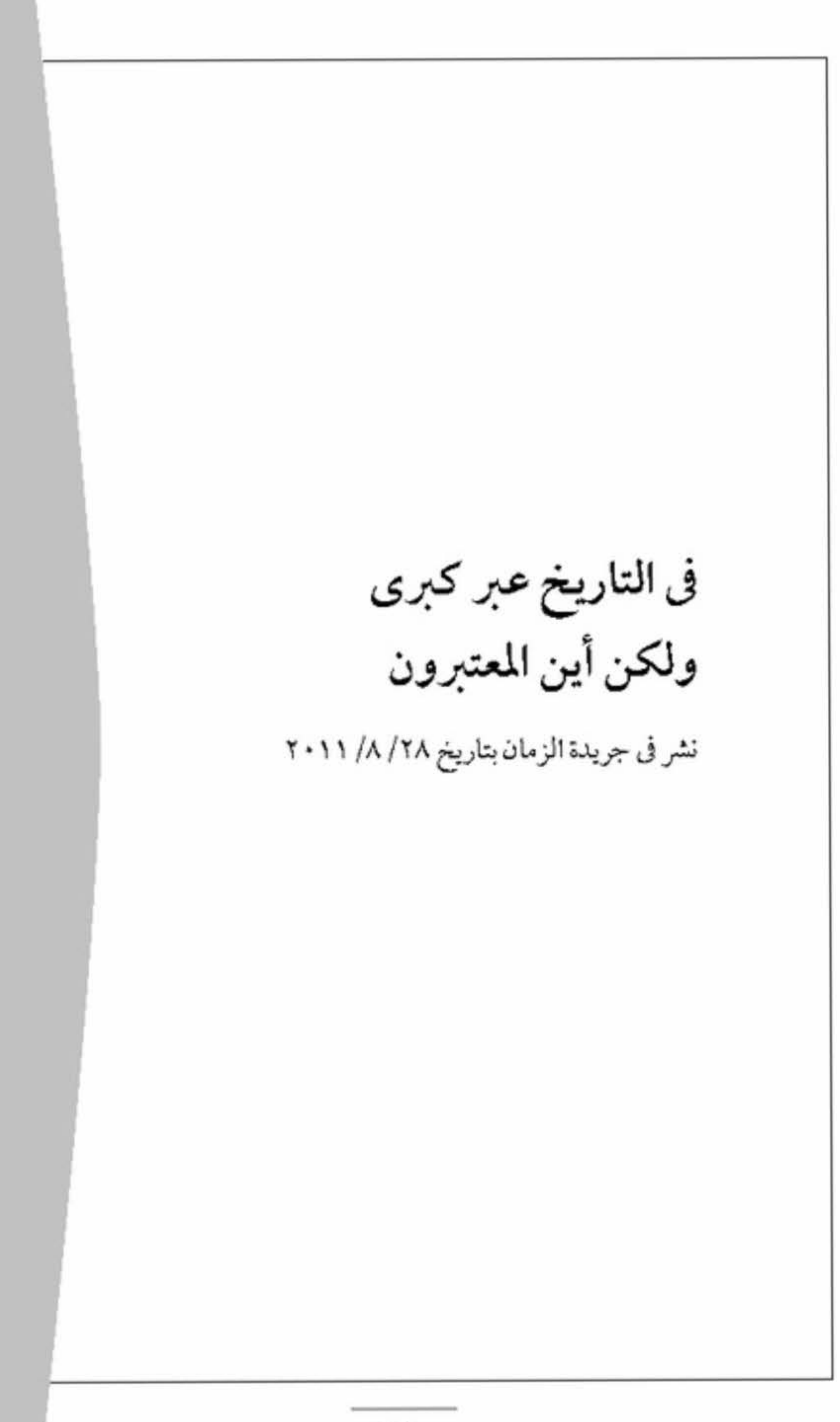
إن الذي يُبيح للجار أن يَقْتُلَ أو يشرّد جاره إنما هو الشيطان بعينه

إن جنود الشيطان من الإرهابيين والتكفيريين والحاقدين على هذا الشعب هم الذين أشعلوا نيران هذه الفتنه وكانت حصائدها الكوارث المرعبة والخسائر الفادحة ...

ومما يحزننا كثيراً أن بعض المحترفين السياسيين، وبعض الأبواق الإعلامية تضرب على هذه الأوتار، ناسية أو متناسية، ما حلّ بالبلاد والعباد من فواجع ومصائب لم تزل الكثير من آثارها لم تعالج حتى الآن

وبصراحة:

إننا لابد أن نشيع ثقافة المحبة والتسامح والتكافل والتفاهم وحسن الجوار بدلاً من كل ألوان التصعيد والإثارة والإصطياد في الماء العكر.



في التاريخ عبر كبرى ولكن أين المعتبرون

نشر في جريدة الزمان بتاريخ ٢٨/ ٨/ ٢٠١١

في التاريخ عِبَرٌ كبرى ولكنْ أين المعتبرون؟

جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨٨ :

(قال المنصور لعمرو بن عبيد:

عِظْني، قال:

بما رأيتُ أم بما سمعتُ؟ قال:

بما رأيت، قال:

رأيتُ عمر بن عبد العزيز، وقد مات، فخلّف أحد عشر ابناً، وبلغتْ تركتهُ سبعة عشر ديناراً، كفّن منها بخمسة دنانير، واشتري مَوْضع قبره بدينارين، وأصاب كل واحد من ولده دُون الدينار

ثم رأيتُ هشام بن عبد الملك، وقد مات وخلّف عشرة ذكور، فأصاب كل واحد من ولده ألف ألف دينار

ورأيتُ رجلاً من ولد عمر بن عبد العزيز، قد حمل في يوم واحد، على مائة فرس في سبيل الله

ورأيتُ رجلاً من ولد هشام، يسأل الناس ليتصدقوا عليه).

المهم أننا أمام شهادة حيّه، تحدّث فيها الشاهد - وهو عمرو بن عبيد - عما رآه بعينه دون زيادة أو نقصان

ولقد حفلت هذه الشهادة الخطيرة بأرقام لها دلالاتها السياسية والإجتماعية فضلاً عن دلالاتها الدينية والأخلاقية

إن عمر بن عبد العزيز، هو الخليفة الأموي الوحيد الذي لم ينبض قلبه بحب الثروة والمال

ومن هنا كانت تركته محدودة للغاية

لم تزد عن سبعة عشر ديناراً

وعن ما يزيد عن هذه التركة يموت أكثر الناس

ما معنى أن تكون تركة الحاكم أقل من تركة الملايين من المحكومين؟

إنها تعني باختصار التورع عن الإستحواذ على المال العام

وتعني ايضا الترفع عن انتهاب أموال الناس، والسطو على ممتلكاتهم

وليست هذه الخصلة إلاّ واحدة من أهم الخصال في الحاكم العادل

وهي تكشف عن خلفيه دينية وأخلاقية لا بد أن تقدّر لما لها من ثقل في الميزان

إن الأموال كانت تُجبى له من مختلف الأقطار والأمصار، وهو صاحب الأمر فيها غير منازع، ومع ذلك لم تمتد يده إليها تعففاً وتورعاً وزهداً، الأمر الذي سجلّه التاريخ بأحرف من الاكبار

وحين يقارن عمر بن عبد العزيز بهشام بن عبد الملك، الذي اكتنز الأموال بعيداً عن حسابات الحرام والحلال، تتضح الصورة، ويتجلى الفارق بين الرجلين أخلاقياً ودينياً وسياسياً

إن الملايين التي اكتنزها هشام بن عبد الملك، كانت عصارة عرق الكادحين، وآهات المظلومين ودموع الأرامل واليتامى والمساكين

إنها كانت عمليات سطو منظم على بيت المال، وعلى المال العام، وما انتزع بالإكراه والقوه من أموال الناس

إن حصة كل ولد من أولاد هشام بن عبد الملك كانت مليون دينار، وهي ثروة ضخمة هائلة لا توازنها المليارات من الدولارات اليوم

ومواطن العبرة أن الفرق كبير بين الدينار الطاهر والدينار الفاجر في المال:

إن الدينار الطاهر الذي آل إلى أولاد عمر بن عبد العزيز، نما وتضاعف حتى مكّن من الإنفاق الحميد في سبيل الله، بينما ضاعت ملايين الدنانير الفاجرة،

وتبخرت واستهلكت، حتى اضطر أصحابها إلى التسول وسؤال الناس

إنها حقاً لعبرة كبرى لأولى الألباب

وقديماً قال الشاعر:

أيا مَنْ عاش في البلاد قليلا وأفنى العمر في قيل وقالِ
وأتْعَبَ نفسه فيما سيفنى وجمّع من حرام أو حلالِ
هبْ الدنيا تُقاد أليسَ طوعاً أليسَ مصير ذلك للزوال؟

والآن:

ونحن في العراق الجديد، نعاني أشرس الأزمات في قضايا الفساد الإداري والمالي، لابد أن نذّكر رموز القرصنة وفرسان الإختلاس بأنهم حينما ينساقون وراء جشعهم وطمعهم وشهواتهم، ويستبيحون المال العام، ويعقدون الصفقات، ويوّقعون العقود الوهمية، ويكنزون في حساباتهم الأرقام الضخمة، ليسوا بمنأىً عن ذلك المصير الأسود الذي ينتظرهم، كما انتظر أبناء هشام بن عبد الملك

إن هذه الحسابات، مهما أحيطت به من سريّة، لابد أن تنكشف للناس، وإنها لمكشوفة لمن لا يغادر صغيرةً ولا كبيرة إلاّ أحصاها، وهنالك يخسر المُبطلون

والغريب أننا ابتلينا اليوم بانضمام العديد من العناصر التي كنا نعدّهم من الأبرار في قافلة المختلسين الأشرار

وتتناقل المحافل والمجالس أخبار ثلة كانت معروفة بالإستقامة والصلاح، حتى إذا ما ظفرت بموقع يمكنّها من الإصطياد، بالغت في القضم وكانت كالجراد ...!!!

وليقرأ هؤلاء ما قيل فيهم:

يا مَنْ تمنيتَ (الشهادة) أين النزاهة والزهاده؟
أينَ التُقى أين الحجى أين التلفعُ بالعباده؟
اني برئتُ من اللئيم غَدًا وخيمُ الظلم زاده
بالقضم عاد جرادةً يا قَبّح الله الجراده



رواء الظماء في سير العلماء

نشر في جريدة الزمان بتاريخ ١١/ ٩/ ٢٠١١

رواء الظلماء في سير العلماء

كان سليمان بن حبيب بن المهلّب بن أبي صفره الأزدي والي فارس والأهواز، وكان قد خصّص للخليل بن أحمد الفراهيدي راتباً، فكتب إلى الخليل يستدعي حضوره، فما كان من الخليل الاّ ان كتب اليه:

أبلغ سليمان أني عنه في سَعَةٍ — وفي غنىً غيرَ أني لستُ ذا مالِ
شُحّاً بنفسي إني لا أرى أحَداً — يموتُ هَزْلا ولا يبقى على حال
فالرزق عن قَدَر لا الضعفُ يمنعه — ولا يزيدُك فيه حولُ محتالِ

وحين رفض التوجه إلى سليمان، قطع الأخير عنه الراتب

ولم يشأ الخليل أن يلزم الصمت فقال:

إن الذي شق فمي ضامنٌ — للرزق حتى يتوفاني
حرمتني مالاً قليلاً فما — زادكَ في مالك حرماني

فلما بلغ سليمان ما قاله الخليل كتب يعتذر إليه وأضعف راتبه

إن الخليل بن أحمد ينطلق من موروث لا يحيد عنه العلماء، فلقد شاع وذاع وملأ الأسماع قول مأثور:

(إذا رأيتم الملوك على أبواب العلماء فنعم الملوك ونعم العلماء

وإذا رايتم العلماء على أبواب الملوك فبئس العلماء وبئس الملوك)

ليس من شأن العلماء التسكع على أبواب الحكّام، حتى لو كانوا صالحين، أمّا إذا كانوا طغاةً ظالمين، فإن الركون إليهم، يدخل العلماء في سلك المنحدرين إلى النار

إنَّ الذي جرّأ (سليمان) على استدعاء (الخليل) هو الراتب الذي كان قد أجراه له، وحين صان الخليل نفسه، عن ذلك المال وترفّع عنه، ثقةً بالله، وصيانة لمقام العلم، اضطر سليمان إلى الإعتذار، وضاعف المقدار

يقول الشاعر:

ولو أنَّ أهل العلم صانوه صانهم ولو عظّموه في النفوس لعُظّما

وهكذا تقع على عاتق العلماء واجبات صيانة المقام، عن السعي نحو الحكّام بأي وجه من الوجوه.

إنّ على الحكام أن يتخلوا عن الإستعلاء والكبرياء، وأن يسعوا بأنفسهم إلى زيارة العلماء والإستفادة من توجيهاتهم ونصائحهم

ألا ترون أن المرجعيه الدينية العليا، تستقبل مختلف المسؤولين من ذوي المناصب العليا، والمسؤوليات الكبرى، يستنصحونها ويستشيرونها في

أمهات المسائل والقضايا التي تهم الشعب والوطن

وهذا هو الأصل ومقتضى القاعدة

وحين تعتذر المرجعية العليا عن استقبالهم، فإنها، ترسل إليهم بذلك رسالة واضحة، تشير إلى أنها ليست في موقع الإرتياح والرضا عنهم، وتدفع بهم إلى إزالة المتراكم من التقصيرات في خدمة المواطنين

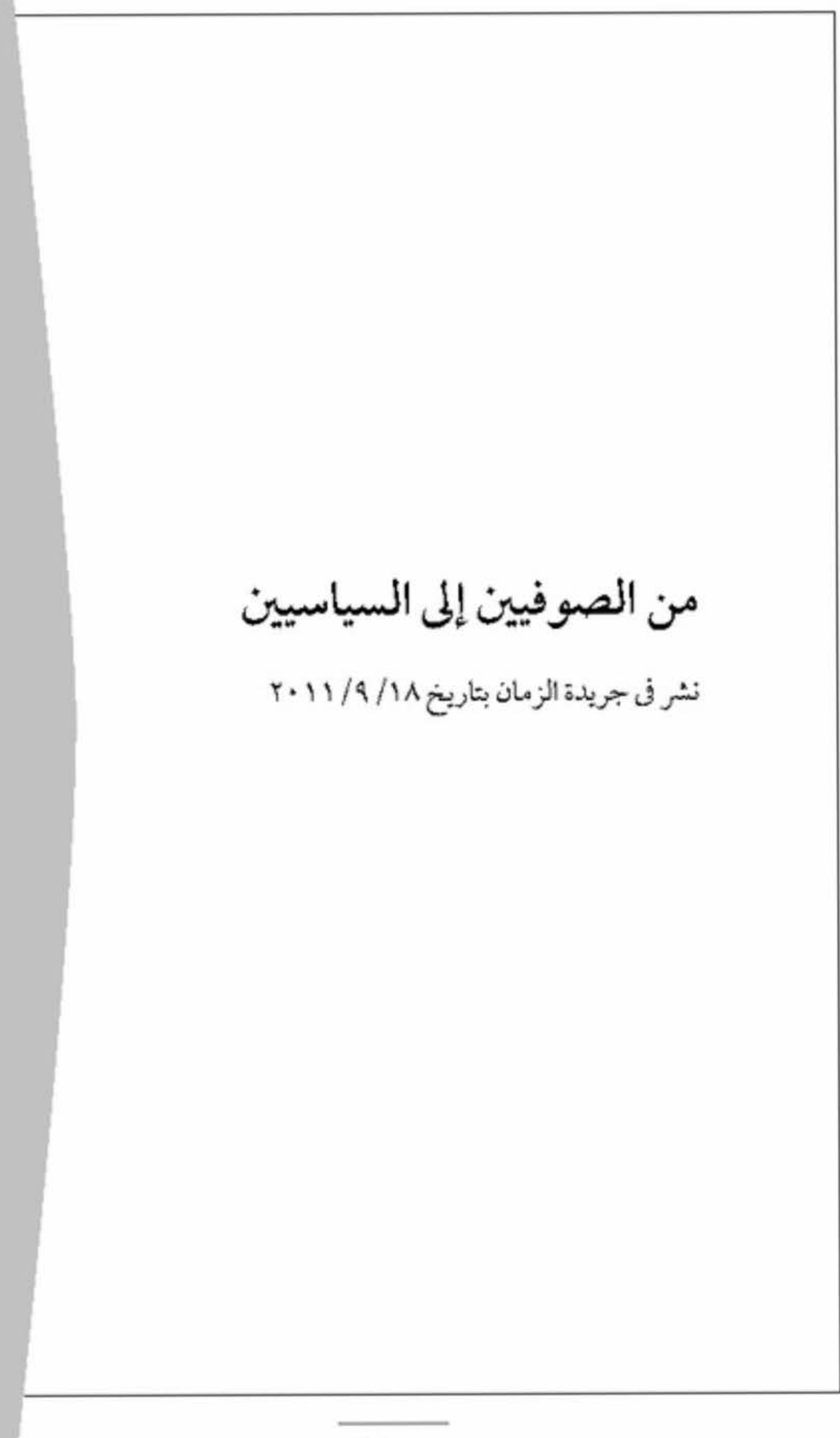
ولا أحد يستطيع أن ينكر عمق العلاقة التي تربط ملايين المواطنين بمرجعيتهم الدينية، وبعلمائهم الربانيين، القائمين على تفقيههم في الدين، وتموينهم بمفاهيم الاسلام، وبناء شخصياتهم بناء عقائدياً سليماً، واجتذابهم إلى مرافئ الخلق الإسلامي الرصين

والملاحظ أن بعض المحترفين السياسيين يجعل من زياراته للعلماء، زيارات سياسيه محضه، يغيب عنها الطابع الروحي، فلا تبقى لها تلك النكهة المتميزة الفريدة

وكأنهم لا يستطيعون الإنفكاك عن حسابات الربح، والمنفعه الشخصية، والسياسية والحزبية بحال من الاحوال

إن الحاجة إلى العلماء هي كحاجه الإنسان إلى الماء

إنهم رواء الظامي، ودليل الحيران إلى مرافئ الأمان.



من الصوفيين إلى السياسيين

نشر في جريدة الزمان بتاريخ ١٨/ ٩/ ٢٠١١

من الصوفيين إلى السياسيين

من الحكايات الغريبة، المضحكة المبكية، هذه الحكاية وقد ساقها ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة في الجزء الحادي عشر ص ١٣٨:

« كان ببغداد في رباط شيخ الشيوخ، صوفي كبير اللحية جداً، وكان مُغرىً، ومعنًى بها أكثر زمانه، يدهنها، ويسرحها، ويجعلها ليلاً عند نومه في كيس.

فقام بعض المريدين إليه في الليل وهو نائم، فقصّها من الأذن إلى الأذن، فأصبحت كالصريم

وأصبح الصوفي شاكياً إلى شيخ الرباط، فجمّع الصوفية وسألهم، فقال المُريد:

أنا قصصتُها، قال:

وكيف فعلت، ويلك ذلك؟

قال:

أيها الشيخ، إنها كانت صنمَهُ،

وكان يعبدها من دون الله، فأنكرتُ ذلك بقلبي، وأردتُ أن أجعله عبداً لله لا عبداً للحّية »

ما معنى وضع اللحية في كيس عند النوم؟

إنها الحماقة بعينها

وكان يعرف الحمقى قديماً بطُول لحاهم !!

والحماقة داء لا دواء له .!!

وحين ينحصر التفكير والإهتمام باللّحية دون سواها، تتحول اللحية إلى ما يُشبه الصنم الذي يُعبد دون الله !!

إن صاحب اللحية الطويلة، المفتون بها، كان يقضي أكثر أوقاته في عمليات التدهين والتسريح للحيته تلك !!

ومعنى هذا أنها كانت هاجسه الذي لا يبارح ذهنه، وشغله الشاغل الذي يحجبه عن شؤون البلاد والعباد !!

وهذا الذي أثار حفيظة المريد، الذي بادر إلى قصّها واجتثاثها، إبعادا لصاحبها عن الصنم المشؤوم

إنّ لحيّة الصوفي الواردة في هذه الحكاية، تُماثل وتُشابه إلى حد بعيد، الحصة، التي تتحدّث عنها معظم الكتل السياسية، ولا تفتر عن السعي الدائب الحثيث للحصول عليها، واذا تعذّر عليها ذلك، لا زمتْ المطالبة بها آناء الليل وأطراف النهار .!!

والحصة - كما هو معلوم - ما هي إلا الوزارة والمواقع المهمة في السلطة، ذات الإمتيازات العاليه، والمخصصات الضخمة، والرواتب الفخمة، وما يستتبع ذلك من العجلات والحمايات و...!!

إن الحصة اليوم أصبحت صنماً كبيراً يُعبد من دون الله !!

والسؤال:

ما هي الغاية من الحصول على الحصة؟

فإن كانت المصالح والمنافع والمكاسب، فإنها أبشع الغايات، لأنها تعرّي أصحابها من الدوافع الوطنية الأصيلة، وتهبط بهم إلى مستوى النفعيين الإنتهازيين، الذين يهتبلون الفرص للمغانم، ولهم لهاثٌ نحوها مُريب وعجيب!!

وإنْ كانتْ خدمةَ الشعب والوطن، فإنها متاحةٌ لهم، وهي لا تتوقف على الكراسي المسحورة، والمناصب المتميّزة

إنّ عَرَقَ الكادحين من العمّال والفلاحين .. هو في حقيقته خدمةٌ للشعب والوطن، ولكن من موقع لا يتسم بالفخفخة والأُبهة الرسميه

إن الانسان هو الكائن المفضّل الذي كرمه الله وأسجد له الملائكة، وسخّر له ما في السماوات والأرض، وجعل الإعتداء عليه بمثابة الإعتداء على البشرية جمعاء، كما قال تعالى:

(من قتل نفساً بغير نفس أو فسادٍ في الأرض فكأنّما قتل الناس جميعاً).

والإنسان أيضا هو المحور في كل الأديان والحضارات

فلماذا تتم الإستهانة بالإنسان العراقي الذي يذوق عبر معاناته اليومية ألوان العذاب، ولا ينشغل المحترفون السياسيون إلاّ بتحسين مواقعهم ومنافعهم على حسابه؟ !!

إن معنى الحرية أن ينعتق الإنسان من كل القيود والأغلال

ولن يكون حرًا على الإطلاق إذا ما أَسَرتْه المناصب والمغانم وافترسته بأنيابها وأوقعته في شراكها وحبائلها

إن السياسيين مطالبون بإقناع الشعب العراقي المظلوم، بأنه حاضرٌ في قلوبهم ووجدانهم، ومنهاجهم

لقد ولّى زمن الضحك على الذقون إلى غير رجعة

ولنْ يُفلح إلاّ الوطنيون المخلصون الصادقون في حبهم وخدمتهم للشعب والوطن إن الزَبَد لا يبقى

وإن ذاكرة الشعب العراقي لا تنسى الأوفياء لمبادئهم وأهلهم ووطنهم، بعيداً عن كل الحسابات المشبوهة، والمعادلات المجحفة والممارسات الفجّة

المزاج الزئبقى

نشر فى جريدة الزمان بتاريخ ٢٥/ ٩/ ٢٠١١

المزاج الزئبقي

مواقفُ الحكّام من الأشخاص كثيراً ما تكون مصطبغةً بلون من ألوان الهوى، تبعاً للمزاج الزئبقي الذي يصدر عنه هذا الحاكم أو ذاك.

وإذا كان الكثيرون منّا مضطرين لاصطناع المجاملة مع كثير ممن لا نميل إليهم نفسياً، فإن الحكّام - وانطلاقاً من شهورهم الغامر بالقوّة والهيمنة والسطوة- لا يجدون حرجاً من إبداء ما يعتمل في نفوسهم من مشاعر، إزاء مَنْ لا يحبونهم، والتعامل معهم تعاملاً تغيب عنه الشفافية والمرونة، فيكون أقرب ما يكون إلى اليبس والجفاف والجفاء....!!

ولعلّ موقف سليمان بن عبد الملك مع الفرزدق - الشاعر الفحل المعروف - هو أحد مصاديق ذلك المزاج الزئبقي الذميم.

لم يكن سليمان بن عبد الملك إلا المُبْغِض الكاره للفرزدق، والسرّ - على ما قيل - هو نزعة الفخر التي عُرِف بها الفرزدق..!!

إن نزعة التفاخر بين الشعراء بأحسابهم وقبائلهم، لم تكن محصورة بالفرزدق، فهل كان سليمان بن عبد الملك، يُبض أولئك الشعراء كلّهم؟!

إن شيئاً من ذلك، لم تذكره لنا كتب الأدب والتاريخ ومن هنا وصفنا موقف سليمان بالزئبقي، لأنه الموقف الخارج على الأعراف.

وعلى كل حال، فحكاية دخول الفرزدق على سليمان بن عبد الملك وتنكر الأخير له، حكاية معروفة.

قالوا إن سليمان:

(تجهّمه وتّنكَر له وأغلظ في خابه حتى قال:

من أنت لا أمّ لك!، قال:

أو ما تعرفني..؟

أنا من حَيٍ هُمْ مِنْ أوفى العرب،

وأحلم العرب،

وأسود العرب،

وأجود العرب،

وأشجع العرب،

وأشعر العرب)

إن السؤال الإستغزازي الذي وجهه سليمان إلى الفرزدق بقوله: (من أنت) حمل الفرزدق على تعداد المآثر والمفاخر، في ردّ فعل واضح على ذلك التجاهل السمج.

وجواب الفرزدق لا يخلو من توهين مبطّن لموقف سليمان وهذا الذي استثار السلطان فقال:

(والله لتحتَجّن لما ذكرتَ أو لأوجعنَّ ظهرك ولأبعدنَّ دارك)

وهكذا تحوّل (اللقاء) إلى (محاكمة)، وقرع السلطان أجراس الإنذار، وتهدّد وتوعّد، وطالب بسرد الأدلة والبراهين على كلّ صفة من الصفات التي نسبها الفرزدق لقومه ولنفسه قال الفرزدق:

(أما أوفى العرب فحاجب بن زرارة رهن قوسه عن العرب كلّها وأوفى.

وأمّا أحلم العرب فالأحنف بن قيس، يُضرب به المثل حلما.

وأمّا أسود العرب فقيس بن عاصم، قال رسول الله (ﷺ):

(هذا سيد أهل الوبر)

وأما أشجع العرب فالحريش بن هلال السعدي.

وأما أجود العرب فخالد بن عتّاب بن ورقاء الرياحي.

وأما أشعر العرب فها أنذا عندك!

قال سليمان:

فما جاء بك؟

لا شيء لك عندنا، فارجع على عقبك، وغمّه ما سمع من عزه، ولم يستطع له رداً).

وهكذا انتهت المقابلة الساخنة، فإنْ خرج الفرزدق خالي الوفاض، دون أن ينال ما يناله الشعراء من الملوك، وكان خلاصه من العقاب الجائزة المّرة!!

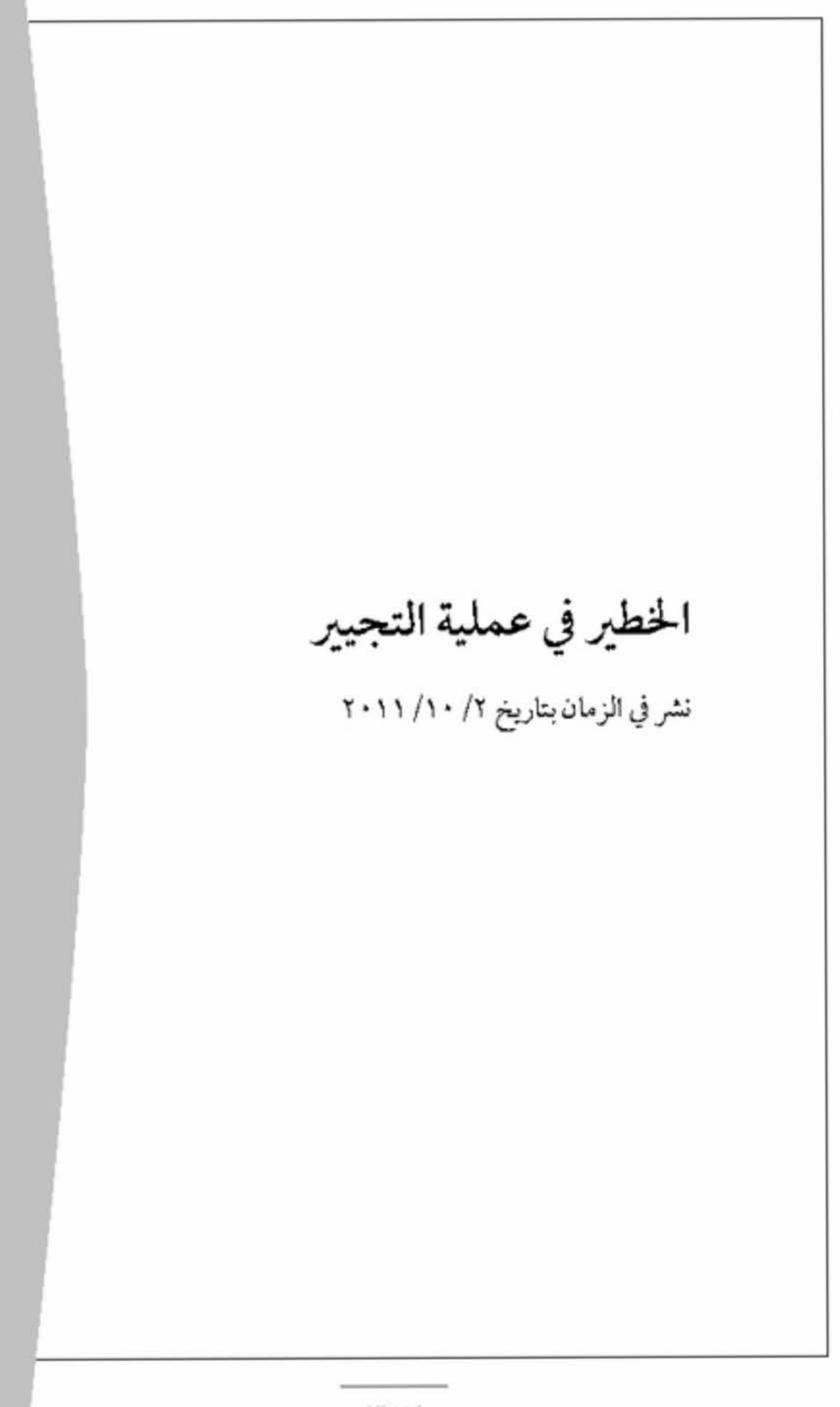
أقول:

إن سليمان بن عبد الملك، رغم كراهته للفرزدق، لم يتهرب من لقائه، وإنما أتاح له الفرصة لذلك، وتحدّث الفرزدق بملء فمه عما أراد.

ومعظم المسؤولين العراقيين اليوم، يتهربون من أمثال ذلك اللقاء، مع عدم وجود كراهية مسبقة لمن يريد اللقاء بهم من المواطنين.

فلا الحالة الأولى، وهي السماح باللقاء ولكنْ مع التنكر والجفاء، مقبولة مستساغة لما تتضمنه من انتهاك صريح لقواعد الأخلاق.

ولا الحالة الثانية، وهي التهرب من اللقاء، والعزلة عن المواطنين، مقبولة مستساغة، ذلك أنَّ الحواجز بين المسؤولين والمواطنين، تنطوي على العديد من السلبيات سياسياً واجتماعياً وإنسانياً وأخلاقياً، وهي في المحصلة النهائية لا تدفع العجلة إلى الأمام ولا تشيع روح المحبة والوئام.



الخطير في عملية التجيير

نشر في الزمان بتاريخ ٢/ ١٠/ ٢٠١١

الخطير في عملية التجيير

لا تجد طاغية من الحكّام لا في غابر الأيام ولا في حاضرها، إلا وهو يسند إلى نفسهِ كلّ خير يصلُ إلى الناس كما يُسند إليها أيضاً رفع المكائد عنهم!!

إنه قطب الرحى، ومركز الأحداث وصابح القرار الذي يصر على أن يكون النافع الضار..!!

وباختصار إنه يريد أن ينازع الله رداءهُ وإلا فما معنى الأباطيل والإدعاءات في أنه المانح الواهب؟!، وأنه الدافع والمانع؟!

وإذا كان فرعون قد قال: أنا ربكم الأعلى، فإن طلاب مدرسته سائرون على نهجه، وإن لم يقولوا ذلك صراحةً.

ينقلُ السيوطي في كتابهِ تاريخ الخلفاء (ص١٧١):-

أن المنصور لقي أعرابياً بالشام فقال لهُ:

احْمِد الله يا أعرابي، الذي رفع عنكم الطاعون بولايتنا

فأجابه الأعرابي: «إن الله لا يجمع علينا حشفاً وسوء كيل ولا يتكم والطاعون».

ولقد أصاب الأعرابي كبد الحقيقية، حين ردّ على المنصور مقالته بكل صدق وجرأة ومثل هذا الجواب قد يشكل عامل رَدْعٍ من تكرار تلك الكلمات المغموسة بالذاتية والنرجسية والإستعلاء.

ومن طاغوت بني العباس إلى طاغوت العفالقة المقبور، تتواصل حلقات هذا النهج القائم على الإستخفاف بالإنسانية، والضحك على الذقون..

كان الدكتاتور المقبور يسأل بعض الناس ويقول: ماذا كنت تملك قبل مجيئنا إلى السلطة؟

وماذا تملك الآن؟! في محاولة دنيئة للإشارة إلى أن كل ما تملك هو من فيض يدي، وإنها المنن المتوالية عليك من (القائد الضرورة) لا من سواه.

ثم إن مصطلح (المكرمة) شاع وذاع وملأ الأسماع حد الملل والقرف.

وحتى المشاريع الكبرى التي كانت تنهض بها الوزارات والمؤسسات الحكومية، لم تكن تخرج عن دائرة المكارم التي يجود بها (القائد الضرورة) على الوطن والمواطنين، حتى لكانها من خالص أمواله..؟!

وهكذا تكرّس في أذهان العامة، المقولات الزائفة التي تربط الأشياء كلها بشخص الحاكم الطاغية، مسبغةً عليه من السمات والصفات ما يرتفع بهِ عن مصاف البشر.

إنّ الطغاة لا يكتفون بالسطوة على أموال الشعب، وإنما يعتبرونها، ملكاً خاصاً بهم، ومن هنا تعزف فرق الزبانية، المحيطة بهم، وأجهزتهم الإعلامية - المرئية والمسموعة والمقروءة- أناشيد الولاء والثناء، لتطمس معالم الحقائق، ولتشيع ثقافة التطبيل والترمير للرأس الحاكم الكبير؟!

والعراق الجديد، قد انعتق من ربقة الدكتاتورية الغاشمة، وتخلص من عهدها الأسود، وزالت عنه الأغلال والقيود، وانفتحت أمامه بوابات الحرّية، وأصبح المواطنون يمارسون العملية الإنتخابية بملء إرادتهم ودون إكراه أو ضغوط.

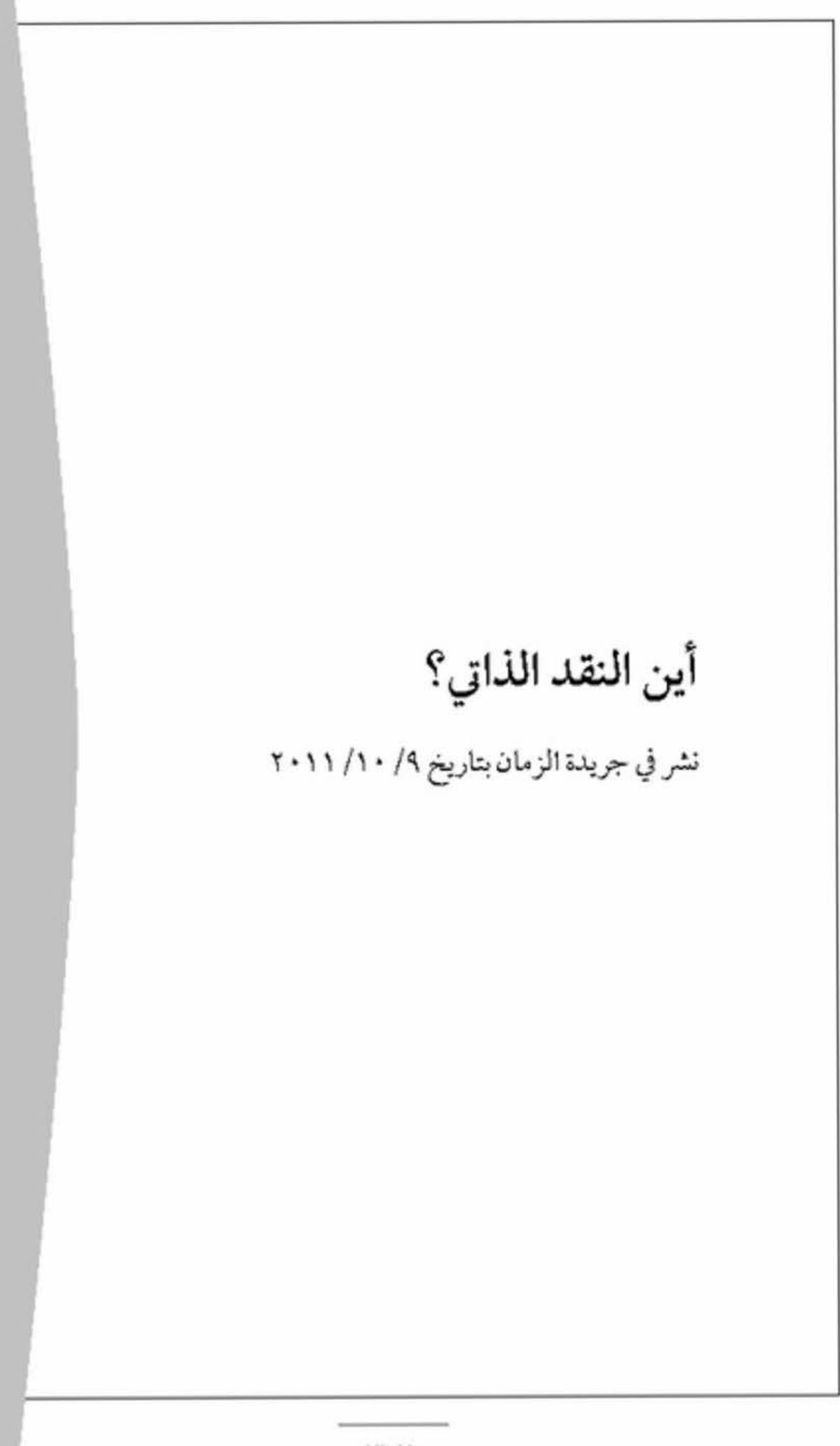
كل ذلك صحيح لا ريب فيه، ولكن لا أحد يستطيع أن ينكر أن هناك فِرقاً تحيط ببعض أصحاب المواقع العليا، تحرص على أن تُسند الإنجازات إليهم دون سواهم، وتعمل على تلميع صورهم في أذهان الناس، زاعمة أنهم هم الذين أوصلوا البلد إلى مرافئ الأمن والاستقرار، مع أن البلد حتى الآن لم يسترد عافيتهِ، ولا يمر أسبوع عليه، إلا وهو ينوء بقافلة جديدة من الشهداء، إلى جانب المثخنين بجراحهم وأوضاعهم الصعبة.

من الخطأ أن تُنسب الإنجازات إلى شخص واحد، مهما كانت قدراتهُ ومهارتهُ عاليةً، ومهما كانت درجة إخلاصه وتفانيه من أجل الشعب والوطن كبيرة.

إن الإنجازات هي ثمار جهود مضنّية، بذلتها مختلف الشرائح العراقية بِعَرقها ودمها وكفاحها الطويل من أجل الحرّية والحياة الحرّة الكريمة.

لماذا يُراد تجيير ذلك كله إلى شخص واحد، يختصر الإنجازات بذاته فيكون له المغنم ولغيرِه المغرم؟!

إن من أكبر واجبات المواطنين جميعاً، والعاملين في الحقل السياسي خصوصاً، هو الإبتعاد عن نَحْتِ صنمٍ جديد، يحل محل الصنم الكبير المقبور.



أين النقد الذاتي؟

نشر في جريدة الزمان بتاريخ ٩/ ١٠/ ٢٠١١

أين النقد الذاتي؟

أطلق الرصافي على «عبد المجيد الشاوي» لقب (سيد الظرفاء).

والشاوي كما يصوّره عارفوه شخصية تتمتع بقدرات فائقة في إطلاق التعليقات الساخرة، والنكات اللذيذة، الأمر الذي جعله نجماً من نجوم المجتمع البغدادي.

وقد تسلم الرجل مناصب سياسية مهمة، فقد كان وزيراً بلا وزارة في الوزارة العراقية الأولى التي شكلها عبد الرحمن النقيب في ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٠ .

وكان راتبه الشهري نصف راتب زملائه أصحاب الحقائب الوزارية، لأنه وزير بلا وزارة، وحين سأله أحد أصدقائه «كيف يجوز أن يتناول الوزراء رواتب مختلفة، وهم في وزارة واحدة» أجابه الشاوي قائلاً:

«مولانا، لعل الجماعة أرادوا أن يطبّقوا القاعدة الشرعية:

«للذكر مِثْلُ حظ الأنثيين»

وواضح من هذا الجواب أنه كان خفيف الروح، يتهكم حتى على نفسه إذا اقتضت الضرورة.

وقبل أن يلي الوزارة كان نائباً في مجلس المبعوثان، وفي خلال تلك الفترة تعّرض لحادث أدّى إلى أنْ تكسر يده اليمنى.

وخلاصة الحادث أنه زار محيي الدين الكيلاني في الأستانه وعند هبوطه السُلّم، زلت قَدمُه، فكسرت يده اليمنى.

وينقل أن (أحمد رضا) رئيس مجلس المبعوثان ذهب لعيادته، وتفقد صحته، وقد سأله عن ملابسات الحادث، فأجابه الشاوي قائلاً:

«إن الله أراد أن ينتقم من هذه اليد التي ارتفعت بالباطل على التصديق»!!

وهو نقد ذاتي لاذع، ينطوي على كثير من التهكم والإستخفاف بمجلس المبعوثان أيضاً.

انه كان على درجة عالية من المرح، وكان شديد الإلتذاذ باللمسات النقدية التي تنعكس في الشعر أحياناً.

فلقد قصد دار الرصافي يرافقه أمين خالص - ليعوداه في مرضه، وهناك ألحّ الشاوي على الرصافي ليقرأ الأبيات التي قالها في هجاء النقيب، رغم - أن النقيب هو الذي جاء به إلى الوزارة.

وبعد تردد وامتناع، أنشد الرصافي أبياته، التي قال فيها:

شيخ الـــوزارة مَيْتٌ لا حِـــراكَ به
إنْ جئتَ مجلسه ألفيتَ تابوتا

مـا قـــارب المـــوت إلاّ صـــار آخـره
عند الإلـــه وعـنـد النـاس ممقوتا

مـا جئته زائـــراً إلاّ شكا وبكى
شكوى ابـن أرملة لا يملك القوتا

والشكوى هي ميراث الوزراء المعاصرين من أول رئيس للوزارة العراقية، بحيث إنها أصبحت طبعاً وديدناً لهم..!!

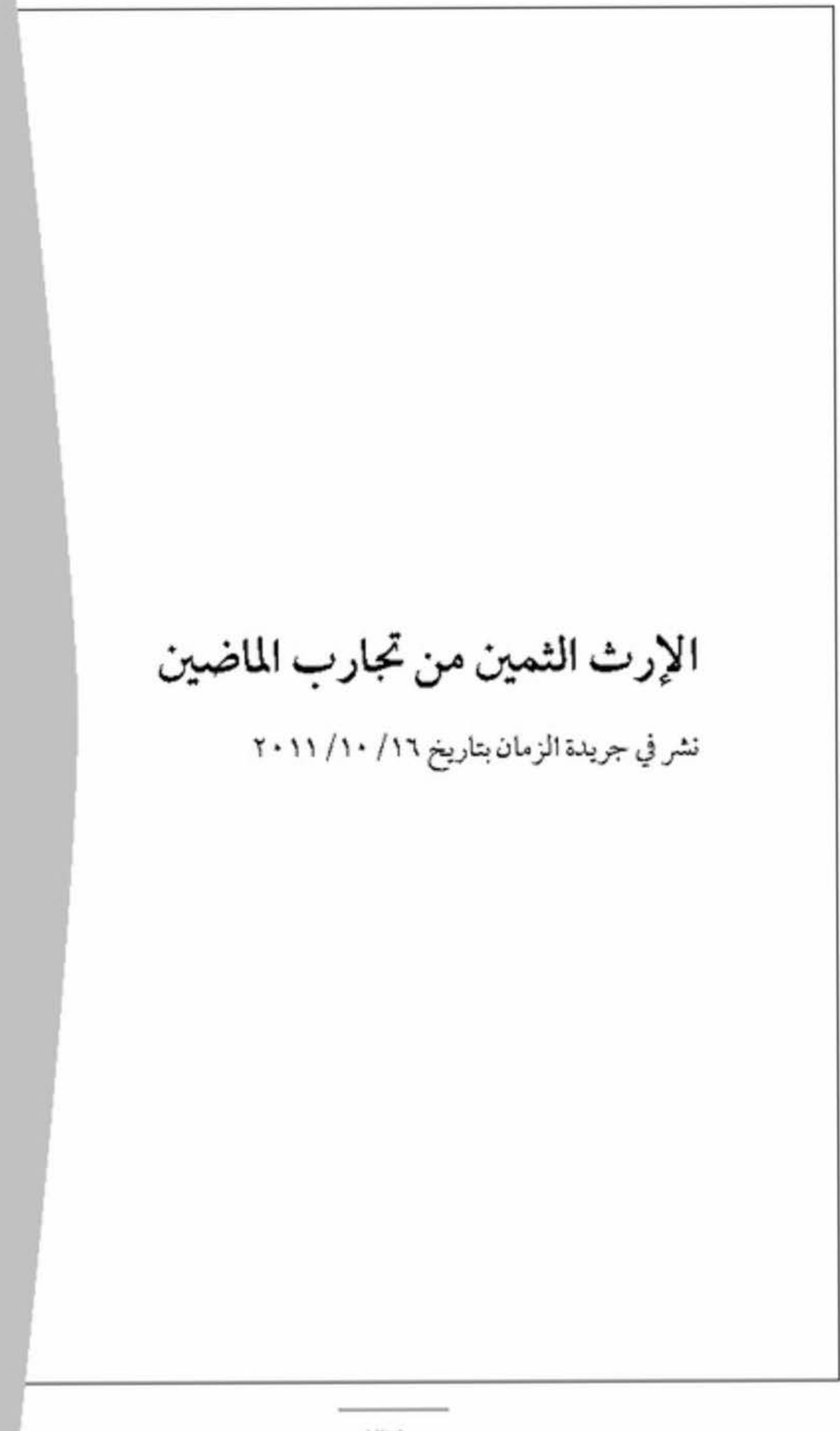
أما الشاوي، فلم يرثه أحد في نزعته الساخرة من كل المفارقات وفي جرأته وصراحته، ونقده الذاتي.

إن السلطويين اليوم يحاولون إحاطة أنفسهم بهالة من الأبهة والفخفخة، ولا يستسيغون أنْ ينالهم أحد بنقد، كما أنهم لا يمارسون هذا النقد بأنفسهم.

لقد كثرت الدعاوي القضائية التي تُقام من قِبل هذا المسؤول الرفيع أو ذاك، على الإعلاميين والكتّاب، الذين يمارسون حقهم في التعبير، ويُشيرون إلى بعض المظاهر السلبية، في مؤشر خطير، على ضيق الأفق والصدر، والتبرم من كل كلمة جريئة تضع النقاط على الحروف، بعيداً عما يريدونه لأنفسهم من تلميع صورهم، والتغني ببراعاتهم وانجازاتهم..!!

إننا قلّ أن نجد في السياسيين المعاصرين من يملك القدرة على اصطناع النكتة، وإشاعة أجواء الإرتياح والإنشراح.

إننا اليوم نكتب عن سياسي عراقي ظريف، استطاع أن يجتاز البوابات المغلقة، بفطنته وجرأته وظرفه، وقد مرّ على ولادته أكثر من قرن من الزمن، فالتاريخ لن يبخس هؤلاء حقوقهم.



الإرث الثمين من تجارب الماضين

نشر في جريدة الزمان بتاريخ ١٦/ ١٠/ ٢٠١١

الإرث الثمين من تجارب الماضين

ثمة نصوص وأخبار، تُلتقط من هنا وهناك، يمكن أن نسميها بالنصوص المُلهِمَه، ذلك أنها تكشف عن تجارب، نبض بروح تجّسد العدالة، وتعنى بالمواطن وحقوقه، وتعبق بشذا الموضوعية، والإحساس العالي بالمسؤولية، وتشيع ثاقفة الحرص على الصالح العام، تكرّس الإنصاف، بعيداً عن كل ألوان المحاباة والإجحاف.

وهذه النصوص لابد للمسؤولين خاصة، ومن قراءتها قراءة متأنية فاحصة، لأنها كنز ثمين، يذكرّهم في غمرة الغفلة والنسيان، بما يجب أن يتسموا به من أوصاف وسمات، في إطار الأداء الأمين لمهماتهم الخطيرة.

إن هذه النصوص ليست إلا العملة النادرة التي تضرب بها الأمثال.. فهي ليست مبذولة متداولة بين الناس، وإنما يقتنِصُها الباحثون من كتب التاريخ والأدب عبر متابعاتهم وتدقيقاتهم، ومن المفيد ولاسيما في هذه المرحلة التي اختلطت فيها الأوراق، وابتُكِرت فيها الوسائل الشيطانية لابتلاع المال العام، وعُقدت الصفقات المريبة، واستخف القراصنة واللصوص، بكل الحرمات، أن تسلط الأضواء على تلك النصوص الناطقة بأروع الصور والممارسات، في مضمار التعامل ا لسياسي والإجتماعي، تحفيزاً للخلف على المضيّ في ذات الدرب.

-١-

ساق ابن أبي الحديد في شرح النهج ج٢٠ ص١٩٣ هذا الخبر:

(وجّه عمر إلى ملك الروم بريداً، فاشترت أمُّ كلثوم امرأة عمر طِيبا بدنانير، وجعلته في قارورتين، وأهدتها إلى امرأة ملك الروم فرجع البريد إليها ومعه ملء القارورتيْن جواهر، فدخل عليها عمر، وقد صبّت الجواهر في حجرْها.

فقال:

من أين لكِ هذا؟

فأخبرته، فقبض عليه وقال:

هذا للمسلمين.

قالت:

كيف وهو عِوضُ هديتي؟

قال:

بيني وبينكَ أبوكِ

فقال عليٌّ (عليه السلام):

إن العديد من الدول والشركات العملاقة، ورجال الأعمال الكبار، يقدّمون إلى المسؤولين ما يقدّمون تحت غطاء (الهدايا)، هذه الهدايا التي قد تبلغ أرقاماً ضخمة ويخادع المسؤول نفسه حين يعتبرها هدية بالفعل.

والسؤال:

هل قدّمت هذه الهدية، وبهذه الضخامة، له بوصفه الشخصي، أم قدّمت له بوصفه الوظيفيّ؟

ومن الواضح أنها لم تقدّم له بعنوان شخصي

إذن فهي من المال العام الذي لا يجوز له أن يستحوذ عليه بحال من الأحوال.

وإذا كانت هدية زوجة ملك الروم إلى أم كلثوم قد أخذت طريقها لتكون في بيت المال، فكيف يسوغ أن تأخذ الهدايا المقدمة للمسؤولين طريقها إلى جيوبهم وحساباتهم؟!

إن الهدايا مصائد

وإن قبول المسؤولين بها يعني الوداع للنزاهة والنظافة والأمانة.

وهكذا يدخلون إلى دهاليز الخيانة الوطنية، والوظيفة، ناهيك عن المفارقات الأخلاقية والإنسانية والقانونية والسياسية والإجتماعية التي لا تبقي لهم باقيه، عند الله، وعند الشعب، وفي صحائف التاريخ.

-٢-

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ج٢٠ ص٢٨٨:

(كان يقال لعمر بن عبد العزيز بن مروان:

السعيد ابن الشقيّ

وذلك أنَّ عبد العزيز بن مروان ملك ضياعاً كثيرة بمصر والشام والعراق، والمدينة، من غير طاعة الله بل بسلطان أخيه عبد الملك، وبولاية عبد العزيز نفسه مصر وغيرها.

ثم تكرها لابنه عمر

فكان ينفقها في طاعة الله وفي وجود البر والقربات.

إلى أن أفضت الخلافة إليه، فلما أفضت إليه أخرج سجلات عبد الملك بها لعبد العزيز فمزّقها بمحضر من الناس، وقال:

هذه كتبتْ من غير أصل شرعيّ، وقد أعدتها إلى بيت المال).

وإذا كان عمر بن عبد العزيز يُعيد ما انتهبه أبوه إلى بيت المال، فإن كثيراً من المسؤولين العراقيين لم يرضهم إلا امتلاك قطع الأراضي الحكومية المتميزة بإطلالتها على ضفاف دجلة رغم امتلاكهم لبيوت فارهه وعقارات متميزة المتميزة بإطلالتها على ضفاف دجلة رغم امتلاكهم لبيوت فارهة وعقارات متميزة.

إن أسوء ما يُمنى به مجتمع من المجتمعات أن يتسابق أولو الطول والحول فيه إلى الأخذ لا العطاء.

وأكبر ضحايا هذه العملية الإبتزازية الإنتهازية هما الشعب والوطن.

-٣-

ذكر الجاحظ في كتابه البيان والتبيين ج٢ ص٢١٧

بعث زياد الحكم بن عمرو واليا على خراسان فأصاب مغنماً، فكتب إليه زياد:

(إن معاوية كتب إلي يأمرني أن أطفي له كل صفراء وبيضاء، فإذا أتاك كتابي هذا فانظر ما كان من ذهب وفضه فلا تقسمه واقسم ما سوى ذلك).

فكتب إليه الحكم

أني وجدت كتاب الله قبل كتاب معاوية.

والله لو أن السماوات والأرض كانتا رتقا على عبد، فاتقى الله لجعل الله له منها مخرجاً والسلام.

ثم أمر المنادي فنادى في الناس:

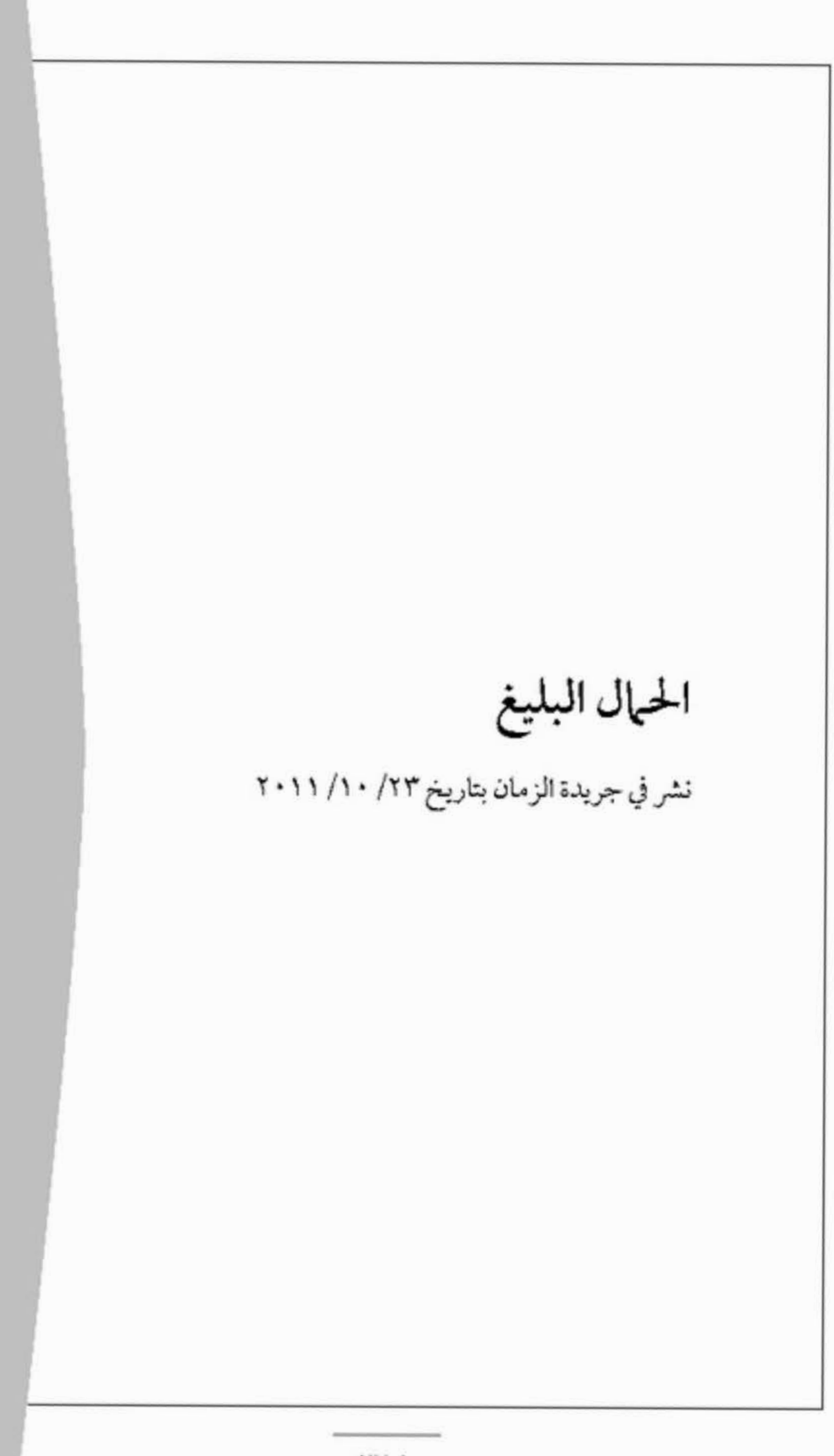
أن اغدوا على غنائمكم.

فعذوا فقسّمها بينكم

وهكذا يجب أن يكون الملخص الواعي حين تُناط به مسؤولية عمل وظيفي معيّن.

هذه باختصار بعض النماذج التي جعلت عناية المسؤولين بالمواطنين تفوق عنايتهم بمصالحهم وذواتهم.

وعناية المسؤولين بالمواطنين هي مفتاح حل الأزمات والمشكلات الراهنة بأسرها والا فان ليل المعاناة طويل مرهق.



الجمال البليغ

نشر في جريدة الزمان بتاريخ ٢٣/ ١٠/ ٢٠١١

الحمّال البليغ

لي مع المذكرات، التي يكتبها العديد من العلماء والسياسيين والمؤرخين والأدباء وأضرابهم، ساعات ممتعة، أعيش فيها مع الأحداث والوقائع التي يتحدثون عنها، فأزداد معرفة ودراية بشؤون الناس والحياة عبر امتدادات الزمان والمكان.

وربما ارتقت هذه النزعة إلى درجةٍ تكون فيها إحدى «الهوايات» المفضّلة لكاتب السطور.

وإنّ كثيراً من المقالات التي كتبتُها ونشرتها الصحافة العراقية لم تكن إلا حصيلة ذلك التفاعل مع هذه المذكرات.

وفي كتاب الأستاذ عبد الكريم محمد رؤوف القطان الموسوم بـ (مذكرات من جنوب العراق من الطفولة إلى المنفى) الصادر عن دار الساقي في لندن عام ٢٠٠٥.

قرأتُ ما ذكره عن «الأكراد الفيلية» ص ٢٠ وأنهم (يتمتعون بذكاء فطري يحسدون عليه).

وسرد ذكرياته عن أحدهم (مصطفى) وفيها موطن للعبرة والتأمل قال عنه:

(له محل تجاري في إحدى خانات الشورجة.

لقد بدأ مصطفى حياته في نزوحه إلى بغداد حمّالا عند أحد كبار تجار الشاي السيلاني.

وكان عليه حمل صناديق الشاي على (جندنه) التي تكاد لا تفارق ظهره لإيصالها إلى المشترين.

أما في الليل فقد كان (وهو أعزب) ينام في خان التاجر، ويتقاضى أجرة لقيامه بالحراسة.

لذا فقد استطاع من توفير مبلغ لا بأس به.

فاستعطف التاجر الذي يعمل عنده بعمل (طلبيه) من الشاي خاصة به ضمن طلبيّة التاجر، وتم له ذلك وكرّ الأمر مرات ومرات.

وفي كل مرة يقوم التاجر ببيع حصة مصطفى ويسلّمه رأس المال والربح.

غير أن مصطفى كان يصر على تكرار العملية.

وتكوّن لمصطفى من جراء ذلك رأسمال محترم غير أنه لم يترك مهنته كحمّال.

إلى أن تعرّف إلى وسيط (قومسيونجي) يستورد له البضاعة لقاء أجر معلوم.

ومَنَّ الله عليه برزق وفير، واستأجر غرفة في إحدى خانات الشورجة، اتخذها كمحل له وعندما زرتُه في مكتبة هذا وجدتُه شخصاً متواضعاً جداً، بالرغم من نجاحه المالي.

ولكي يذّكر الناس، وخاصة أولاده بمهنته الأولى، فقد علّق (الجنده والنوار) على الجدار المقابل لمكتبه وكان يقول لأولاده:

هذا أصل أبوكم.

فلا تترفعوا على الناس وعيشوا بسطاء متواضعين).

إن الكثير من الأثرياء في العالم، لا في العراق وحده، خاضوا غمار المعاناة الصعبة وتجرعّوا الغصص في رحلتهم الشاقة، حتى انتهوا إلى ما انتهوا إليه من حياة ناعمة كريمة.

وإذا كان المال والثراء، سبباً من أسباب الطغيان، فإن (مصطفى) أراد أن يبعد عن نفسه، وعن أولاده، شبح المخاوف من وقوعه فريسة للغرور والإستعلاء والطغيان من خلال استذكاره الدائم لحالته المتواضعة الأولى، معلق على الجدار أمامه، أدوات (الحمالة) الأولى ليزداد شكراً لله تعالى يوماً بعد يوم على نعمة وعطائه، وليكون مثالاً للإنسان المتواضع، البعيد عن كل الشوائب الأخلاقية.

إنّ من حقه علينا أن نطلق عليه لقب (الحمّال البليغ) الذي آثر أن يشيع ثقافة التواضع بالأفعال لا بالأقوال.

وأين هذا الكردي الفيلي النبيل، من أولئك الذين وصلوا إلى كراسي السلطة في غفلة من الزمن، وهم بالأمس القريب يقتاتون على ما تقدمه لهم مؤسسات الضمان الإجتماعي هنا وهناك من مساعدات وصدقات (....)!!

إن (مصطفى) هذا، إنما نال ما نال بعرق الجبين، لا بخدع المحتالين ولا بمكر المزورين ولا بوعود المحترفين السياسيين الكاذبين.

إنه أصبح حكايةً نافعة للأجيال.

ومضرباً للأمثال.

وقدرةً للرجال.

ودليلاً لمن ارتقت به الأحوال، بعد سلسلة طويلة من الأهوال.

التلبيس والإتجاه التعيس

نشر في جريدة الزمان بتاريخ ٣١/ ١٠/ ٢٠١١

التلبيس والإتجاه التعيس

من النادر أنْ نعثر على رجالٍ يلتصقون بالحكّام ويسمعونهم مُرّ الحقّ وشديد الملام وقارص الكلام.

ولو حاول الشجعان من الرجال ذلك وأقدموا عليه مرّة بعد أخرى، لما تضخّمت في نفوس الحكّام نزعات الإعتداد بالنفس، والعُجبُ الشديدُ بها، الذي يقود إلى الإستبداد والطغيان بعد أنْ يصلوا إلى مرحلة الإعتقاد بأنهم هدية السماء إلى الأرض!!

وأنهم من «طينة» فريدة لا تشبهها طينةٌ أخرى..!!

والسؤال الآن:

هل إن هذا الإحجام عن المواجهة الصريحة، ناشئ من الجبن أو العجز أو الرغبة في النفاذ إلى الأعماق لاحتلال موقع متميّز من قلب الحاكم أو انعدام الإحساس بالمسؤولية وتضييع كل الفرص؟!

إنها احتمالات قد تحضر وقد تغيب، ولكنَّ الملق، والمصلحة الشخصية، والرغبة في التقرب، والدخول في أعضاء الحلقة الضيّقة القريبة من الحاكم، ربما تكون هي الدافع في أغلب الأحيان.

وحين تكون هذه الوتيرة هي الغالبة، وهي المعتمدة من قبل معظم المحيطين بالحاكم تبدأ الخطورة ولا يُعلم إلى أي مدى مرّوع ستنتهي؟!

خذوا يحيى بن أكثم - قاضي قضاة المأمون مثلاً-

إنه خاطب المأمون قائلاً:

(إن خُضنا في الطبّ فأنت جالينوس في معرفته، أو في النجوم فأنت هرمس في صناعته أو الفقه فزنت علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في علمه أو في السخاء فأنت حاتم في كرمه أو في الحديث فأنت أبو ذر في صدق لهجته، أو في الوفاء فأنت السموأل بن عادياء في وفائه فَسُّر بكلامه وقال:

يا أبا محمد:

إنما فُضّل الإنسان على غيره بالعقل، ولو لا ذلك، لكانت الناس والبهائم سواء).

ما معنى المبالغات الفجة في هذا الكلام التي تجعل المأمون كأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الفقه؟!

وأين الثرى من الثّريا؟!

وما معنى أن يجمّع ابن أكثم العلوم والمكارم ويمنحها خالصة لسيده؟

أليس هذا هو الأسلوب - الرخيص لإبقاء كرسيّ القضاء محجوزاً له في ظل ولاية المأمون؟!

إن أمثال ابن أكثم موجودون في كل عصر وفي كل مرحلة.

حدثني أحد الأصدقاء:

قال إن الزعيم الراحل عبد الكريم قاسم قال في إحدى جلسات مجلس الوزراء نحن نحتاج إلى تشريع قانون في المسألة الفلانية، فبادره أحد وزرائه قائلاً:

كلامُك هو القانون!!

وهكذا يُغري أشباه الرجال الحكّام بالمضي قدما لتنفيذ ما يريدون بعيداً عن القانون.!!

ومَنْ منكم ينسى الألقاب التي منحها الدجالون للقائد الضرورة فكانت تقارن بأسماء الله الحسنى؟!

إن هذا المسلك البئيس من أخطر المسالك، بل هو الذي يوقع البلاد في المهالك وليست أيامنا هذه بدعاً من الأيام:

إن هناك من يريد أن يُعتّم على أدوار كل العاملين المخلصين - في شتى المواقع - باستثناء من يُريد التقريب إليه طمعاً بالجائزة وإرضاء لصاحب الكفة الفائزة.!

ولسنا نمنع أن يُثنى على الحاكم حين يُقدّم لشعبه الإنجازات الحقيقية ألم يقل الشاعر مخاطباً ممدوحه:

إذا نحنُ أثنينا عليك بصالح

فأنتَ كما نُثني وفوق الذي نُثني

أما أن يكون الإطراء، والثناء، والكلمات الجوفاء، هي اللازمة التي لا تتبدل ولا تتغير في حالتيْ الخطأ والصواب، والسلب والإيجاب، والإقدام والإحجام.

هذا أمر سمج مرفوض.

وعلى الحكّام أن يكونوا أكثر تواضعاً وتوازناً واعتدالاً وحكمة، في تعاملهم مع هذه الشريحة المنافقة.

إنّ المسؤول يرتفع قدرُه بالتواضع لا بالتكبر.

وتزداد مكانته تألقاً بمكاشفة شعبه بالحقائق لا بالقفز عليها.

ومن الجميل أنْ يوصد المسؤولون هذا الباب أمام المتصيدين بالماء العكر، فلا يقيمون لمبالغاتهم وزناً.

إنّ النهوض بالمسؤولية على الوجه الصحيح هو اللسان الناطق الذي يُغني عن مديح كل متزلف ومنافق.